المشرق

السنة الثلاثون — آب وايلول ١٩٣٢

«نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي

بقلم ولده الشماس بولس

عني بطبعها وتعليق حواشيها الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي»

نظرة نقدية

لحبيب زيات (افالون : فرنسة)

اشتهر البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي وابنه الشماس بولس بالبحث عن اخبار الكنيسة الانطاكية ، واستقراء حوادثها وشؤونها والتنقيب عن ماضي أسقفياتها والاعمال الراجعة اليها ، وتقييد تراجم كل من نشأ فيها او انتسب اليها من رجال الدين والنسَّاك والقديسين . وللاول منهما في كل ذلك كتب واجزاء شتى جمعها في حضره وسفره ، كانت طائفة منها محفوظة عند الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس حداد . وكان ، رحمه الله ، حريصاً عليها اشدّ الحرص يضنّ على كل احد بمطالعتها او استنساخ شيء منها . ولذلك يجب ان يُعدّ من حسناته اهداؤه اياها سنة ١٩١٣ لنقولا

الثاني قيصر روسية ، بحيث سهل هنالك لطلاب العلم مراجعتها عند الحاجة ونقل ما يراد منها. وللثاني مخطوط بقلمه جمع فيه اخبار انطاكية وبطاركتها. ولكنه لسوء الحظ مخروم ناقص من اوله وآخره. ولعله وقف فيه عند خراب انطاكية على يد الملك الظاهر بيبرس البندقداري . وله في ما سواه رحلة والده المشهورة الى البلاد المسيحية ومنها ثلاث نسخ في لينتغراد وموسكو ، ونسخة في لندرة . وهي كلها لا تخلو من بعض النقص ، وان لم ينتبه احد عليه ممن ترجم هذه الرحلة الى الانكليزية والروسية. وخير من هذه النسخ جميعها الاصل المحفوظ في باريس ، وهو في اثنين وثلاثين كراساً ، منها خمسة وعشرون بخط بولس نفسه ، وسبعة بقلم ناسخ آخر مجهول . وفي اوله وآخره بعض صفحات جمع فيها الشماس ما وقف عليه من تاريخ البطاركة منذ انتقالهم من انطاكية الى دمشق ، وروى في خاتمتها بعض اخبار والده واحوال الكرسي بعد رجوعها لدمشق .

وهذه الروايات والنقول التاريخية الواردة في كتب البطريرك وابنه هي مصدر كل ما كُتب عن الكنيسة الرومية الانطاكية الى اليوم . وعنها اخذ البطريرك اثناسيوس الدبّاس والخوري ميخائيل بريك ما دوّناه في تاريخيهما. فهي المعوّل الوحيد والمرجع الاول لكل من تكلّف الكلام على الكرسي الانطاكي منذ القرن السابع عشر . وهذا ما حدا حضرة الاب قسطنطين الباشا ، بعد وقوفه على ما كانت جريدة « المحبة » هي البادئة بنشره منذ سنة ١٨٩٩ ، على اقتطاع هذه الفصول التاريخية من مخطوط الخزانة الاهلية في باريس ، وطبعها بعد تعليق بعض الحواشي عليها . ثم الحقها بذيل حاول فيه اثبات كثلكة البطريرك مكاريوس . فجاء من كل ذلك مجموع حسن حري بالمطالعة اهل لان تشغل مكانه بين آثار الكنيسة الملكية

وقد عرف القراء منزلة الخوري قسطنطين في ارتياد اخبار السلف من اصدق مظانّها ، وانفراده بين رجال رهبانيته بالمطالعة والكتابة واهتمامه الدائم بالبحث والتنقيب وتكلّفه مشاقّ السفر الى رومة وباريس توصلاً الى ضمّ شتات التاريخ الملكي والاستئثار بما تصل اليه يده من الاوراق والاسفار ، بحيث اجتمع له

من الفوائد والتعليقات والصحائف والمخطوطات على ندرتها وتفرّقها ما لم يجتمع لاحد غيره من رجال الكهنوت، مطرّساً بذلك على آثار سلفه الشماس بولس. ولذلك كان يحقّ لنا ان ننتظر من مثله ، في كلامه على الشماس في المقدمة ، ان يتوسّع في ترجمته وشرح اخباره ، ويستقصي ما استطاع في تعريف كتاباته ومصنفاته، والتنبيه على خصائص انشائه، وايفاء خدمته التاريخية حقها من التقدير والنقد دون ميل ولا أثرة . واذا كان كل ذلك لا يتيسر فاقلّ ما كان يجب عليه ان يسعى جهده في معارضة نسخة باريس بنسخة لندرة ، اذا كانت نسخ لينغراد وموسكو تعزّ عليه . ويستعين بهذه المقابلة على الاشارة الى ما بين هذه النسخ من الخلاف وتصحيح احداها بالاخرى ، وتعريف مواضع النقص التي توجد في نسخة باريس ، كبعض بياض في الصفحات او ما بين السطور وسقوط بعض ارقام السنين كالتي ترى في الصفحتين ٣ و٤ ، وما اشبه من اللّم التي لم يكترث لها حضرة الاب ولم يدلّ عليها في طبعته. فبدلا من هذا كله لا نجد ، بكل اسف، في كل هذه المقدمة التي احتفل في تحريرها سوى الافراط في تقريظ الشماس بولس والثناء عليه والافاضة في نقل المبتذل المشهور من اخباره مما لا يتعذّر ادراكه لاول وهلة على مطالع رحلته ، او مما سبق ايراده لكل من تكلم قبله على المؤلف وكتاباته. وغاية ما اطرفنا به حقيقة من علمه الخاص ذكر النسخة الحلبية التي وقف عليها في القلية المطرانية ، وتاريخ كتابتها سنة ١٧٥٠ .

فلا بد لنا اذا من الاكتفاء بنسختي باريس وحلب على قلة ما بينهما من الخلاف في رأيه . وقد عارض الواحدة بالاخرى قال : « فلم اجد فرقاً مهماً الا بالنقصان بل انّ نسخة باريس اصحّ واكمل النسخ كلها واقدمها ولعلّها تكون الاصلية » . ولم يصرّح لنا ايّ نسخ يعني في ما عدا الحلبية . وقد اعاد مثل هذا القول في الحاشيتين ١٦ و١٨ وسمى منها المخطوطات الروسية والنسخ المنقولة عن الشماس وابيه (كذا) . وما ندري ما يعني بهذه الاخيرة ، ولا محلّ ابي بولس منها ، كأنه يوجد نسخ منقولة عن غير الشماس . وعلى كلّ فاذا كان يريد بهذه النسخ مخطوطات لندرة ولينغراد وموسكو فنذكره لما يقتضي

بالطبع انه وقف عليها او على الاقلّ انه راجع ترجماتهـا . ومن ثمّ فقد كان يجب عليه ، وقد امكنته مقابلة بعض مواضع من نسختي باريس وحلب عليها ، ان يفعل مثل ذلك بسائر الكتاب ، وفيه بعض عبارات مبهمة تحتاج الى الايضاح فضلًا عن الابتر منها والناقص . ومن الغريب اغفاله ذلك ، والمقام مقام تاريخ ، وقيمة مثل هذه المعارضات لا تخفى على احد ولاسيا على مؤرخ نظيره.

واغرب من ذلك جدًا — وهو ما يستريب الناظر فيه لاول وهـلة بصره وسمعه — ان حضرة الاب ، بعد ان كتب ما نقلناه آنفاً عن نسخة باريس انها « اصحّ النسخ واكملها واقدمها » وعدّ وقوفه عليها « اكتشافاً » مع ان البرنامج المطبوع في باريس كان قد سبق ونبه عليها منذ سنة ١٩٠١ ، اي قبـل زيارته باربع سنوات ، وبعد ان صرّح في المقدمة والذيل تكرارًا انه « ابقى الكتاب على اصله لم يحذف ولم يغير منه شيئاً حرصاً على قيمته التاريخية » ، لم يلبث ان تناسى ما رهن لسانه به حرًا مختارًا ، واطلق العنان لقلمه في تغيير ما عنّ له دون اقلّ تورّع او تحرّج ولم يقتصر فقط على التصرّف بلغـة الكتاب ، بل تعدّى الى بعض المواضع التاريخية فاسقط بعضاً وبدّل بعضاً . وكنا نظيره قد نسخنا من مخطوط باريس ، في ما عدا القسم التاريخي ، كل ما رأينا فيه الفائدة من تعريف حال المؤلف ووالده وحكاية بعض اخبارهما وما جرى لهما وعاينـاه في هذه الرحلة الطويلة الشقّة . فلما قابلنا ما عندنا على طبعة النخبة رأينا في هذه من الابدال والاسقاط والتغيير والتشويش وبعض السهو والنقصان ما صعب علينا تصديقه وخامرنا الشكّ من اجله في صحـة نسختنا وسلامتها تمـاماً من بعض الشوائب واغلاط النقل . فارجأنا الحكم في ذلك الى ان تتهيأ لنـا مراجعة المطبوع رأساً على نسخة الامّ في باريس .وقد انجزنا اليوم هذه المقابلة عارضنـا بها الروايتين كلمةً كلمةً وسطرًا سطرًا ، فثبت لنا بعد التدقيق ان ما نقمنا في البدء على النخبة المطبوعة صحيح لا جدال فيه ولا مراء..ولا يمكن الاعتذار عن صاحبها بانه نقل ما في النسخة الحلبية لانه صرّح في المقدمة انه اعتمد على نسخة باريس ، وهي التي شهد انها اصح النسخ واكملها واقدمها بل انها قـد تكون بقلم المؤلف نفسه . فالعدول عن مثلها الى رواية ضعيفة او مرجوحـة

لا يمكن ان يُعقل من مؤرخ لبيب نظير الخوري قسطنطين. فلا ريب اذًا ان النسخة التي ابرزتها لنا في هذا القالب الغريب مطبعة حريصا هي نسخة باريس المزعومة. ومما يشهد بذلك ان النسخة الحلبية تنتهي في الصفحة ٧٢، وما يليها الى آخر الكتاب منقول عن مخطوط باريس. ومع ذلك ففي هذا القسم الاخير نفس ما في القسم السابق من التبديل والحذف والتصرّف المنكر مما يدلّ على ان متولّي النقل والطبع هو المسؤول عن هذه المساوئ فرطت منه سهوًا على كثرتها وخطرها لقلة اكتراثه لها ولاعتداده اياها هنات يسيرة لاتمسّ جوهر الكتاب. وعلى كل حال فاقلّ ماكان يجب عليه ان لا يدعي في المقدمة انه ابقى الكتاب على اصله لم يغيّر منه شيئًا، كأنه يهزأ بقرّائه او يتورّع من قول الحق لهم. وما كان احراه ان يسكت عن ذلك كلّه، ويعترف صريحًا بتصرّفه بعبارة الشمّاس، ويستغني بمثل هذا الاقرار عن التماس العذر الواهن له لركاكة لغته، كأنه هو المؤاخذ بهفواتـه، ناسيًا انه لا تزر نفس وزر اخرى وان في شرع الكنيسة لا يُطالب الخوري بذنوب الشمّاس.

ولو اردنا ان نسرد كل الاختلافات والفروق التي وجدناها بين المطبوع ومخطوط باريس لامتدّ بنا نفس الكلام ولم يكفنا كتاب برمّته اذ كانت لا تكاد تخلو صفحة واحدة من بعض التغيير قلّ ام كثر. فلا مندوحة لنا عن الاكتفاء بامثال منها، وتعداد اهم ما رأينا الفائدة في التنبيه عليه من حيث اللغة والتاريخ. وقبل الشروع في ذلك لا غنى ايضًا عن تقديم بعض الشرح وتعريف انشاء الشمّاس بولس وهو الكاتب المغرور الذي كان يمني النفس بالتشبّه «باهل الفنّ في ترتيب تنسيق الاقوال» كما قال بلفظه في خطبة الكتاب. فكان اقصى همه الاكثار من الترويق والتنسيق كلما وجد اليها سبيلًا دون اقلّ مراعاة منه لمقتضى الحال. وكان، ككثير من كتبة زمانه المتحذلقين، يرى ان الفصاحة قائمة في الاستزادة من المترادفات وتكرار المعنى الواحد بالفاظ مختلفة لغير حاجة سوى المباهاة بكثرة المحفوظ منها. وان البلاغة الحقيقية منحصرة في التزام الاسجاع في كل معنى ولغير معنى، ولو بمخالفة كل ذوق وقياس. ولذلك جاء منها بالثقيل البارد ودسّها بين كل سدى ولحمة. واطال

بها ذيل رحلته بما كدر صفوها ، ويجعل المطالع والناقل لها يتبرّم منها ويحرج صدراً بكثرة اللغو والتكرار الفارغ وغلبة اللحن والسقط فيها ، فضلاً عن اعتراض بعض الالفاظ العامية والمصطلحات الحلبية الدخيلة من التركية، وهي ما لا يتهيأ فهمها وادراك معناها الصحيح لكل احد ممن حاول ترجمتها لقلة ألفته بها وعدم ورودها في المعاجم . وقد وقفنا على بعض صفحات نقلت الى الفرنسية من الترجمة الروسية بقلم وطنينا المرحوم جرجي مرقص الدمشقي فوجدناها لا تتبرأ من الوهم والخطإ في بعض مواضع تصحّف فيها الاصل عليه او اساء فهمها فاساء تأديتها . فما الظن بغيره من النقلة الاجانب !

ومن بعض الامثال على ولع الشمّاس بالمرادفات لغير طائل قوله (ص ٣٩) في كلامه عن اهل حلب : « اينعوا واثمروا ونموا وزادوا وتكاثروا » . وقوله (ص ٤٤) يصف عودة والده مطراناً الى حلب : « عاد بالابتهاج والحبور وقبله المسيحيون والتقوه بكل فرح ووقار وسرور » . وقوله (ص ٤٧) يصف ايضاً زيارته مع والده لاورشليم : « يا لها من حسن زيارة قضيناها بالفرح الرباني والسرور النفساني وبالتسبيح والتقديس والتهليل والصلوات المتصلة بالتلحين والترتيل » . ومثله (ص ٤٩-٥٠) « صار لحضرة معلّمنا حسن التقاء بغاية الاحتفال بتوقير وتكريم واحترام واجلال » . وقوله اخيراً (ص ٦٨) « لما نظر الاب السيد البطريرك تكاثر الديون وتفاقمها وازديادها على الكرسي الانطاكي وتراكمها » وهلم جرّاً من اشباه هذا اللغو السخيف الذي كان يستفرغ فيه جعبة محفوظه من اللغة دفعة واحدة .

واما السجع فقد بلغ من تهوّسه به انه التزمه في كل مقام ومقال حتى في حكاية بعض الاخبار التافهة وسرد بعض الارقام او في تأريخ الايام مما لا محل لاقلّ تأنق فيه . وربما خالف من اجله كل قياس كقوله (ص ٤١) « وقد تم هذا القول بغير اشتباه في هذا الاب الفاضل وابناه . » وفي (ص ٤٨) « خرجنا منها قاصدين مدينة صهيون والى الوصول اليها بالمجد ماضيون . » وله في نسخة باريس (ص ١١٧-١١٨) اربعون سطراً كاملة التزم فيها السجع بالنون ، ولعله اراد فيها تقليد فواصل القرآن . فجاءت مشحونة باقبح الاغلاط واشنع التخليط

والافساد . كقوله : « قلوب القاسيون . وشعورهم المضفورون . ولم يكون . ومع الموتى ماضيون . يا جابر المكسورون . انت خير الرازقون . مع العرب المجانون . ارحمنا نحن المساكون . » (جمع مجنون ومسكين لتوهمه ان الجمع القياسي مجانين ومساكين هو جمع المنصوب والمجرور فقط دون المرفوع) . وكثيراً ما كانت السجعة تجيء مقتسرة زائدة لا داعي لها كقوله (ص ٤٠) « بعد وصول السعاة الى حلب صيّره بطركاً عليهم وسمي افتيميوس ونجب . » وفي (ص ٤٣) « بعد ان وصل بالصحة والسلامة وقد شرطنه عليهم نهار الاحد . » وفي (ص ٥٥) « شرطن معه الفقير مترّخه ارشيدياكون اي رئيس شمامسة على مدينتي دمشق وحلب وساير بلاد العرب وخصصه بهذه الرتبة ووهب . » وكفى بهذه الشواهد دليلاً على طريقة الشماس وتعمله في اختيار هذه الاسجاع النافرة المختلّة .

وقد تتبع الخوري قسطنطين كثيراً من هذه التراكيب والفواصل فاصلح قسماً واسقط الآخر . والامثلة القليلة التي اوردناها كلها مغيرة في طبعته ، سردناها عن نسخة باريس . ومن اعمل النظر في النخبة لم يصعب عليه ردّ كثير من هذه الاسجاع الى نصابها ، وتبيّن له اسلوب الشماس في كتابة هذه الرحلة التي طمع ان يحذو فيها حذو العماد الكاتب او ابن عربشاه واضرابها في ما وضعوه من التواريخ المسجّعة الغريبة . فانه بنى اكثر فصولها على السجع بحيث كان الاخلال بجانب منه او تبديله هدفاً لبنيان عبارته وازالة لمسحتها الخاصة . ولا يخفى ما في ذلك من قلّة الامانة والافساد ولو عدّه البعض اصلاحاً .

ولا بأس زيادةً في الايضاح ان نورد ههنا انموذجاً بيّناً من هذا التصرّف الجائر الذي تصرّفه حضرة الخوري قسطنطين في بضاعة الشماس . وحسبنا ان ننقل جانباً من الصفحات ٥٤ و٥٥ و٤٤ و٤٥ يغنينا عن تتبع نظائره في سائر الكتاب . وقد جعلنا ازاء طبعة حريصا متن باريس لتسهيل المقابلة بينها . وبدأنا بالثاني اذ كان الاصل .

قال الشماس بعد ان ذكر وفاة البطريرك افتيميوس الصاقزي واستدعاء اهل دمشق لوالده مكاريوس ليكون خلفاً له :

ص ٥٤ب–٥٥

وكان الباشا حينئذ في الشام محمد باشا الكوبرلي المكرم الذي صار فيما بعد وزير اعظم

... وصار فيما بعد مجمع للراي والمشاورة وضبطوا جملة الديون التي بالدفاتر مسطرة اعني التي خلفت على المرحوم البطريرك الراقد فجمعت نحو ستة آلاف غرشاً بالربا والفوايد وضبطوا ايضاً جملة ما انفقوه على دفنه وتجهيزه وحشره وتجنيزه ومما أصرف عن اخراج البيوردي من الباشا باسم البطريرك الجديد كالعوايد وما اخرجوا على تقرير ذلك حجج شرعية برضاء المجمع اعني كافة الرعية وذلك لاجل عدم المنازعة والمقاومة حذرًا من تجديد الامور المتقادمة وكان جملة ذالك الاصراف غروشاً نحو من اربعة الاف فيكون جملة ما ترتب من الديون الافاً عشرة مضبوطة بجملتها محررة فقلبوها لاربابها بالفايدة وفي مدة قليلة صارت ثلثة عشر الفاً وزايدة وعلى هذا المبلغ المذكور قد ارهنوا التاجات الاربعة القديمي والكبيري والحلبي والاسطنبولي وبقية البدلات وآلة القدس اوهنوا

وكان في الشام محمد باشا الكوبرلي المحترم

... ثم انه صار فيما بعد مجمع للراي والمشورة وضبطوا جملة الديون التي بالدفاتر مسطرة اعني التي تخلفت على المرحوم البطريرك المتوفي نحو ستة آلاف غرش بالرباء والفوائد ثم انهم ايضاً ضبطوا ما انفقوا على دفنه وتجنيزه وحشره وما صرف على اخراج البيورلدي من الباشا باسم البطريرك الجديد وما صرفوا على تقرير ذلك في حجج شرعية برضا الجميع اعني كافة الرعية لاجل رفع المنازعة والمقاومة وحذرًا من تجديد الامور المتقدمة فكان جملة ذلك المصروف غروشاً نحو اربعة آلاف فيكون جملة ما ترتب آلاف عشرة مضبوطة محررة ثم انها (كذا) قلبوها لاربابها بالفوائد وفي مدة قليلة صارت ثلاث (كذا) عشر الف غرش وزيادة وعلى هذا المبلغ المرقوم رهنوا جميع التاجات الاربعة القديم والكبير والحلبي والاستانبولي مع بقية البدلات وآلة القدس

ص ٤٤ - ٤٥

اقام السلطان في حلب ستة عشر يوم وما كانت الا كانها رؤية في النوم لان بقدومه قدم الخير وفيا واخصب بها حينئذ كل شي. وصار طالع سعودها بوجوده سميا	اقام السلطان في حلب ستة عشر يوماً وما كانت الا كانها رؤية في المنام لان بقدومه قدم الخير الوفي واخصب فيها كل شي وصار طالع سعودها بوجوده

ص ٤٥

وذاعت الاخبار السارة المبشرة بالظفر في كافة البلاد وزينت جميعها سبعة ايام بفرح وافر الازدياد ثم عاد الى كرسيه ظافراً مشفا واقام في قسطنطينية نصف سنة وتَوَفّى	وذاعت الاخبار السارة المبشرة بالظفر في كافة البلاد وزينت جميعها جملة ايام بافراح وافر الازدياد ثم عاد الى كرسيه ظافرا واقام في مدينة القسطنطينية سنة ونصف وتُوُفي

وهذا الشاهد الاخير وحده كافٍ للدلالة على ما اصاب متن الرحلة من التبديل والافساد فقد أسقطت منه سجعة اولى « مشفا »، واستعيض بثانية « تُوُفي » عن « تَوَفّى »، وجعل مكان سبعة ايام «جملة ايام »، وفي موضع نصف سنة « سنة ونصف ». واشباه هذا التحريف والتشويه كثيرة في سائر الكتاب.

ومن امثال المواضع التي اختلّ مبناها والتبس معناها بالتقديم والتأخير او غيّرت فيها بعض الاعداد قوله (ص ٤٧) « قلالي القديس ماري قونن اعني به ذلك الذي حبس الشياطين في الجرار البستاني وهي تقر في جبل.» وفي الاصل: « قلالي القديس ماري قونن البستاني وهم تقر في الجبل . اعني به ذلك حبس الشياطين في الجرار.» وشتّان بين الروايتين . وقوله (ص٦٥) في كلامه عن خراج اهل غزة « قدره اربعماية وخمسة ثمانين اسماً.» وانما هو في نسخة الام « ماية وخمسة وثمانين اسماً » . ومثله في بيان اجزاء طبخة الميرون «قرنفل جيد عشرون درهم » وفي الاصل « ثلاثون درهم ».

ومما غيّره خطأً وهو صحيح في الاصل « الافاوه» بدلًا من«الافاويه» (ص ٩٧—٩٨) والعود الهندي « القافلي » بالفاء عوضاً عن « القاقلي » بقافين (ص٩٩)

و« جصلبان » بدلاً من « حصى لبان » (ص ٩٠) و« الماء المقدس » في مكان « الماء السخن » (ص ٩٧) . وقوله عن جباة الخراج « عيشتهم من السلطنة على كيس المسيحيين » ، وفيه تناقض . والاصل « من السنة للسنة » (ص ١١٣) . وكتابته « ارمقان » بالقاف عوضاً عن « ارمغان » بالغين (ص ٧٠) ويظهر انه لم يدرك معنى هذه اللفظة لانها وردت في عبارة اخرى « وفروا علينا ارمغان كثير » فحذفها وكتب مكانها «وفروا كثيراً علينا» (ص ٨٣) ، والكلمة دخيلة من التركية بمعنى الهدية . وفي تاريخ يشبك الظاهري (خزانة باريس رقم ٦٠٢٦) « جهزوني اليه ومعي ارمغان في مقابلة هدية » (ص٢٥) ومثله: «توجهت لخدمته وجهز معي ارمغاناً يليق به » (ص ٣٢) . وفي ثامن « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي طبعة شيكاغو : « خرج نور الدين من دمشق يتصيد في ارض قطيا ويعفور ... واذا برجل اعجمي قد اقبل ... فلما وصل الى نور الدين وكان صديقه . قال اين الارمغان . فقال حاضر ... فاحضر قماشاً وعدة مماليك» (ص ٢٠).

وفي عبارة الرحلة عدة الفاظ وتراكيب عامية كان من حقها ان يُحتفظ بها وان لا تُمس باقلّ اصلاح ، لتبقى في جملة آثار اللهجات البلدية في عهد كاتبها . ومن بعض ما صحّحه منها الطابع « اندرت انا الفقير (ص ٨٤) ومــا يشيتك يا اخي (ص ٨٨) ومرغفة (ص ٩٦) ومُدَيونة (ص ١٠٦) والدين كلها له ينمو (ص ٦٥) ولايش ما كتبوه (ص ١١١) » وضع موضعهــا « درت . ومــا يشوقك . ومغرفة . ومدونة . والدين ما زال . ولسبب انهم .» وليته ابقاها على علّاتها ولم يكلف قلمه مثل هذا التصحيح الذميم .

ومما ظنه عامياً ولم يتوقف عن اصلاحه « الفعول » ، و« الاسكنــدراني » جعل في مكانها « الفعلة ، والاسكندري » . وقد جاءت الفعول في كلام صلاح الدين الصفدي المشهور في كتابه « الوافي بالوفيات » ، في ترجمــة الامير سنجر علم الدين القضاعي . قال « كان يستعمل الصناع والفعول ... ويقال انه وقع بعض الفعول من اعلى الصقالة بجنبه ومات فما اكترث له » (الجزء الخامس عشر من خزانة باريس رقم ٢٠٦٦ ص ٩٨) فالفعول جمع فاعل كشهود وشاهــد ،

وتوول وتازل ، وحضور وحاضر . ووردت نسبة الاسكندراني في كتب كثيرة « كالدرر الكامنة » لابن حجر العسقلاني ، و«عيون التواريخ » لابن شاكر الكتبي و« الاغاني » . قال الاصمعي لما انشده اسحق الموصلي بيتين من الشعر «هذا الديباج الخسرواني . هذا الوشي الاسكندراني » (الخامس من الاغاني ص٧٥-٧٦) افلا يرى حضرة الاب قسطنطين ان للشماس بولس المسكين اسوة بهذين الامامين ؟

وقد اسقط مرارًا عبارات كاملة بل اسطرًا برمّتها ، واخلّ بالمعنى المقصود منها او نقص من مدلولها كما في الصفحات ١٨ و٥٤ و٦٢ و٨٣ و٩١ و١٠٢ و١٠٥ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و١١٢ و١١٣ . وفي الصفحة ١٠١ وحدها ١٢ سطرًا ناقصة . ولا بأس ان نثبت هنا ما جاء في الصفحة ١١٢ ليرى المطالع كيف اضاع النقص بعض فوائدها . وقد اشرنا الى العبارات الساقطة منها قال: « وفي زمن وكالتي . . . مات خمسة من كهنة دمشق . وكانوا في بتدا بطركية سيدنا البطرك نحو ثلاثين كاهن فات منهم للآن خمسة عشر رحمهم الله . وكنت اعمل في نياحهم وبعد دفنهم عادة تلك البلاد . واجيب للحاضرين خمر وبقساط . واسقيهم ثلاثة عن روح المايت . . . وكانوا الكهنة يتخطون على بعضهم بعض في خدمة جمعتهم ويدفنون الاموات ويعمدون ويقندلون بغير اذن صاحب الجمعة . وبغير اذن الوكيل . فمنعتهم من ذلك . ولكن كل الامور التي تصدر في تلك الجمعة يقضيها ذلك الكاهن لشور الوكيل . وصار في ذلك نفع كلي » .

وسيأتي في الكلام على الاستدراكات التاريخية ما هو اعظم شأنًا واسوأ مغبّة .

الاعلام الساقطة او المحرّفة

(ص ٥٩) طلع الى عبرا . وفي نسخة باريس : « طلع الى الحارة والى عبره »

(ص ٦٢) خرجنا الى غزير ورجعنا الى الديارة . وفي الاصل : « الى البربارة »

(ص ١٠٤) اسقط اسم « نقولاوس مطران عكار » في جملة من حضر المجمع الملتئم للحكم على مطران حمص ابن عيش ، كما هو مثبت في الاصل .

(ص ٦٩) شرطن الخوري ناصر الحموي على كرسي عكار . وانما هو «ناصر الحمصي»

(ص ١١١) وصل الى ادنة . وهي في نسخة الام « ادرنة »

(ص٦٧و١٠٩) معرونة للقرية المعروفة بقرب دمشق. وفي الاصل « معرونيه» كما في كل المخطوطات القديمة.

(ص ٦٢) مرمريتا بدلًا من « مرمنيتا » كما وردت في اقدم الكتابات.

(ص ٨٤) ابتدينا في وفاء الديون ناصر (كذا) ذولهم كان علينا لبيت الخواجا نامر الدين . والصواب « ابتدينا في وفاء الديون فاولهم كان علينا لبيت الخواجا ناصر الدين »

(ص ٤٦) بوتيليا حد بلاد المسكوف (بيائين مثناتين) وانما هي «بوتبليا» (بباء موحدة بعد التاء) حد سنار المسكوف Poutivl

(ص ٣٥) الشيخ جرجس بن سورد. وفي نسخة الام « جرجس ابن سوروا » (بواو بآخره والف) وهو الرسم المحفوظ في « علم بيان تاليد ذرية السيد ابرهيم المكنى بابن سوروا وزيجته . وذلك نقل من كتاب بخطه موجود يومئذ عند كاتبه ابرهيم خبيه ابن ابن المرحوم المذكور » (*Bibl. Bodl. LVI*) وهذا الرسم نفسه بالواو والالف يرى في ختام « كتاب مواعظ اثناسيوس بطريرك اورشليم » رقم ٩٩ من مخطوطات دير صيدنايا بقلم « الحقير في الكهنة باسم خوري ابرهيم المكنا باسم سوروا احد خدام كنيسة دمشق سنة ١٧٠٥ للمسيح ».

الاغلاط التاريخية

هي من اهم ما اعتور هذا الكتاب الذي أُريد بنشره خصوصاً خدمة التاريخ . واذا كان لا مناص في مثل الحال التي نُسخ فيها من وقوع بعض التحريف والتبديل في تمثيل متنه اللغوي فالخطب على هوله احياناً يهون اذا قيس بخطب تشويش رواياته التاريخية او اغفال جانب من اوضاعها ، ولاسيما على يد عارف بما يترتب على هذا النسخ والمسخ من الفساد والتخليط . وحسبنا تعريفاً بمقدار تفريط الطابع وقلة مبالاته بمطابقة نسخته على مسودة المؤلف التي كانت بين يديه في باريس — وقد آلى على نفسه ان يحتفظ بها دون « ان يحذف او

يغير منها شيئاً » كما صرّح بلفظه في المقدمة - ان نعدّد ههنا كل القرطات التي اتفقت له في صفحة واحدة وهي الصفحة ١٨ من طبعته.

واول ما غيّر منها في السطر الاول تاريخ موت البطريرك يواكيم الانطاكي، ضبطه الشماس بالقلم سنة «ستة آلاف وتسعماية وثلاثة وثلاثين للعالم» (١٤٢٥م)، ورواه الطابع بالارقام ٦٩٣٥ (١٤٢٧ م) اي بعد سنتين.

وبعد ان نقل الشماس وفاة البطريرك يواكيم المذكور عن كتاب قديم قال: «وفي كتاب آخر غيره انه في سنة ٦٩٣٥ كان مدبر الكرسي الانطاكي البطريرك كير مرقص. وكان على زمانه كير يوسف بطريرك القسطنطينية. وكير فيلوثاوس بطريرك الاسكندرية. وكير ثاوفيلوس بطريرك اورشليم.» فجعل الطابع سنة ٦٩٣٦ بدلاً من ٦١٣٥ وحذف العبارة «كان مدبر الكرسي الانطاكي البطريرك كير مرقص» بكمالها بحيث اسقط اسم البطريرك مرقص من جملة بطاركة انطاكية. وذكر «يواكيم» بطريرك اورشليم في مكان «ثاوفيلوس». فارتكب في ثلاثة اسطر من المتن اربعة اغلاط تاريخية ذات شأن. ثم اضاف اليها في الصفحة نفسها خطأً خامساً اضاع به فائدة خطيرة. وهو انه اغفل، بعد حكاية كلام الشماس على مجمع فلورنسة، ان ينقل سطرين له نصّ فيها على وفاة البطريرك دروثاوس. وهما بعد السطر الاخير من المطبوع: «وتوفي هذا البطريرك المذكور نهار عيد مولد السيدة ثامن ايلول سنة ستة آلاف وتسعماية وستين للعالم الموافق عاشر شعبان سنة خمس وخمسماية للهجرة».

ومن الارقام التي غيرها ايضاً اعتباطاً بغير حجة سنة حياة البطريرك دروثاوس، جعلها ٧٠٣٩ وهي في متن الشماس ٧٠٤٩ (ص ٢٢) ومثلها سنة رسالة البطريرك ميخايل الحموي الى الكردينال ستناسڤرينو الواردة في حاشية الصفحات ٣٣-٣٥ وهي في اصلها المصوّر عندنا مضبوطة بالقلم «الف خمساية ستة وثمانين» فقدمها وجعلها ١٥٨٥. وكان قبلاً في سنة ١٩٠٩ قد نشر في مجلة المشرق (ص ٦٢١) ذيلاً على مقالة مطارنة صور اشار فيه الى الرسالة المذكورة وروى هنالك تاريخها ١٥٨٣ بتقديم ثلاث سنوات. وهذا المثال وحده كافٍ لبيان تسرّع حضرة الخوري قسطنطين في الرواية والاثبات وقلة توقيه

في النقل .

ومن فرطاته ايضاً في التوقيت نقله سنة ٧١٢٠ للعالم (١٦١٢ م) لرسامة ملاتيوس كرمه مطران حلب (ص ٣٩) دون ذكر اليوم والشهر ، وهما كما في الاصل « ثاني عشر شهر شباط » . وكتابته ١٢ ت ٢ (ص ٤٦) بدلاً من « ثاني وعشرين » شهر تشرين الثاني في تعيين يوم خروج المطران ملاتيوس من حلب . وروايته سادس عشر ايار (ص ٦٧) عوضاً عن « سادس شهر ايار » في تاريخ رسامة جراسيموس اسقف الزبداني والفرزل . ومثلها ايضاً ذكره في حاشية الصفحة ٧٣ ان البطريرك مكاريوس الحلبي بلغ القسطنطينية في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٥٢ . ولو كلف نفسه مراجعة رحلته لقرأ فيها قول البطريرك بلسان ولده الشماس بولس «دخلنا القسطنطينية ضحوة يوم الاربعا عشرون تشرين الاول . وكان لنا عن حلب يومئذ ثلاث شهور تمام» (ص ١٥ من الاصل) . وكان سفره من حلب عشية الخميس تاسع عشر تموز كما جاء في الصفحة ٧٠ فيكون وصوله اذاً للقسطنطينية في شهر تشرين الاول بلا مراء .

وهذه الاغلاط والتبديلات التاريخية وحدها، فيما عدا ما تقدمها من التخليط والتشويش في المتن، كافية للاقناع بفساد هذه النخبة ، وكثرة تصرّف الطابع فيها تصرّفاً تجاوز فيه كل حدّ واخلف به كل ظن ووعد . فلا سبيل اذاً للركون اليها او الاخذ عنها لمخالفتها الاصل المخطوط كل المخالفة . ومن ثم لا بد من ابتغاء طبعة اخرى تكون اصح نقلاً واتم رواية وادعى الى الثقة والاطمئنان .

وسنرى في مقالة ثانية هل كان البطريرك مكاريوس كاثوليكياً كما زعم حضرة الاب قسطنطين .

العلم في الحيرة

مدارس الحيرة ، الخط الحيري ، الشعر والامثال والخطابة

بقلم يوسف غنيمه (بغداد)

توطئة

الحيرة منزلة رائعة في تاريخ العراق وتاريخ العرب ونهضة آداب لغة الضاد في بضعة قرون من الجاهلية حتى ظهور الاسلام ، كما انَّ لتاريخ النصرانية في هذه المملكة شأناً عظيماً لانتشارها في هذه الديار انتشاراً عجيباً حتى دان بها الملوك اللخميون المعروفون بالمناذرة . وكان المناذرة في العراق عند ملوك العجم ما كان الغساسنة في سورية عند ملوك الروم .

فهذه الخطورة التاريخية حملتني على وضع كتاب مسهب في تاريخ الحيرة المدينة والمملكة العربية . وددت ان انشر بعض فصوله ، قبل طبعه ، لاقف على انتقاد العلماء الاعلام وآرائهم الصائبة في الموضوع . وقد خصصت مجلة «المشرق» الغراء بهذا الفصل ، واليكه :

ليس لدينا من المعلومات الضافية ما يؤهلنا لعقد فصل كامل عن الحركة العلمية في الحيرة ايام عزّها وازدهار ملكها . الّا ان نتف الاخبار المنثورة في مرويّات الاقدمين تلقي اشعة ضئيلة تضيء بنورها هذه المجاهل ، فتظهر لنا حاضرة المناذرة مركز علم ومدارس وادب ، ومدينة استنباط والهام .

كيف لا يشرق نور العلم من هذه المدينة التاريخية وكل مروّجاته فيها .

فانها ورثت العلم والعرفان من بابل واثور المنقرضتين. ومعظم سكانها عرب والعرب، ذوو القرائح الوقّادة، كانوا يتبارون في ايام عزها باشعارهم ومعلقاتهم ومجمهراتهم، ويتناشدون قصائدهم في سوق عكاظ. وجيران الحيرة يهود بابل لهم مدارسهم الدينية الزاهرة في سورا او نهر دعة وفم البداءة او فم البادية (بباديته). والاكاسرة يبذلون جهودهم لاقتباس معارف الامم وترجمة كتبهم. وفي هذه التضاعيف طبقت الخافقين شهرة مدارس النصارى في الشرق كمدارس الرها[1] ونصيبين[2] والمدائن، وانشئت المدارس في المدن الاخرى ايضاً حتى في القرى[3]. وكانت الديارات نفسها معاهد زهد وعلم في الوقت ذاته. وملوك آل نصر انفسهم يجزلون عطاياهم على الشعراء الذين يقصدونهم ويمدحونهم باشعارهم.

مدارس الحيرة

تعزّز الشواهد التاريخية الوضعية هذه الاستنتاجات عن النهضة العلميـة في الحيرة. فقد جاء عن مدارس الحيرة في كتاب العفة ان ايليا الحيري، مؤسس دير مار ايليا بالموصل، درس العلوم الكهنوتية في مدرسة قريته[4]، ومار عبدا الكبير درس في مدرسة الحيرة[5]، وانّ المرقّش الاكبر، وهو ابو عمرو الشيباني، واخاه حرملة درسا الكتابة على نصراني من اهل الحيرة[6]. وكان زيد بن عدي قد حذق الكتابة العربية في الحيرة، وكان زيد هذا اول من كتب العربية في ديوان كسرى[7]. وكان يتعلم اولاد الحيرة الكتابة والقراءة في مدارسهم في وقت كان يجهلها اكبر شعراء العربية. وهذا المتلمس الشاعر الطائر الصيت كان يجهلهما، فطلب من صبي من اهل الحيرة ان يقرأ الصحيفة التي كتبها له الملك عمرو بن هند، وكان فيها هلاكه، فلما علم مضمونها هرب ونجا[8]. وعا

1) R. Duval, *Hist. politique, religieuse et littéraire d'Edesse* p. 176
2) ادى شير: مدرسة نصيبين الشهيرة و Chabot, *L'Ecole de Nisibe*
3) ادى شير: تاريخ كلدو واثور ٢: ١٦٩
4) طبعة شابو: العدد ١٩
5) ادي شير: تاريخ كلدو واثور ٢: ٢٦٦
6) الاغاني ٥: ١٨١
7) الاغاني ٢: ١٩
8) الاغاني ٢١: ١٢٥

يدل على ان المدارس كانت في الكنائس ما جاء عن خالد بن الوليد انه في مسيره من عين التمر وجد في بيعة قرية من قراها اسمها النقيرة صبياناً يتعلمون الكتابة، وكان فيهم عمران مولى عثمان بن عفان[١]. وهذا يؤيد ما قاله دوڤال: ان السريان النصارى كانوا يذهبون للدراسة في المدارس الملحقة بالكنائس والديور[٢]. وقد ذهب العرب الى ابعد من هذا اذ قالوا ان اول من كتب منهم بالعربية حرب بن امية بن عبد شمس تعلم من اهل الحيرة، وتعلم اهل الحيرة من اهل الانبار[٣].

الخط الحيري

لم يقتصر فضل الحيريين على الدرس والتعليم في معاهدها بل لهم مأثرة خالدة على اللغة العربية وكتابتها. فقد كان للخط العربي تطوّرات قبل ان يصل الى حالته الحاضرة. ومن اوليّات تطوّراته الخط الحيري او الانباري او الجزم. وقد شهد بذلك كثير من المؤرخين العرب. قال البلاذري: « اجتمع ثلاثة نفر من طيئ ببقة[٤]، وهم مرامر بن مرة، واسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة[٥]، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه منهم قوم من اهل الانبار ثم تعلمه اهل الحيرة من اهل الانبار. وكان بشر بن عبد الملك اخو اكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقم بها الحين وكان نصرانياً فتعلم بشر الخط العربي من اهل الحيرة ثم اتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وابو

١) معجم البلدان: مادة « نقيرة » ٢) R. Duval : *Litt. syriaque*, p. 4

٣) المزهر للسيوطي ٢ : ٢١٥.

٤) ويذهب ابن النديم، في الفهرست ص ٤، الى انهم كانوا يسكنون الانبار.

٥) ان هذه ليست اسماء واضعي الخط بل الفاظ الابجدية او العلمية لقبهم بها المتخرجون عليهم او تلامذتهم بالسريانية ولما جهل معناها العرب ظنوها اعلاماً لهم فعرفوهم بها. والحقيقة ان اسم مرار بن مرة منحوت من (مارا مارى بر مارى) ومعناها « سيد السادة ابن السيد » وبعبارة عربية تقابل المعنى السرياني « شيخ شيوخ العلم ابن حامل لواء العلم » واما اسلم بن سدرة فهو تصحيف « شليما بر سدرا » بمعنى « التام العلم الخطاط »، وعامر بن جدرة تصحيف « عمرايا بر جدرا » ومعناه « الماهر الحاذق او الماهر ». (راجع مجلة لغة العرب مجلد ٢ : ٤٢٨)

قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلّمها الخط فعلمها الهجاء. ثم اراهما الخط فكتبا[١].

اللغات في الحيرة

ومما لا ريب فيه ان الحيرّيين كانوا يتعلمون اكثر من لغة واحدة. فكانوا يتقنون العربية لأنها لغتهم، وكانوا يتعلّمون الارمية اي السريانية، وهي لغة بيعتهم وصلواتهم كما انها لغة الانباط منهم يتكلمونها في بيوتهم. ان مدارس الحيرة الدينية علّمت هذه اللغة، ونحدس ان الحيريين ألفوا كثيراً فيها، ولكن طوارق الحدثان عفت ذكر معظم تلك الكنوز الادبية ولم يصلنا من آثارها الا النزر القليل. نسرد بعضها على سبيل المثال فان يوحنا الازرق، اسقف الحيرة في النصف الاخير من القرن السابع، ألف رسائل وكتاباً في التهذيب الرهباني[٢]. وألف حنين بن اسحق العبادي الحيري كتاباً في الطب ومعجماً بهذه اللغة، وترجم من الكتب اليونانية الى الارمية كما ترجم الى العربية[٣]. وألف حنا نيشوع بر سدوشاي، اسقف الحيرة حوالي سنة ٩٠٠ م، معجماً ارامياً استشهد به بر بهلول في كل صفحة من صفحات معجمه[٤]. وألف حنا نيشوع مباحث في الكتاب المقدس ايضاً[٥].

ولتناسق الموضوع ننقل ما جاء في كتاب الآداب السريانية[٦]، رواية عن ايشوعداد اسقف الحيرة، في ترجمة الكتاب المقدس المعروفة بالبسيطة قال: ان العهد القديم ترجم في عهد سليمان النبي بطلب من حيرام ملك صور ما خلا اسفار الايام والانبياء. فانها ترجمت في عهد ابجر ملك الرها[٧].

وكان بين الحيريين من يتكلم الفارسية للروابط السياسية والادارية

---

١) البلاذري: فتوح البلدان: ٤٧١؛ والمزهر للسيوطي ٢: ٣١٥؛ ومقدمة ابن خلدون: ٤٥٨؛ والعقد الفريد ٣: ٣٠٣

٢) بطرس نصري: ذخيرة الاذهان ١: ٢٧٨

٣) دوفال: الآداب السريانية: ٢٨٦ ٤) كذلك: ٣٠٢

٥) كذلك: ٣٩٦ ٦) ص ٣٤

٧) السمعاني: المكتبة الشرقية، جلد ٣: الفقرة الاولى: ٣٤ وما بعدها.

والعلائق التجارية بين الحيرة ودولة الاكاسرة ولقرب عاصمتها من حاضرة المناذرة . ومن الشواهد التاريخية على معرفة الحيريين اللغة الفارسية ان ترجمان القائد رستم الفارسي كان من اهل الحيرة اسمه عبود ترجم بين رستم وبين المغيرة سنة ١٤ هجرية[١] . لا بل ان الآداب الفارسية العالية كانت معروفة في الحيرة فتعلم النضر بن الحرث بن كلدة في سفره الى الحيرة علوا. رستم[٢] . ولما رجع الى الحجاز في صدر ايام البعثة اخذ يقرأ اخبار العجم ويقول: «محمد يأتيكم باخبار عاد وثمود وانا آتيكم بخبر الاكاسرة» يريد بذلك اذى النبي. وأسر النضر في واقعة بدر الكبرى وامر النبي عليّ بن ابي طالب فقتله لهذا السبب[٣] .

وكان بين الحيريين من يعرف اليونانية. هذا فضلاً عن ان اليهود منهم كانوا يعرفون العبرية .

ولم يجهل الحيريون اقتباس العلم والعرفان من الاصقاع المجاورة فكانوا يشدّون الرحال الى نصيبين وبلاد الروم حتى القسطنطينية[٤] ، او كانوا يستدعون المعلّمين[٥] ، ويستقدمون الفنانين من الاجانب[٦] .

وللحيرة منزلة تاريخية في آداب اللغة العربية سواء أكان بالشعراء الذين انجبتهم ، او بالشعراء الذين قصدوا ملوكها المناذرة للمدح والتقريظ ووصف البلاد والمعاهد ، او بالحوادث او الوقائع التي تمت في ارضها وقبائلها ، فالهمت الشعراء مواضيع للمعلّقات والمجمهرات والقصائد . كما ان في اللغة العربية عشرات من الامثال السائرة على الالسنة نشأت في الحيرة نفسها . ولتاريخ الخطابة العربية علاقة بملوك الحيرة . وها نحن نورد لمعاً ولمحاً من كل هذه الصنوف ، وان لم نتمكن من الاحاطة بمجموعها .

---

١) الطبري ٤ : ١٠٩

٢) C. Huart : *Hist. des Arabes I* : 108

٣) راجع التصريح والتبريزي والاغاني ١ : ٩ في الحاشية

٤) لابور : النصرانية في فارس ٢٢٥ ٥) الطبري ٢ : ٧٥

٦) معجم البلدان : مادة خورنق

الشعر العربي في الحيرة

من شعراء الحيرة عدي بن زيد العبادي (†٥٨٧ م)[١] ، وهو الذي ربّى النعمان بن المنذر ، وتزوّج بهند بنت النعمان ، وقتله بعد ذلك النعمان . وله منزلة في تاريخ الحيرة السياسي . وقد نظم القصائد الحسان ، واشهرها داليّته ، وهي من مجمهرات العرب ضمنها اجود الحكم ، ومطلعها :

أتعرف رسم الدّار من أم معبدِ   نعم ورماك الشوق قبل التجلّدِ

ولعدي بن زيد ولدان : زيد[٢] وعمرو ؛ وكان كلاهما شاعراً . واستعمل كسرى زيداً عنده ، واما عمرو فقتل يوم ذي قار .

ومنهم عدي بن مرينا[٣] معاصر عدي بن زيد . وكان ابن مرينا يحسد عدي ابن زيد على تقدّمه عند النعمان ، فكتب اليه :

ألا أبلغ عدياً عن عديّ   فلا تجزع ، وان رثّت قواكا
هياكلنا تبرُّ لنير فقد   لتُحمد او يتمّ به غناكا
فان تظفر فلم تظفر حميداً   وان تعطب فلا يبعد سواكا
ندمت ندامة الكسعيّ لما   رأت عيناك ما صنعت يداكا

ولامرئ القيس[٤] (†٥٦٥م) صلات سياسية بالحيرة وقربى بملوكها . فانّ جده الاعلى ، حجر آكل المرار ، ملك كندة ، حكم بكراً فانتزع من اللخميين ما كان بايديهم من ارض بكر بن وائل . وملك الحارث بن عمرو بن حجر الحيرة في عهد كسرى قباذ ، وطرد من عرشها المنذر ؛ الى ان حكم كسرى انوشروان فانتزع الملك من الحارث واعاده الى المنذر صاحبه المشروع . فانهزم الحارث وتبعه المنذر ، وبقي يطارده ويطارد رهطه حتى ظفر بقوم منهم ، فامر بقتلهم فقتلوا بجفر الاملاك في ديار بني مرينا العباديين ، وفيهم يقول امرؤ القيس :

---

١) ترجمته في الاغاني ٢ : ١٧—٤٠ ، وشعراء النصرانية : ٤٣٩

٢) الاغاني ٢ : ٢٧ ، وشعراء النصرانية : ٤٧٣

٣) الاغاني ٢ : ٢٣ ، وشعراء النصرانية : ٤٤٩

٤) الاغاني ٨ : ٦٢-٧٤ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة : ٣٧ ، وخزانة الادب ٣ : ٥٣٢ ، وشعراء النصرانية ٦ ؛ والروائع : الجزء ٧ .

ألا يا عين بكّي لي شنينا   وبكّي لي الملوك الذاهبينا
ملوكًا من بني حجر بن عمرو   يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة اصيبوا   ولكن في ديار بني مرينا
فلم تُغسل جماجمهم بغسلٍ   ولكن في الدماء مرمَّلينا
تظلّ الطير عاكفة عليهم   وتنتزع الحواجب والعيونا

والتجأ امرؤ القيس الى ابن عمّته عمرو بن المنذر ، وامه هند بنت عمرو بن حجر آكل المرار ، وذلك بعد قتل ابيه واعمامه وتفرق ملك اهل بيته . وكان عمرو يومئذ خليفة لابيه المنذر ببقة ، فمدحه وذكر صهره ورحمه وانه قد تعلق بحباله ولجأ اليه . فأجاره عمرو ، ومكث امرؤ القيس عنده زمناً . ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه ، وانذره عمرو فهرب .

وروى مؤرخو الروم مثل نُنوز وبركوب وغيرهما انه ارسل وفداً الى يوستينيانس يطلب منه النجدة على اسد ، وعلى المنذر ملك العراق .

وهذا عمرو بن قميئة[1] (†٥٦٠ م) التجأ الى نصارى الحيرة اذ راودته امرأة عمه عن نفسه ، فنكر عليها طلبها تعففاً ، فما عتمت ان شكته ظلماً الى عمه فصار الى اللخميين ، وقال لعمرو بن هند : ان قومي اطّردوني . فقال له : ما فعلوا الا وقد اجرمتَ ، وانا افحص عن امرك فان كنت مجرماً رددتك الى قومك . فغضب وهمّ بهجائه وهجاء قومه بني المرثد . ثم اعرض عن ذلك ومدح عمه واعتذر اليه .

وكان المرقّش الاصغر[2] (†٥٧٠ م) كلفاً بفاطمة بنت الملك المنذر ، صاحب الحيرة ، وقد اكثر من ذكرها في شعره ولم يصلنا الّا القليل من نظم هذا الشاعر . ومن قوله فيها :

الا يا اسلمي لاصرم لي اليوم ، فاطما ،   ولا ابداً ما دام وصلك دائمًا

ومن شعراء اياد الذين حلّوا في الحيرة وانشدوا قصائدهم نذكر ابا دؤاد

١) الاغاني ١٦ : ١٥٨ – ١٦ ، وشعراء النصرانية : ٣٩٢
٢) الاغاني ٥ : ١٧٦ – ١٨٥ ، وشعراء النصرانية : ٣٢٨

الايادي[١] وهو من قدماء شعراء الجاهلية ، وقد جعل بعضهم تاريخ وفاته سنة ٥٢٠م[٢] . ونقل عنه ياقوت ابياتاً في دير السواء[٣] .

وقد جاء الحيرة المتلمس ، وهو جرير بن عبد المسيح الضبعي ، وبقي مع ابن اخته طرفة بن العبد عهداً عند ملكها عمرو بن هند . ثم حقد عليهما واراد اقصاءهما وارداءهما ، فدفع الى كل منهما صحيفة الى عامله في البحرين . فاعتقدا ان فيهما خيراً . الا ان المتلمس لم يلبث ان اوجس شراً ، فطلب الى غلام من الحيريين العباديين قراءتها فقرأها له ، واذا فيها : « اما بعد فاذا اتاك المتلمس بكتابنا هذا فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً . » ولما علم مضمونها القاها في النهر وهرب الى الشام[٤] . اما طرفة فلم يرض بفض صحيفته ، وذهب الى البحرين فلقي فيه حتفه . وللمتلمس اشعار في مدح وذم عمرو بن هند وفي مدح الغساسنة .

ومن شعر المتلمس قوله في طرفة لما قتله عامل عمرو بن هند في البحرين :

عصاني فما لاقى الرشاد ، وانما ... تبيّنُ من امر الغويّ عواقبُه
فاصبح محمولاً على آلة الردى ... تمجُّ نجيعَ الجوف منه ترائبُه
فإما تُخلّيها يُعالوك فوقها ، ... وكيف توقّى ظهرَما انت راكبُه !

ومن قصيدة له يهجو عمرو بن هند :

يـا آلَ بكرٍ ، الا للهِ أُمُّكُمُ ! ... طال الثواءُ ، وثوب العجز ملبوسُ

ومنها :

أُمي شآمِيَةً ، اذ لا عِراقَ لنا ، ... قوماً نودُّهم ، اذ قومُنا شوس .(٥

---

١) الاغاني ٢١ : ١٩١

٢) زيدان : الآداب العربية ١ : ٧٧ و١٥٥

٣) معجم البلدان : مادة « دير السواء » .

٤) ثمار القلوب للثعالبي : ١٧٣ . وقد ذكر كثير من الشعراء صحيفة المتلمس منهم الفرزدق لما كتب الخليفة مروان بصحيفة الى عامله بشأن ذلك الشاعر فقال عن نفسه :

الق الصحيفة ، يا فرزدق ، لا تكن ... نكداء مثل صحيفة المتلمس

وذكرها الابله الشاعر ، وشريح لمؤدب ابنه ، ويعقوب بن الربيع في مرثية جاريته ، واليه اشار الحريري في مقامته العاشرة اذ قال : « فنفضتها نفض المتلمس »

٥) أُمي : اقصدي ، يخاطب ناقته .

ومن قصيدة اخرى يهجو فيها عمرو بن هند

شرُّ الملوك وشرُّها حسباً | في الناس من علموا ومن جهلوا
الغدرُ والآفاتُ شيمتُه | فافهم، فعرقوبٌ له مثلُ.

وكانت وفاة المتلمس سنة ٥٨٠ م[1]

وعلى ذكر طرفة[2] بن العبد المتوفى سنة ٥٥٠ م[3] وهو صاحب المعلقة نقول ان لهُ ايضاً قصائد يهجو بها عمرو بن هند واخاه قابوساً منها:

فليتَ لنا مكان الملك عمرو | رغوثاً حول قبتنا تخورُ

الى ان يقول:

لعمرُكَ ان قابوس بن هندٍ | ليخلط ملكه نوكٌ كثير.

ومن الشعراء الذين ذهبوا الى الحيرة عبيد بن الابرص[4] في عهد المنذر بن ماء السماء. ووافق وصول الشاعر المدينة يوم بؤس المنذر فقتله. ومن شعره المأثور قصيدته البائية التي استنشده اياه المنذر قبل ان يقتله. مطلعها:

اقفر من اهله ملحوبُ | فالقُطبيَّاتُ فالذنوب

ومنها:

فكلُّ ذي نعمة مخلوسٌ، | وكلّ ذي امل مكذوب،
وكل ذي ابلٍ موروثٌ، | وكل ذي سلبٍ مسلوب،
وكل ذي غيبةٍ يؤوبُ، | وغائبُ الموت لا يؤوب.

وتعلّم المرقّش الاكبر المتوفى سنة ٥٥٢ م الكتابة في الحيرة كما مرّ بنا[5].

وجاء الحيرة المثقّب العبدي[6] (توفي ٥٨٧ م) ودخل على ملوك الحيرة ومدح منهم عمرو بن هند والنعمان ابا قابوس. ومن مدائحه لعمرو بن هند رائيته:

هل لهذا القلب سمعٌ او بصر | او تناهٍ عن حبيبٍ يُذّكَر

---

١) ترجمته في الاغاني ١٥٠:٢١، و ٢١ : ١٢٥ ؛ وشعراء النصرانية : ٣٣٠

٢) الاغاني ٢١ : ١٢٥–١٣١ وزيدان : الاداب العربية ١ : ١١٦

٣) [المشرق] ولعل الاصح انه توفي حول السنة ٥٦٩ (راجع الروائع ٢٤ : ج)

٤) الاغاني ١٩ : ٨٤–٩٠ ؛ وشعراء النصرانية : ٥٩٦. مات عبيدبن الابرص سنة ٥٥٥م.

٥) الاغاني ٥ : ١٧٩، وشعراء النصرانية : ٢٨٣

٦) شعراء النصرانية : ٤٠٠–٤١٠

ومنها :

والى عمرو ، وان لم آته ، تجلبُ المدحة و يغني السفر

ومن اشعاره في مدح عمرو بن هند قصيدته التي تُعدّ من مشوبات العرب السبع جاء في مطلعها :

افاطمَ قبل بينك ودِّعيني ، ومنعُكِ ما سألتُكِ ان تبيني

ومنها :

الى عمرو ، ومن عمرو اتتني اخي النجدات والحلم الرصين
فاما ان تكونَ اخي بحقٍّ فاعرفَ منك غثّي من سميني ،
والّا فاطّرحني واتخذني عدوًّا اتقيك وتتّقيني .
وما ادري اذا يممتُ وجهاً اريد الخيرَ أيهما يليني
هل الخير الذي انا ابتغيه ام الشرُّ الذي هو يبتغيني ؟

ومن مدائحه النعمان ابي قابوس قصيدته التي انتقاها صاحب المفضليات وفيها يقول :

الا ان هندًا امس رثَّ جديدُها وضنَّت ، وما كان المتاع يؤودها ،
فلو انها من قبلُ جادت لنا به على العهد اذ تصطادني واصيدُها .

ومنها :

فان ابا قابوس عندي بلاؤه جزاء بنعمى لا يحلُّ كنودُها
وجدت زنادَ الصالحين نتيجةً قديمًا كما بذَّ النجومَ سعودُها .
فلم علم اللهُ الجبالَ عصيّه اتاه باراس الجبال يقودها .

ونذكر منهم المنخَّل اليشكري[1] المتوفى سنة ٥٩٧ م . كان ينادم النعمان مع النابغة الذبياني ، وينشده القصائد . وكان النعمان يكرمه ويقرّبه اليه . غير انه كان يؤثر شعر النابغة على شعره . فسعى المنخَّل بالنابغة واوغر صدر النعمان عليه حتى همَّ بقتله . فهرب النابغة . وخلا المنخَّل بمجالسته ، الى ان ارتاب النعمان منه ، وقيل بل اتهمه بامرأته المتجرّدة . فاخذه ودفعه الى رجل من حرسه وصاحب سجنه يقال له عكبّ من بني تغلب ليقتله فعذّبه حتى قتله . وهو القائل من قصيدة له :

---

١) الاغاني ١٨ : ١٥٢ ؛ وشعراء النصرانية : ٤٢١

فاذا انتشيتُ فانني ربُّ الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني ربُّ الشويهة والبعير

وبين الشعراء الذين جاؤوا الحيرة حنظلة الطائي[1] (٥٩٠ م) . وحكايته معروفة مع المنذر بن ماء السماء . بلغ شاعرنا الحيرة يوم بؤس المنذر ، فاراد قتله بالرغم من ايادٍ بيضاء كانت لحنظلة على الملك . فاستمهله سنة حتى يدبّر امر بيته فامهله بكفالة شريك بن عمرو . ولما انقضى الحول اعدت العدة لقتل شريك عوضاً عن الطائي . وقبل انتهاء اليوم اقبل حنظلة براً بوعده . فسأله المنذر : ما الذي جاء بك وقد افلتَّ من القتل ؟ قال : الوفاء . قال : وما دعاك الى الوفاء ؟ قال : انَّ لي ديناً يمنعني من الغدر . قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية . وعلى هذا تنصَّر المنذر ، وتنصَّر معه اهل الحيرة اجمعين ، على رواية الميداني . ونسك بعد ذلك حنظلة ، وبنى له ديراً يعرف بدير حنظلة . لم يبقَ الّا القليل من شعر حنظلة ، ومما رواه ابو الفرج بن الطيب قوله :

ومهما يكن من ريب دهرٍ فانني ارى قمر الليل المعذَّبَ كالفتى،
يُهِلُّ صغيرًا ثم يعظُم ضوءُهُ وصورته، حتى اذا ما هو استوى
وقرَّبَ يخبو ضوءُهُ وشعاعُهُ ويمصح حتى يستترُ فما يرى.

(لها بقية)

---

١) الاغاني ٩ : ٩٨ ، و١٩ : ٧٨ و٨٨ ؛ وشعراء النصرانية : ٩٢

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية « Casti connubii »

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

٢

الزواج المسيحي او سرّ الزواج

٣

١٠ً استدراك وايضاح : المعنى الصحيح لتطوّر العقيدة

وقد يتسرّع من لا يعمل الفكرة في الامور مليّاً الى تقدير ما لم يخطر لنا ببال ، تحت النتيجة التي أدّى بنا اليها البحث التاريخي السابق ، فيتوهّم ان ماهية السرّ المجرّدة العامة ، على ما حدّدناها سابقاً ثم طبّقناها على القِران المسيحي ، كانت قبل القرن الثاني عشر ، بل في اوائل النصرانية ، منقّحة واضحة صريحة ، كما نجدها اليوم مبسوطةً في الكتب اللاهوتية ، منذ اثبت بطرس لومبار تحديده للسرّ عموماً في السفر الرابع من « حِكمه » ، حوالي العام ١١٥٠ .

لعمري انّ تعليلاً كهذا يكون وهماً محضاً واختلاقاً لا اساس له في النصوص التاريخية الصادقة ، بل فيها ما يكذّبه . من ذلك ما ورد للقديس بطرس داميانوس († ١٠٧٢) في عظته الـ ٦٩ : ثمّة يُطلق اسم السرّ ليس فقط على ما هو منه حقيقي ، كالمعمودية والزيجة ، بل على ما لا ينطبق عليه بحصر المعنى ، كحفلة مسح الملوك وسيامة الراهبات . وقد نحا نحو القديس المذكور كثيرون في القرن الحادي عشر الذي عاش فيه ، ومن قبله .

ولا تعجبنَّ فان الاعتماد في العلوم ، ولاسيما في اللاهوت ، على معنى الالفاظ ، كما يُستفاد من الاصطلاح ، لا على ماديتها المجرّدة فقط .

ولم تكن الحقيقة الراهنة لتحتاج ، في الدفاع عنها ، الى ان تُضخَّم . بل انَّ ما يُزاد مجاناً على واقعيَّتها يؤذيها لا يجديها نفعاً .

تؤمن وتُعلِّم الكنيسة المقدسة انَّ الزواج المسيحيَّ هو سرٌّ حقيقي . ولا حاجة البتَّة ، كيما ندفع عنها تهمة اختراع العقيدة واختلاقها ، ان نعثر ، في الاسفار المقدّسة او في آثار التقليد ، على تعليمها المذكور واضحاً منسَّقاً مصرَّحاً باوضاع علمية فلسفية ، كما ورد مثلاً في مؤلفات القديس توما الاكويني او في تحديدات المجمع التريدنتيني . بل حسبنا ، للبلوغ الى غايتنا ، أن نجد في النصوص المنزلة والتقليدية اصول هذا التعليم ذاته . وقد تكون هذه الاصول ، في مناهلها ، مشتتةً غامضةً . ولا عجب . فقد قال القديس بطرس انَّ « في رسائل اخيه الحبيب بولس » بالرغم من « الحكمة التي أوتيها . . . أشياء صعبة الفهم » وكذا ايضاً « في سائر الكتابات . »[1] وما يقول هامة الرسل في الاسفار المنزلة نستطيع ان نطبقه ايضاً ، مع حفظ النسبة ، على مصادر التقليد ، ولاسيما اذا كانت قديمة العهد جداً ، تحتوي بعض الاحيان تلميحات الى وقائع وظروف قد يفوت معناها حتى جهابذة التفسير .

والى مثل هذه الاصول قد يعمد المسيحيون ، ولاسيما المفكرون منهم ، فيعكفون على درسها مليًّا ويحاولون جمع شتاتها ، اذا ما كانت متفرّقةً ، ويقابلونها بعضاً ببعض ، ويجدّون في استطلاع حقيقة معناها وشرحها ، على ما أوتوه من اساليب العلم والحكمة . فتارةً يُصيبون المرمى وتارةً يخطئونه . وقد تقوم بينهم المجادلات والمناقشات وتستغرق في بعض الاحوال احقاباً واجيالاً . وفي اثناء ذلك لا تفتأ السلطة الكنسية المعلّمة ، التي وكل اليها المسيح ان تسهر على الايمان والاخلاق ، ترقب حركاتهم وسكناتهم . ثم يأتي يومٌ ترى فيه أنَّ زمن الاخذ والردّ قد انقضى وانَّ الابحاث قد نضجت وحان لها ان تبتّ الامر .

---

١) ٢ بطرس ٣ : ١٥-١٦

فاذا ما لفظت حكمها كان القول الفصل ، وخضع له كلُّ الـذين لم ينسهم الكبر والتعنت قول المسيح الى بطرس : « كل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات » [١] والى جمهور معلّمي الكنيسة ، اي الاساقفة خلفاء الرسل : « تلمذوا . . وعلّموا . . وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر . » [٢]

قال آباء المجمع الفاتيكاني [٣] : « ليس تعليم الايمان ، الذي اوصى به الله ، بمثابة مخترَع فلسفي يُبسط فيُترك للاذهان البشرية تكمّله ، بل بمثابة مستودَع الهيّ مسلّم الى عروس المسيح لتحفظه امينةً وتُصرّحه معصومةً . ومن ثمّ فالعقائد المقدّسة يجب ان يُحفظ دائماً لها ذاك المعنى الذي صرّحته ، في حين من الاحيان ، امّنا الكنيسة المقدّسة ، وليس لاحدٍ ابداً ان يدّعي ويحتج بما قد يكون أُوتي من فهم اسمى فيحيد عن المعنى هذا . « فلينمونَّ اذن . . . ويتقدّمنّ كثيراً شديداً ، في الافراد وفي الجميع ، في الانسان الواحد كما في الكنيسة جمعاء ، على مدى رقيّ الاجيال والقرون ، الفهم والعلم والحكمة : على شرط ان تنحصر هذه ضمن نطاق جنسها لا تتعدّاه ، اي ضمن نطاق العقيدة الواحدة والمعنى الواحد والرأي الواحد . » [٤]

ذاك هو المعنى الصحيح لتطوّر العقائد في الكنيسة . ومؤدّاه انّ الحقائق الموحى بها من الله لا يعتريها جمود ولا يُضاف اليها دخيل اجنبي . لا يعتريها جمودٌ لانها تنمو وتحيا في ألباب المؤمنين ، فانهم يزدادون يوماً عن يوم فهماً لها واستيعاباً لفحواها ، بل قد يكون منها ما يُلمّ به مؤمنو الغد ولم يلمحه مؤمنو اليوم . الا انها لا يشوبها الدخيل الاجنبي لانّ ما فهمه اهل جيل ما احسن من سلفائهم لم يشوّهوا له معنًى ، بل انما اتقنوا ادراكه اكثر من سواهم ، وما عثروا عليه مما قد جهله الذين سبقوهم ، لم يخترعوه بل انما اكتشفوه ، بالجدّ والدرس ، في مستودع الوحي الذي تسلّمته جماعة المسيح من رسله الاطهار .

---

١) متى ١٦ : ١٩ ٢) متى ٢٨ : ٢٠
٣) الجلسة الثالثة ، الفصل الرابع في الايمان والعقل ، في مجموعة دنزنكر ع ١٨٠٠
٤) طالع انذار فنسان الليريني ع ٢٣ ، مين ل ٥٠ : ٦٦٨

وقصارى القول ان تطوّر العقائد المشروع لا يُولد به تبديل الحقائق الموحى بها ولا زيادة عددها بل ازديادهـا هي وضوحاً وازدياد المؤمنين لهـا فهماً واستيعاباً ، تحت مراقبة الكنيسة وبفضل تعليمها المؤيّد من الروح القدس[1] .

وقد شبّهوا العقائد الكاثوليكية ، في تطوّرها ، بسفينة تسير مقبلةً الى الساحل . فما دامت تمخر بعيداً ، لا يراهـا جلياً الذين على الشاطئ ولا يميزون جميع ما فيها وعليها . لكنهم كلما اقتربت منهم وحدّقوا اليها ، تتجلى امامهم بجملتها وبما عليها . وقد يتسنى لهم ان ترسو في الميناء فيلجونها ويجولون فيهـا ويستطلعونها بما فيها ومنها . فهل يكونون اذ ذاك قد زادوا عليهـا ام بدّلوا منها شيئاً ؟

١١ تطبيق المبدأ الصحيح لتطور العقائد على سرّ الزواج

وطبقاً لهذا المبدأ عينه لم تتوصل الكنيسة المقدّسة الى تحديد حقيقة سرّ الزواج ، الا بعد ان تحقّقت وجود اصولها في مصادر الوحي ، اي في الكتاب المقدس وآثار التقليد . وانما قوام هذه الاصول بالمعلومات التالية :

ا – رسم المسيح للزواج

من الايمان ان المسيح ، حيث امر بوحدة العقد الزوجي وحرّم حلّ رباطه ، قد قدّسه واعاده اليه كماله الاصلي كما رسمه الله منذ البدء . فيكون هـذا رسم الزواج من المسيح ، رسماً ثانياً ، ولا شكّ ، بالنسبة الى الرسم الاول الذي يرتقي الى عهد الفردوس الارضي ؛ الا انه رسمٌ حقيقي .

والحقيقة هذه ظاهرة في تعليم القديس بولس الرسول ، حيث يوصي من قبل الربّ يسوع بوحدة الزواج وينهى عن حلّ رباطه[2] . وقد اثبت سيدنا يسوع المسيح التعليم نفسه في الانجيل الطاهر ، حيث ورد قوله المأثور : «ما جمعه الله فلا يُفرّقه انسان .»[3]

---

١) طالع مقال الاب بانثيل اليسوعي في تاريخ عقيدة الحبل بلا دنس ، في مجلة *Etudes* لعام ١٩٠٤ ، المجلد ١٠١ ، ص ٦١٢–٦٣٣

٢) ١ كور ٧ : ١٠–١١ ، ٣٩ . طالع ايضاً روم ٧ : ٢–٣

٣) متى ١٩ : ٦

وكثيرًا ما يستنتج الآباء القديسون رسم المسيح للزواج مما جاء في الفصل الثاني من انجيل القديس يوحنا ، حيث فهموا انه ، جلّ جلاله ، قد حضر عرس قانا وصنع فيه معجزته الاولى ؛ اظهارًا لرغبته في ان « يُقدّس » الزواج.

من ذلك قول القديس ايفانوس ، تعليقاً على الفصل الانجيلي المذكور : « يظهر لي أن يسوع دُعي الى العرس لسببين : احدهما ان يحوّط بالعفاف والصلاح الزواج الذي كانت اهواء البشر تتدفّق عليه كمياه طاغية . والآخر ان يخفف وطأة عذاباته المستقبلة ، بعذوبة الخمر التي ترفع الاحزان وبالنعمة.»[1]

وقال القديس اغوسطينوس : « انّ الغاية التي من اجلها اتى الرب الى العرس هي تأييد العفّة الزوجية واظهار سرّ الزيجة.»[2]

ب – في الزواج المسيحي نعمة مكنولة للقرينين

ومما يعلّمه الآباء ايضاً أنّ الزواج المسيحي يُعطى به القرينان نعمةً عليها يرتكز اتحادهما وبها يوّيد ، فهو الله ذاته الذي يرأس حفلة قِرانهما كيما يجعله متيناً غير قابل الانحلال ويكفل لهم النعم التي تمكنهما من القيام بواجب الامانة الزوجية .

قال ترتليانوس : « من اين لنا ان نَصف غبطة ذلك الزواج الذي تُمتّن بعقده الكنيسة وتثبته التقدمة وتختم عليه البركة الكهنوتية ويُذيعه الملائكة ويُقرّه الآب ؟ »[3]

وقال اوريجانوس : « انّ الله هو الذي يجمع العروسين فيجعلهما واحدًا ، فاذا ما اقترنت المرأة بالرجل فلا يكونان بعد اثنين . وبما انه تعالى هو الذي يوحّدهما فمن اجل هذا تستقرّ فيهما النعمة . ولم يكن بولس ليجهل هذه الحقيقة .

١) ضدّ البدع ١٥ : ٢٠ ، مين ي : ٤١ : ٩٤٢

٢) شرح يوحنا ٩ : ٢ ، مين ل : ٣٥ : ١٤٥٩ – طالع ايضاً كتاب القديس ذاته « في الخير الزواجي» ٣ : ٢ ، مين ل : ٤٠ – ٢٧٥ – وايضاً شرح يوحنا لقديس كيرلس الاسكندري ٢ : ١ ، مين ي : ٧٤ : ٢٢٤ – وملخّص اكاذيب المراطقة لتيودوريت ٥ : ٢٥ ، مين ي : ٨٣ : ٥٢٧ – والميمر ا ٢٣ للقديس مكسيموس التوري ، مين ل : ٥٧ : ٢٧٤ – والقديس يوحنا الدمشقي في « الايمان الاورثذوكسي » ٤ : ٢٤ ، مين ي : ٩٤ : ١٢٠٩

٣) الى زوجته ٢ : ٧ ، مين ل : ١ : ١٢٩٦

ومن ثمّ فقد صرّح أنّ القران المطابق لكلمة الله هو نعمة من لدنه عزّ وجل.»[1]

والقديس اثناسيوس رسالة الى الراهب امون، يُقابل فيها الزواج بالبتولية فيقول انه، «وان كان المتزوج - لا يُرزق نعماً بمقدار ما ينال البتول، الّا انه له منها نصيب، هو بمثابة الزرع الذي يُعطي الواحد منه ثلاثين.»[2]

ت – الزواج رمز الى اتحاد المسيح بالكنيسة ومن ثم يستوجب النعمة

على انّ الزواج المسيحي يقتضي النعمة بنوعٍ خاص، لما فيه، بموجب ارادة الله، من الدلالة على امرٍ تفوق قداسته كلّ ما يمكننا تصوّره، ألا وهو اتحاد المسيح السرّي بالكنيسة. ومن اجل هذا يدعوه القديس بولس سرّاً عظيماً. قال:

«لتخضع النساء لرجالهنّ كما للربّ. لان الرجل هو رأس المرأة كما انّ المسيح هو رأس الكنيسة مخلّص الجسد. فكما تخضع الكنيسة للمسيح فكذلك لتخضع النساء لرجالهنّ في كل شيء. ايها الرجال احبوا نساءكم كما احبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لاجلها. ليقدّسها... ليهديها لنفسه كنيسة مجيدة... فكذلك يجب على الرجال ان يحبوا نساءهم كاجسادهم. من احب امرأته احبّ نفسه. فانه لم يُبغض احد جسده قط بل يغذّيه ويربّيه كما يعامل الرب الكنيسة. فانّا اعضاء جسده من لحمه وعظامه. ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً. انّ هذا لسرّ عظيم. اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة. وانتم ايضاً فليحبّ كل واحد منكم امرأته كنفسه ولتحبّ المرأة رجلها.»[3]

كلٌّ يعلم نظرية القديس بولس في شأن اتحاد المسيح بالكنيسة. فانّ هذا الاتحاد هو، في اعتقاد الرسول، متينٌ صميم الى حدّ انه لا يتردّد في القول، على ما نتحقق في النصّ السابق، انّ ابناء الكنيسة هم «اعضاء جسد يسوع من لحمه وعظامه.» وقد تلقّن القديس بولس هذا التعليم من الربّ بذاته،

1) التعليقات على متى ١٤: ١٦، مين: ي ١٣: ١٢٢٩

2) مين ي: ٣٦: ١١٧٣، ١١٧٤

3) افس ٥: ٢٢-٣٢

حيث كان سائرًا من اورشليم الى دمشق فسمعه يناديه من اعالي السماء قائلًا : « شاول شاول لِمَ تضطهدني ؟ » [1] وانما كان شاول وقتئذٍ يضطهد الكنيسة لا المسيح بالذات. لكنه فهم اذ ذاك انّ كليهما ، في عرف الرب ، واحد . وقد طالما تبصّر القديس بولس مليًا في هذه الحقيقة . ولذلك يكاد يعود اليها كل حين في رسائله ، [2] فكأنها اضحت من اركان تعليمه.

ولا يتوهمنّ احدٌ انّ ما يُعوَّل عليه ، في اسناد عقيدة سريّة الزواج الى النصّ البولسي المذكور آنفًا ، انما هو لفظة « سرّ » الواردة في الفقرة « انّ هذا سرٌّ عظيم » ، كما لو كان الرسول يقصد بها « السرّ » (sacrement) ، على ما يُحقَّق معناه في كل من اسرار البيعة السبعة ، اي من حيث يراد به علامة انشأها المسيح للدلالة على النعمة ولفعلها.

فانّ الواقع هو بالخلاف . وما من معنى هنا للفظة « السرّ » سوى السرّ (μυστήριον, mystère) ، من حيث كونه يدلّ على حقيقة عميقة غامضة سامية تفوق الادراك الطبيعي . وانما اشار بها القديس بولس ، على ما فسّر الاب پرا ، « الى الخطة التي فكر الله فيها منذ الازل [3] ، لكنه لم يكشفها الا بالانجيل ، وهي أن يخلص كل الناس ، بدون ما تمييز لذرّية عن غيرها ، بان يوحّدهم وابنه الحبيب بوحدة جسده السرّي . » [4]

وعن هذا السرّ عينه يُفصح القديس بولس في رسالته الاولى الى تيموثاوس ويشير اليه بنفس الفقرة اليونانية الواردة في الرسالة الى اهل افسس . قال : « ومن المسلّم انه « عظيمٌ سرّ » (μυστήριον μέγα) التقوى الذي تجلّى في الجسد وتبرّر بالروح ورؤي من الملائكة وبُشّر به في الامم وأومن به في

١) اعمال ٩ : ٤

٢) طالع روم ١٢ : ٥ ، ١ كور ٦ : ١٥ ، ١٠ : ١٧ ، ١٢ : ١٢-١٣ ، افس ٤ : ٤ ، ١٥-١٦ ، كول ١ : ١٨ ، ٣ : ١٥ الخ

٣) طالع كول ١ : ١٧-٢٠ ، ٢٧-٢٨ ، روم ١٦ : ٢٥

٤) F. Prat, S. J. *La Théologie de S^t Paul*, Paris, Beauchesne, 19^e édition, 1^re partie, p. 369, طالع ايضًا المجلد ذاته ص ٥٨٤–٥٨٥

العالم وارتفع الى المجد .»[1]

فليس الزواج اذًا هو « السرّ العظيم » المحكي عنه في النص الذي اقتطفناه آنفًا من الرسالة الى اهل افسس . وانما السرّ هو الصلة السريّة التي تربط المسيح بالكنيسة ، هو الخطة التي اراد الله بها خلاص البشر بواسطة القِران غير المنظور الذي جمع بين الكنيسة ورأسها الالهي.

ومع هذا كله فما من مجالٍ للشك في معنى هذا النصّ الرسولي . فهو اكيد واضح واضح ، ومؤدّاه ان الزواج هو ، في عرف القديس بولس ، رمزٌ الى اتحاد المسيح بالكنيسة ، وذلك بمقتضى رسم الله ذاته . فكأنّ الرسول يقول : يريد الله ان يكون اتحاد الزوجين رمزًا الى اتحاد ابنه الوحيد ببيعته ، وعلامةً له ، فيضحي هذا لذاك نموذجًا يتخذه الازواج دستورًا لحياتهم الزوجية ، حتى اذا ما طبقوها عليه ، تُحيي ذكر اتحاد الاله المتأنس بالكنيسة.« ولذلك يترك الرجل أباه الخ .» اي الى هذه الرمزية اشار الله واياها قصد حيث قال ، عندما انشأ الزيجة في الفردوس وحرّم فسخ عقدها بالطلاق ، ثمّ عندما جدّدها واعاد اليها رونقها الاول في الانجيل : « لذلك يترك الرجل اباه الخ . » فكما انّ المسيح احبّ عروسه البيعة حبًا فاعليًا كجسده ، كذلك يأمر الله ان يحب الزوج زوجته كجسده . وكما انّ المسيح والكنيسة جسدٌ سرّي واحد غير قابل الانحلال ، كذلك الزواج يجعل الرجل والمرأة جسدًا واحدًا لا ينحلّ.

هذا ما فهمه الآباء من النصّ البولسيّ الذي نحن في صدده، منهم اغناطيوس الانطاكي (+ ١٠٧)[2] واغوسطينوس[3] والبابا لاون الاول[4] الخ.

ولكن من اين للارادة البشرية المجرّدة ان تستطيع الى تحقيق هذه المنية سبيلًا سهلًا . من اين للزوجين ان يمثّل اتحادهما وحبهما المتبادل اتحاد المسيح

---

١) ا تيم ٣:١٦

٢) في رسالته الى بوليكربوس ٥:١ ، مين ي: ٥ : ٧٢٤

٣) في الزيجة والشهوة سفر ١ ، فصل ١٠ ، عدد ١١ ، مين ل : ٤٤ : ٤٢٠ – كذلك في الخير الزوجي ١٨ : ٢١ ، مين ل : ٤٠ : ٢٨٧–٢٨٨

٤) في رسالته ال ١٦٧ : ٤ ، مين ل : ٥٤ : ١٢٠٤

بالكنيسة وحبه لها ، لولا النعمة السرية.

قال مونسبره : « لا يكون اتحاد المسيح بالكنيسة مثالاً ولا اتحاد الزوجين صورةً له تطابقه ، ولا رمزاً اليه ولا علامةً له ، ما لم يتضمن هذا ، كما ذاك ، قوةً مقدسة . فلا يحبّ الرجل المرأة كما يحبُّ المسيح الكنيسة ، ولا تُحبُّ المرأة الرجلَ كما تحبُّ الكنيسة المسيح ، بدون ما نعمةٍ تنمّي المحبة وتعلي شأنها وترفعها الى ما فوق الطبيعة . فالمسيح ، فيما يبذل نفسه للكنيسة ، يقدّسها . وكذا الرجل والمرأة ، فيما يتبادلان بذل الذات ، ينبغي ان يُقدّسا بعضهما بعضا . وهذا هو ما يجعل الزيجة « سرّاً عظيماً » [1]

وقصارى القول ان القديس بولس ، في النصّ الذي اوردناه من رسالته الى اهل افسس ، لا يُصرّح بسرية الزواج ، لكنه « يلمح » اليها ، لانّ الاقتداء المتواصل بالمثال الاعلى ، على ما يوصي به الرسول القرينَين المسيحيين ، يقتضي ان يتضمّن عقدُهما تلك النعمة السرية.

واليك ما قال في هذا المعنى آباء المجمع التريدنتيني : « اما النعمة التي من شأنها ان تكمّل ذاك الحب الطبيعي في الزوجين وتُثبّت وحدتهما غير القابلة الانحلال وتقدّسهما ، فان المسيح ذاته ، راسم الاسرار الجليلة ومكملها ، قد استحقها لنا بآلامه . والى هذا « يُلمح » بولس الرسول حيث قال : « ايها الرجال احبوا نساءكم كما احبَّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لاجلها » ثم اردف القول : « انّ هذا لسرٌّ عظيم . اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة » [2]

ث – الاحتفال بالزواج بحضرة خدّام الكنيسة

ممّا يدلُّ على قداسة الزواج في نظر الكنيسة ، أنها منذ اوائلها رسمت ألّا يُعقد الا بحضرة الكاهن ، كيما تكون البركة التي يستمطرها على القرينين ، ورتبة الاكليل المقدّسة التي يحتفل بها ، عربوناً للنعمة التي أناطها المسيح بالعقد الزوجي.

---

١) مونسبره ، ص ٢٠-٢١

٢) الجلسة ٢٤ ، في التعليم المختصّ بسر الزواج ، مجموعة دتزنكر ٩٦٩

ولدينا على هذه الحقيقة التاريخية شواهد قديمة يكاد يرتقي عهدها الى القرن الرسولي . من ذلك قول القديس اغناطيوس الانطاكي الشهيد ، تلميذ الرسول يوحنا الحبيب : « يجدر بالعريس والعروس ان لا يعقدا الزواج عن غير رأي الاسقف ، كيما يكون العرس بحسب الربّ ، لا بحسب الشهوة . فليقصد من كل شيء شرف الله »[1] اجل انّ هذا النصّ لا يشير الى شريعة صريحة كانت تلزم المؤمنين في اواخر القرن الاول وابتداء الثاني ، الا انه يدل على اماني اسقف انطاكية كما على عادة كانت جارية في ايامه .

ومن الكلام الذي ذكرناه سابقاً لترتليانوس[2] ، يحصل صريحاً ان هذه العادة قد اضحت في ايامه وفي بلاده قاعدةً مضطردة لدى المسيحيين .

وفي موضع آخر يقول ترتليانوس : « انّ الزيجات الخفية ، اي التي لم يسبق اعلانها تجاه الكنيسة ، تُعتبر لدينا بمثابة الزنى والفحش . »[3]

ومن البدع التي جنح اليها ترتليانوس ، لما ان صار مونتانياً ، تحريم الزواج على الارامل رجالاً ونساء . ومن الحجج السفسطية التي يحاول ان يبني عليها ضلاله هذا أنّ القديس بولس الرسول يُحرّم سيامة اسقف سبق له ان تزوّج ، لداعي ترمّله ، اكثر من مرّة واحدة[4] . والشريعة ذاتها تجري على الكهنة والشمامسة . ومن ثم يستنتج ترتليانوس ان الارمل ، وان عالمياً ، لا يجوز له ان يسأل الاسقف والكهنة ما لا يحلّ لهم ان يعقدوه لانفسهم ، الى ان يقول : « أفيعطي الاساقفة الازواج والزوجات كما يوزعون لقم الخبز ؟ . . أم يزوجونكم هكذا في الكنيسة العذراء ، التي هي العروس الوحيدة للمسيح الوحيد ؟ »[5]

ومن ثم يتضح لك انّ المسيحيين كانوا في عهد ترتليانوس ، كما في ايامنا ، يسألون الكهنة ان يمنحوهم بركة الاكليل .

ومن رسالة القديس امبروسيوس الى ڤيجيليوس يُستفاد ان رتبة الاكليل

---

١) رسالته الى بوليكربوس ٥ : ٢ ، مين : ي ٥ : ٧٢٤

٢) ص ٥٩٠

٣) « في الحياء » ٤ ، مين ل : ٢ : ٩٨٧

٤) طالع ١ تيم ٣ : ٢

٥) في « وحدة الزوج » ١١ ، مين : ل ٢ : ٩٩٦

كانت تقوم خصيصاً بامرين : اي بان يُجلل الكاهن رأس العروس بغطاء ويباركها هي وعريسها (*velamen sacerdotale et benedictio*)[1] واليهما يضيف ترتليانوس[2] التقدمة (*oblatio*) التي قد يُدلّ بها على ذبيحة القداس.

ومما كان يجري في حفلة الاكليل في الكنيسة اليونانية ، على ما يشير اليه القديس غريغوريوس النزينزي[3] أنّ الكاهن كان يضع صفح كفّ العريس بصفح كفّ العروس .

وفي ميمر للقديس يوحنا فم الذهب يقول[4] : « فلا نقبحنّ اعراسنا بزخارف شيطانية ، بل ما فعله اهل قانا الجليل فليفعلنّه الذين يتزوجون اليوم ، فليكوننّ المسيح جالساً في وسطهم . ولكن تُرى كيف يتم ذلك ؟ بحضور الكهنة انفسهم . لان الرب قد قال : « من قبلكم فقد قبلني . »[5]

تلك هي بعض المعلومات التي نجدها عن الزواج في الاسفار المنزلة والتقليد على ما نقله الينا الآباء في كتاباتهم ومواعظهم . وقد انصرف علماء الكاثوليك ، ولاسيما المدرسيون منهم ، الى درس هذه المعلومات . فتوغلوا في بحثها ومقابلة بعضها ببعض ، حتى توفقوا الى معرفة ماهية السرّ عموماً ، اي الى تعيين الاصول الجوهرية التي تتفق فيها الاسرار السبعة كلها ، دون سواها من الطقوس الدينية . فوضعوا لها تحديداً مجملاً شاملاً ، ونسقوا لها جدولها السباعيّ المشهور . كل هذا والسلطة المعلمة في الكنيسة تراقبهم مؤيَّدةً من الروح القدس ، الى ان جاء ذوو الاصلاح الموهوم ببدعهم . فحرّم المجمع المسكوني التريدنتيني اضاليلهم . وفي الوقت نفسه بسط للمؤمنين التعليم الكاثوليكي في الاسرار ، مستنداً الى مصادر الوحي ، اي الى الاسفار المنزلة والآثار التقليدية . فكان ، ولاشكّ ،

١) الرسالة ١٩ : ٧ ، مين : ل ١٦ : ١٠٢٦ – طالع ايضاً كتاب القديس ذاته « في الحض على البتولية » ٦ : ٢٤ ، مين : ل ١٦ : ٢٦١ – وايضاً رسالة القديس سيريثيوس البابا الى هيميريوس ٤ : ٥ ، مين : ل ١٣ : ١١٣٦

٢) في النص الذي ذكرناه آنفاً ، ص ٥٩٠

٣) رسالته ١٩٣ ، مين ي : ٣٧ : ٢١٦–٢١٧

٤) ميمره في الآية البولسية (١ كور ٢٧) « لسبب الزنى فلتكن لكل واحد امرأته » ، ع ٢ ، مين ي : ٥١ : ٢١٠

٥) متى ١٠ : ٤٠

تطوّر العقيدة ، في سرية الزواج ، كما في غيرها ، تقــدماً ورقياً حثيثاً ، ليس من الحقائق الموحى بها فعلاً الى ما قد يُتوهم أنَّ الكنيسة ، معاذ الله ! أولجته فيها من الدخيل ، بل من معرفة اوّلية لنفس هذه الحقائق ، الى معرفة لمـا اسمى واكمل ، متقيدة ابدًا بمعناها الاصلي لا تحيد عنه قيد شعرة[١]

١٢ً علاقة العقد بالسر

بقيَ لنا في هذا الباب من بحثنا ، كلمة وجيزة في علاقة العقـد بالسر فنقول ان هذه العلاقة هي من نوع الصـلة التي تربط حيثيَّين مختلفتين بالمعنى لشيء واحد . فالعقد هو السرّ والسرّ هو العقد ، وكلاهما امرٌ واحد لا يختلفان في الحقيقة الواقعة ، الّا من حيث الاعتبار .

قال بيوس الحادي عشر[٢] : « وبما انَّ التراضي الزواجي الحقيقي نفسه بين المؤمنين ، قد جعله المسيح علامةً للنعمة ، فقد اضحى قوام السرّ ملتحماً بالزواج المسيحي التحاماً باطنياً يبلغ به الى حد انه لا يمكن ان يكون زواج حقيقي بين معمَّدين « بدون ان يكون من ذات الفعل سرًّا »[٣]

وانما هذه نتيجةٌ ، تكاد تكون بديهية ، لما حدَّده المجمع التريـدنتيني وقد ذكرناه سابقاً . فانه لم يُعلّم « انَّ في الزواج سرًّا حقيقياً » بل قـال « ان الزواج نفسه هو سرّ حقيقي »[٤] . افلا يكون المعنى انه لا بد من التوحيـد بين الفعل البشري ، الذي به يسلّم الرجل ذاته للمرأة وهي ذاتها له ، اي العقد الزواجي من جهة ، ومن اخرى الفعل الالهي الذي بها يُعطَيان النعمة ، اي السر؟

١٣ً خادما السر

ومن ثمَّ يتضح لك مؤدّى لفظة « الكهنوت » التي ألف البعض التعبير

١) طالع L. Godefroy, *Le Mariage dans l'Ecriture et les Pères* — Dictionnaire de Théologie Catholique, tome 9, 2069-2071 ; 2101-2109.

٢) الرسالة *Casti connubii* ص ١٦

٣) مجلة الحق القانوني العام مادة ١٠١٢

٤) طالع مونسبره ، ص ٣٥-٣٦

بها عن الخدمة التي يقوم به كلا الزوجين ، كلٌّ لقرينه ، بينا يتعاقدان . فان هذه اللفظة ، وان مجازيّة ، لا تبعد عن الحقيقة الراهنة ، وهي انّ العروسين هما نفسهما خادما سر الزواج.

وفعلًا لمّا كان العقد والسرُّ شيئاً واحدًا ، وكان العقد هوَ هوَ السرّ ، والسر هوَ هوَ العقد ، فلا مشاحة ان من يبرم العقد هو ايضاً خادم السرّ . وانما المتعاقدان هما العروسان ، فهما اذن خادما السرّ .

قال مونسبره : « اسمعوا هذا السرّ ايها الازواج ، وقد اصبحتم بفضل الزواج ، ارومة العائلة المسيحية ، فتحققوا ما هي منزلتكم السامية . انكم قد أُنلتم بالمعمودية شركةً في كهنوت يسوع المسيح ، وذلك بفضل الوسم الذي قد طُبع في انفسكم ، فشأنها كما يشقون الترع قصدَ ان يسيلوا فيها المياه المتدفقة من نهر عظيم ... وقد قلت[1] انّ هذا الوسم هو قوةٌ قابلية تمكّن انفسكم المنتعشة بنعمة المعمودية من قبول الاشياء المقدسة . فاردف اليوم قائلًا انّ في حياتكم المسيحية ظرفاً يكون به لوسم العماد قوةٌ فاعلية تصوّركم بنوعٍ اقرب على مثال كهنوت المسيح : ألا وهي القوة التي بها تُعطَون ، وتُعطُون معاً السرّ المقدس الذي يُحوّل هيئة الزواج فيجعله اقدس مما صنعه الله عند خلق العالم .»[2]

١٤ ملحة للتخبضة

وقد لخّص القانوني دوبلتي هذا التعليم بحديث فكاهي ، نشره في « النشرة الاسبوعية لابرشية نامور »[3] فاحببنا ان نتحف به القراء . قال:

أتت يوماً تزورني احدى الاوانس ، وكانت على أهبة الزواج ، فقالت :

يا حضرة الاب المحترم هاك شهادة معموديتي ، وقد قصدتُ قلّاية سيدة لوريت كيما احصل عليها.

---

١) في محاضرته في المعمودية

٢) مونسبره ، في مجلّده المذكور ص ٢٦–٢٧

٣) نقله عنها الاب بيرنجه abbé R. Béringer في مجموعته *Recueil Documentaire*, 2ᵉ Edition, *La Famille Chrétienne*, Arras, Librairie Brunet, pp. 22-24.

— حبذا الخورنية هذه ، فاني عبدتُ فيها زمناً طويلاً.

— وقد عمّدتني انا ايضاً . . . فانّ محضر عمادي موقّعٌ عليه اسمك.

— ان هذا الاتفاق ليسرّني.

— وليس هو فرداً من نوعه : لانك ايضاً انت الذي اهّبتني لمناولتي الاولى .

— ولم يزل ذكرها قرينَ ذهني.

— افترغب اذن ان تضيف « اتفاقاً » ثالثاً الى السابقين ، بأن تزوّجني ؟

— ذاك ما كنتُ ، لو بالامكان ، اتمناه. لكنني لا استطيع اليه سبيلاً.

— أفستتغيّب عنا في ذلك اليوم!

— لا سمح الله! . . .

— ومن ثمّ يكون لنا ، انا وخطيبي ، حظٌ كبير اذا ما ألقيت خطبة العرس المعتادة ، ولاسيما انك ما زلت تعرفني منذ صغري.

— ذاك جلّ ما ابتغي.

— افتزوّجنا اذن ؟

— بلْ الاسف اعود واقول لك : انّ ذا لمحال.

— لكنّ العوائد تقضي ألّا يُفصَل بين الوظيفتين! . . . على اني أسلّم بالحكم : فلا شك أنّ ثمّة مانعاً خطيراً.

— بل من اخطر الموانع.

— وَ . . . هل لي ان اعرفه ؟

— ولا ريب! . . . أولستِ فعلاً تسألينني ان امنحك سرّ الزواج كما منحتك سرّ المعمودية ؟

— هذا هو مطلوبي بعينه.

— وهذا ما لا طاقة لي به . . . لكونه محالاً . فانه ، حيث يقترن مسيحيان ، ليس الكاهن هو خادم السرّ ، وانما خادمه . . . بل بالاحرى خادماه هما الزوجان.

— حقاً ؟ . . . انني لا افهم.

— لم تفهمي بعد ... ولكنك ستفهمين حالاً . تعلمين انَّ الزواج هو عقد .

— وهو ايضاً سرٌّ .

— نعم ، هو سرٌّ للمسيحيين . لكنه ، قبل كل شيء وللجميع ، هو عقد . ثمَّ هوَ ، على ما قلتِ الآن ، سرٌّ للمسيحيين .

— اجل وقد فهمت الفرق . فانَّ العقد يُبرَم في الدار المحافظية[1] ثمَّ يُقبل السرّ في الكنيسة .

— أسفاً لك يا ابنتي ، فليس الامر بتاتاً على ما تقولين! ... فانَّ المسيحيين ، لا يمكن ان يُفصل فيهم بين العقد والسرّ ، وانما كلاهما فعل واحد لا اكثر . ولمَّا كان يتعذّر ان يجري الفعل الواحد في مكانين مختلفين ...

— افمن اجل هذا تتمُّ الحفلة باجمها في الكنيسة ؟

— تلك هي الحقيقة تماماً : ثمّة فعلٌ واحد لا غير ، به يُوقَّع على العقد ويُقبَل السرّ . فانَّ عقد الزواج بين المسيحيين وسرّ الزواج فيهم شيءٌ واحد ... ومن ثمَّ فالذي يُبرم العقد هوَ هوَ الذي يصنع السرّ ايضاً .

— وعندي ان الاستنتاج هذا ينطبق على المنطق لا محالة .

— ففيما يتعلّق بقضيتك ، من يكون العاقد ؟

— انا وخطيبي .

— نعم . انت وخطيبك تختمان العقد ، فكلاكما اذن تحتفلان السرّ . فلا تكونان مُبرمين العقد فحسب ، بل خادمين للسرّ ايضاً .

هل فهمت الآنَ السبب الذي من اجله رفضتُ ان ازوجكما ؟

— لاني انا وخطيبي سنزوّج بعضنا بعضاً .

— لقد اصبتِ تماماً .

---

١) هذا ما يُدعى غلطاً زواجاً مدنياً . والصواب ان الزواج المدني ليس زواجاً حقيقياً . والبرهان يبسطه القانوني دوبلـي فيما يلي . ومؤدّاه أنَّ عقد الزواج بين مسيحيّين هو لغوٌ ، ما لم يكن عقداً وسراً معاً . ومن ثمَّ لا سلطة للحكومة المدنية على العقد الزواجي بين المسيحيين .

ــ فما هي ، والحالة هذه ، وظيفة الكاهن في العرس ؟

ــ هو الشاهد . ولكما ، علاوةً عليه ، في الاقل شاهدان ، تستطيعان ان تختاراهما على ما تُحبان . لكنَّ ثمة شاهدًا ثالثًا تُلزمكما الكنيسة به : وهوَ الكاهن ... كاهنكما ... اعني به خوريكما او الكاهن المفوَّض منه .

وفوق هذا اقول ان الشاهد الكاهن ليس فقط شاهدًا للحفلة ، بل هو لها رئيسٌ لا مندوحة عنه . والمعنى انكما لا يمكنكما ان تكونا خادمَي زواجكما بابراز التراضي ، ما لم يوعز هو اليكما بذلك . اوَ تعرفين الكلمة التي ينبغي ان تلفظاها ؟

هي كلمة « نعم » .

ــ فهذه كلمة « نعم » هي جواب ... وكلُّ جوابٍ يُقدَّر تحته سؤال . والحال هنا انَّ السؤال تقتضيه صحة الزواج على قدر ما تقتضي الجواب عينه : فلا تكونان متزوجين الّا بعد ان تجيبا : « نعم » على السؤال الذي يطرحه عليكما الكاهن قائلًا : هل تريدان ان تتزوجا ؟

واقول اخيرًا انَّ الكاهن شاهد الزواج ورئيس الزواج هو ايضاً يباركه : فاذا ما مثل كاثوليكيان بين يديه ، يذكر قول الاسقف له عندما رسمه : « يجب على الكاهن ان يبارك » فعلى تراضيكما الذي يكون قد حُقّق به اقترانكما ، يستمطر بركات الله تعالى .

ــ اذن يا حضرة الاب ليس رجائي اليك ان تزوجنا ، ولكن ان ترأس زواجنا وتشهده وتباركه .

ــ هذا ما افعله مسرورًا .

(تمَّ المقال الثاني)

لبنان في عهد الامير فخر الدين

منذ ثلاثمائة سنة *

١٥٩٠ - ١٦٣٥

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
مؤلف تاريخ الأسر الشرقية

١

توطئة

لماذا فتحت الحكومة العثمانية بلادنا ؟

اغفل المؤرخون سبب فتح السلطان سليم الاول العثماني لسورية ومصر، بعد محاربته للعجم واستظهاره على الشاه اسماعيل الصفوي، سلطانها الشيعي، لان سليماً كان متشدداً في التسنن فاراد فتح العجم للقضاء على الشيعة. وما استتب له الامر في ذلك الفتح حتى توقفت القوافل التي كانت تنقل له المؤن والذخائر الحربية من الاستانة. فاوجس خيفة وبحث عن السبب، فثبت له ان السلطان قانصوه الغوري، ملك سورية ومصر وصديق الشاه اسماعيل المذكور، قد ارسل بعض شيعيّي سورية لقطع الطريق على قوافل السلطان الآتية من الاستانة الى العجم ونهبها. ونمي اليه ايضاً خبر المفاوضات الكثيرة التي دارت بين الغوري واسماعيل لتدبير مؤامرات ضد العثمانيين الذين كانوا يرمون الى خضد شوكة المماليك الشراكسة ونزع تأمين الحجاج الى مكة المكرمة من يدهم. فاوغر ذلك العمل صدر السلطان سليم، وزحف بجيوشه لفتح سورية ومصر وانتزاعها من يد الشراكسة. فكانت

---

*) محاضرة أُلقيت في نادي اخوية القديس يوسف المارونية في بيروت

الموقعة الكبرى بينهما في مرج دابق ، شمالي حلب ، فقُتل الغوري ، وتشتّتت عساكره . ودخل سليم بلادنا فاتحاً ظافراً كما أرّخ ذلك كثير من الكتّاب ، ولاسيما ابن زُنبل المصري فانه وصف هذا الفتح الذي شاهده عياناً . فوصل سليم مدينة دمشق في ١٢ تشرين الاول سنة ١٥١٦ ، وصارت تحت حكم العثمانيين .

فاستقدم السلطان العثماني امراء لبنان الى دمشق . فمثل بين يديه المماثلون له منهم ، وهم الامير فخرالدين المعني الاول ، جدّ موضوع كلامنا الآن ، والامير جمال الدين اليمني ، والامير عساف التركماني . وتخلّف عن الحضور الذين مالأوا الغوري مثل الامراء آل سيفا ، وامراء الغرب التنوخيين ، وغيرهم . فدعا مقدّمهم الامير المعني للسلطان دعاء حسناً سُرَّ به ، فاقرَّ كلّا منهم على مقاطعته . فجعل الامير المعني حاكماً على بلاد الشوف ومقدماً عليهم ، ولقبه باسم «سلطان البرين». ونصّب الامير جمال الدين على الغرب . والامير عسافاً على كسروان وبلاد جبيل . وخلع عليهم . وضرب جزية خفيفة على بلادهم ، ذُكر منها ما اصاب مقاطعة كسروان ، وهو سبعمائة سلطاني ، والسلطاني ثلثا الغرش الاسدي. وهذا الغرش الاسدي نحو اربعة فرنكات من نقودنا ، فتكون تلك الجزية على بلاد كسروان نحو اربعة آلاف ومائتي غرش ذهباً .

فبقي لبنان اقطاعياً كعهده السابق ، يتولى شؤون كل مقاطعة منه امراء او مقدمون او مشايخ من طبقات اعيانه الثلاث . ولهم قوانين وعادات في الحكم والقضاء والمقابلات والتحيات والمكاتبات وغيرها رأيت فيها مؤلفات مخطوطة انتخبت بعضها في كتابي « دواني القطوف » المطبوع ، الصفحة ٢٤٨

ظلّت هذه القوانين مرعية الى آخر الحكم الاقطاعي المنتهي في النصف الاول من القرن التاسع عشر الماضي. وكان من اهم حكامه الامراء التنوخيون المعروفون بالبحتريين ، والارسلانيون ، والمعنيون ، والشهابيون ، واللمعيون ، والحرافشة ، والمقدّمون والمشايخ على اختلاف تسمياتهم وطبقاتهم وطوائفهم من نصارى ومسلمين ودروز ؛ وتواريخنا ملأى باخبارهم .

واهم من كان من هؤلاء الاقطاعيين في القرن السابع عشر ، موضوع كلامنا

الآن ، الامراء المعنيون في الشوف ، والعسافيون في كسروان ، والسيفيون في طرابلس ، والشهابيون في وادي التيم ، والحرفوشيون في بلاد بعلبك والبقاع ، والمقدمون والمشايخ المعروفون عندنا الآن .

وكانت بينهم منازعات ومخاصمات ادّت الى اضطراب البلاد ، فقامت وقعدت بسكانها فضلاً عما مُنيت به من وجود العساكر الانكشارية والقبيقولية في الولايات العثمانية ، ولاسيما في دمشق ، وما كان ينشب بينهم من الوقائع الدامية ويتجدد من العداء الذي استفحل امره فقضى اخيراً بكف يد بعض الحكّام ، وقتل تلك العساكر . فاستراحت البلاد منهم في القرن الماضي . ولكن اقلقتها الحروب الاهلية والتحزبات السياسية التي كان قوادها بعض الحكام الوطنيين .

من هم الامراء المعنيون

كان لنزار بن معدّ بن عدنان ، المنتسبة اليه العرب المستعربة من سلالة اسماعيل ابن ابرهيم الخليل ، اربعة بنين احدهم ربيعة الفرس الذي سمّاه الكميت في شعره « ربّ الجواد » . فاشتهر من بني ربيعة الامير ايوب الاول الذي اعقب احد عشر ولداً كانوا كلهم من الفرسان المدرَّبين ، فذاعت شهرتهم حتى حسدهم سادات ربيعة في بلادهم ، شبه جزيرة العرب ، وناوؤوهم . فهجروها الى العراق وتديّروا الجزيرة الفُراتية ، وتناسلوا وتكاثروا ونشأت منهم افخاذ وبطون لا محل لتفصيلها ، فعُرفوا اولاً بالايوبيين نسبة الى رأس قبيلتهم المذكور . حتى اذا نبغ منهم الامير ايوب الثاني هجر الجزيرة بقومه ، وجاء الجبل الاعلى من الديار الحلبية فخيَّم فيه . واشتهر ببسالته ومكانته مثل اسلافه ، فنشأ ولده معن المنتسب اليه المعنيون هؤلاء مقتفياً آثاره وارثاً صفاته وشجاعته . فتزوج بابنة الامير نعمان التنوخي ، نزيل معرّة النعمان هو وقومه ، فحالفهم واشتد مراسهم وافتق صيتهم ، حتى انتدب غازي امير الترك معناً هذا لمنازلة الملك بلدوين الفرنسي الصليبي سنة ١١١٩ م في الجبل الاقرع ، قرب انطاكية . ففشل الامير معن ، وتمزّق شمل جنوده . فكبر ذلك عليه والتجأ بعد سنة الى

طغتكين ، صاحب دمشق الذي كان يحارب الافرنج المذكورين في ضواحي حلب ، فارسله بعشيرته واحلافه الى سهل سورية المجوفة ، المعروفة الآن ببلاد بعلبك والبقاع . ورافقه الامير منذر ابن عمه نعمان التنوخي ، فخيّموا في ذلك السهل الفسيح في جهة البقاع . وحدث لهم مع الجنادلة ، حكام قلعة جندل في تلك النواحي ، مواقع مشهورة .

وعلى اثر ذلك امر طغتكين المار ذكره الامير معناً وقومه ان يتوقّلوا مضايق لبنان وينزلوا في مشارفه البحرية لشنّ الغارات على الافرنج في الثغور الساحلية . فامتثل الامر ونزل على احلافه وانسبائه الامراء التنوخيين . فاكرموا وفادته ، وانزلوه على الرحب والسعة في صحراء بعقلين ، حيث هجر بعد مدة الخيام هو وقومه واتخذوا البيوت الحجرية مساكن لهم . فكان ذلك بدء وجود المعنيين في بلادنا . وسمي بهم « جبل الشوف » او « جبل الدروز » فقيل له « شوف ابن معن » ، وسمي حاكمه « امير الدروز » .

اما ما ذهب اليه بعض المؤرخين ، ولاسيما الاب اوجين روجه الفرنسيسكاني ، معاصر المعني ، في كتابه « الارض المقدسة » من انه من سلالة الامير Dreux الصليبي ، ومن نقل عنه هذا الرأي كباسيلي الروسي وغيره ، فغير ثبت . والله اعلم .

اتصل المعنيون العرب المحتد بالامراء الشهابيين القرشيين ، الذين جاؤوا من حوران الى وادي التيم سنة ١١٧٣ م ، بزمن الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، مربّي السلطان الشهير صلاح الدين الايوبي ، الذي كان حاكم الشام ومصر ، فالقوا رحالهم في جوار لبنان ، وصاهروا المعنيين وحالفوهم . واتفقوا معاً على محاربة الصليبيين وحماية الثغور من غزواتهم ، كما ذكرت التواريخ . ثم خلفوهم في حكم لبنان بعد انقراض ذكور المعنيين بوراثة البنات .

فتسلسلت الاسرة المعنية في لبنان وعلى رأسها الامير فخر الدين الاول بزمن الفتح العثماني . فقبضت على زمام الاحكام مدة طويلة . وخلف فخر الدين ولده الامير قرقماس ، الذي مات قهراً سنة ١٥٨٤ لتحامل آل سيفا عليه باتهامه بارسال رجاله لنهب خزينة السلطان العثماني في عكار . وكان لقرقماس هذا ولدان صغيران وهما فخر الدين الثاني ويونس . ففخر الدين الثاني هو موضوع كلامنا الآن ،

وقد رزق خمسة ذكور قُتلوا ولم يبقَ منهم حياً الا الامير حسين في الاستانة الذي مات بدون عقب فانقرضت سلالتهم به . وكان آخر حاكم منهم الامير احمد المعني المتوفى سنة ١٦٩٧م فانتهى به حكمهم.

الاحزاب السياسية في البلاد على عهدهم

اشتدّ العداء السياسي بين قبائل العرب التي دخلت سورية ولبنان من شبه جزيرة العرب او بلاد حوران وما اليها ، او من شمالي سورية والعراق ، لانتمائهم الى غرضين عظيمين متعادين هما « القيسي » و« اليمني » . فضلاً عما كان بينهم من التحاسد والتنابذ والتنافس ، فبنو ربيعة في جزيرة العراق كانوا معادين لبني مضر في الحجاز . فلما استتب الامر للعرب المتنصرة والمسلمة التي دخلت بلادنا في تلك الايام وقبلها وبعدها ، نشروا الحزبية القيسية واليمنية ، او المضرية واليمنية بينهم . فالتف حول كل حزب سكان البلاد القدماء على اختلاف مذاهبهم واجناسهم ومواطنهم . وقد ذكرت التواريخ وقائعهم ولكنني لم اقف على تاريخ خاصّ لهم الّا ما عرفتُ اسمه ولم اره كتاريخ قيس ويمن لاحد الاندلسيين ، ومثله لابن طولون الدمشقي ، وذلك بعد مجيء الطويل . فافردت لهذا التحزب كتاباً باسم «وقائع قيس ويمن» فصّلتُ فيه عاداتهم وراياتهم وحروبهم ونخوتهم « اي تعارفهم » وما يتعلق بشؤونهم . ومما يحسن ذكره الآن ان محلة برج الكلمنول ، في انحاء الخندق الغميق في بيروت ، كانت ساحة لمماركهم .

وكان اليمنيون كثيرين في لبنان ، والحكومة العثمانية تعاضدهم ولامرائهم الغلبة على غيرهم ، ولاسيما المعنيون الذين اضطُرّوا الى الانحياز عن اليمنية ومناصرة القيسية بزمن الامير فخر الدين الاول لنزغة وقعت بينه وبين الامير جمال الدين الارسلاني اليمني امير الغرب . فصار المعنيون منذ ذلك الحين رؤساء الحزب القيسي ، واورثوا هذا الغرض الشهابيين خلفاءهم الذين استظهروا على اليمنيين في موقعة عين داره ، فوق صوفر ، سنة ١٧١١ ، وكان آخر العهد بهم.

فكانت هذه الحزبية من جملة الذرائع التي اوقعت الخصام بين حكام البلاد ورجال الحكومة ، ولاسيا بين المعنيين وآل سيفا . فقتل من جرّائها الامير

قرقماس ، والد الامير فخر الدين موضوع كلامنا ، وترك ولدين قاصرين خشيت عليهما والدتهما السيدة نسب التنوخية من اليمنيين، وكان اكبرهما فخرالدين ابن اثنتي عشرة سنة ، فاشارت على مدبر والدهما ومربيهما الحاج كيوان من دير القمر ،من آل نعمه ضو الموازنة فيها ، ان يخبئهما في محل بعيد عن عيون اليمنيين الموالين لرجال الحكومة العثمانية . فسار الحاج كيوان بهما الى شمالي لبنان ، قاصداً جهات عكار والحصن حيث هناك كثير من متنصرة العرب الذين يحرصون على ولدي مخدومه المتوفى . فمرّ بطريقه على دكان تحت قرية بلونة في كسروان بطريق البحر ، واجتمع هناك بصديقه ابي صقر ابرهيم ابن الشدياق سركيس الجاجي المعروف بالخازن القيسي الحوراني الاصل . وبعد مباحثات كثيرة وقف على سرّه فاقنعه ابو صقر ان يسلّمه الولدين ، وهو يتعهد له بالأيمان المغلّظة ان يحميهما من تعدّي اليمنيين ، فقال له : ان هذا المحلّ تطرقه المارّة فيخشى عليهما من بثّ العيون والارصاد . فحقّق له ان يشتري محلّاً في بلّونة المرتفعة عن الطريق كثيراً ، والتي لا ممرّ فيها لاحد من جهة اخرى، فيجعله مخبأً لهما ، وهكذا كان . فبعد ان وضع ابو صقر الولدين بحارته في بلونه بين اولاده ، وأمّن الحاج كيوان مخبأهما ، عاد الى السيدة نسب والدتهما وشقيقها الامير سيف الدين التنوخي خالهما ، واخبرهما بما جرى وكيف انهما في حرز حريز تحتاطهما عناية ابي صقر واسرته الكبيرة . فلا تتسرّب اليهما يد اثيمة . وقال في الختام ان قربهما افضل من بعدهما عنّا جميعاً ، فنتفقدهما في كل فرصة ونعلم شؤونهما . فاطمأن بال الوالدة والخال وترعرع الولدان في ذلك المخبأ ، وهما مع اولاد ابي صقر اسرة واحدة ، الى ان مضت مدة ست سنوات فصار عمر الامير فخر الدين ثماني عشرة سنة بلغ فيها اشدّه . فارجعهما الحاج كيوان الى والدتهما وخالهما ، فسرّا بهما وشكرا ابا صقر وما بذله من العناية بهما ، ووعداه بالمكافأة عند استعادة الحكم لاكبرهما بسعي والدته وخاله . فزوّجاه بابنة الامير جمال الدين الارسلاني اليمني لاستمالة اليمنيين اليه مع حلفائهم . ومن هذه الزوجة رزق فخر الدين ابنه الامير علياً الذي قتل في موقعة سنة ١٦٣٤ وكان الامراء آل سيفا الاكراد ، حكام مقاطعة طرابلس الشام ، معادين

للمعنيين كما سبق ، مع ان المعنيين نصروهم في قتالهم لآل شعيب ، سكان عرقا وحكام طرابلس ، سنة١٥٢٨ ، لنزع الحكم من يدهم واعطائه للسيفيين. واما الامراء العسافيون الاكراد ، حكام كسروان ، فكانوا موالين للمعنيين. وكذلك الامراء الشهابيون حكام وادي التيم . والامراء الحرفوشيون حكام بعلبك والبقاع. فسعى الامير فخر الدين بدهائه وحسن رويته ان يعقد مصاهرة بينه وبين هؤلاء الحكام جميعهم فتوفق الى ذلك وكان مرشده الامين في ادارة شؤونه والدته وخاله.

وسنة ١٥٩٥ استتب الحكم لفخر الدين وانفسح له مجال العمل ، فاخذ يوالي المسيحيين ذاكراً جميلهم لان مدبر والده ومدبره كانا منهم ، وحافظ حياته من اعدائه احدهم ، ورأى ممن قربه اليه منهم اخلاصاً كبيراً وولاء حقيقياً ، فولاهم اعمالا كثيرة وكتب الى ابي صقر «الاخ العزيز» ، واتخذه مدبراً لخزينته ومرجعاً لاعماله وهو واولاده . فعرفوا بالمشايخ الخازنيين وكان زعيمهم اذ ذاك ابا صقر ابرهيم وشقيقه ابا صافي رباح . فاعتمد على نخبة من هؤلاء ، واتخذهم سفراء لاعماله ، وادخل الحاج كيوان في وجاق الانكشارية في دمشق ليطلع على اسرار رجال الحكومة الذين بدأوا يقفون له بالمرصاد خائفين من مناداته بالاستقلال . فساعد فخر الدين بكل دهائه وفطنته. فاخذ الامير يتبسط في حكمه مع الايام ويزداد حنكة بالاختبار والاحتكاك . فكان له من آراء خاله ووالدته ومدبريه ومريديه مقام عظيم . وكان زعيم القيسيين واليه مرجع اعمالهم

من هو الامير فخر الدين المعني

ولد الامير فخر الدين ابن الامير قرقماس ابن الامير فخر الدين الاول في قصبة بعقلين (من شوف لبنان) سنة ١٥٧٢ . ووالدته الاميرة نسب التنوخية، وخاله الامير سيف الدين التنوخي ، ومدبر والده ومدبره الحاج كيوان نعمه ، ومربيه ابو صقر الخازن المقرب منه والملازم بيته . تولى الحكم سنة ١٥٩٥ ، وبدأ في توسيع نطاق ملكه وضم ما حول لبنان اليه بأخذ مدن الثغور البحرية

كبيروت وطرابلس وصيدا وصور ، وبعض المدن الداخلية كدمشق وحمص وحماه وبعلبك ، والمدن الفلسطينية وما يليها كالقدس وعجلون وصفد ، ليتصل بامراء العرب ويتخذهم اعواناً له بمحاربة الدولة العثمانية التي سببت موت والده قهراً ، وكان رجالها يناصبونه العداء ، فيخضد شوكتهم ولاسيما احمد باشا الحافظ والامراء آل سيفا . فارسل من يثق به الى الاستانة ، وهناك انتخب له من يكون مفوضاً لدى الباب العالي وطلب امارات لاولاده ، ليقوّي بهم امارته الكبرى ، ويكثر من اعوانه ومريديه .

فانتهز فرصة اشتغال الدولة العثمانية بمحاربة الفرس والمجر ، بزمن السلطان احمد الاول من سنة ١٦٠٣–١٦١٧ مسيحية ، ومدّ رواق سلطته على كسروان والثغور البحرية واقاليم عجلون وبانياس وصفد . وسعى بترقية مدينتي بيروت وصيدا وجعلهما قاعدتي ملكه على شاطئ البحر غير مضيّع وقتاً يستثمر فيه فائدة ، شأن رجال العمل .

فعقد معاهدات مع تجّار توسكانة وما اليها من تلك الثغور الافرنجية التابعة الآن لايطالية وكانت ذات مدنية راقية وغنى وافر . وعزز اسباب العمران الثلاثة : الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، تعززه بالسبب الرابع وهو الامارة . فشيد القلاع والابنية ورمّم ما تهدم منها ، ووفر ثروته وتبسط في ملكه ، ونزعت نفسه الى الاستقلال عالماً ان اركان الاستقلال ثلاثة : العلم ، والقوة ، والمال . وكاتب بواسطة التجار التوسكانيين (بعد ان مهّد لهم اسباب الراحة والدخول في بلاده) امراءهم آل مديسيس (الطبيب) حكامهم ، فعقد معاهدة مع الغراندوق فردينندو الاول سنة ١٦٠٨ ، ثم مع خلفه قزما الثاني سنة ١٦٠٩ ، وخلفه فردينندو الثاني سنة ١٦٢٦ . وكان من شروطها الاتفاق التجاري والتعاهد على الدفاع والهجوم عند الحاجة ، اي انها معاهدات تجارية سياسية اقتصادية . واتخذ جرأته العظيمة منفذة لكل هذه الاعمال ، واصلى نيران المواقع فحمي وطيس الحرب بينه وبين مجاوريه والحكام الذين ناوؤوه . ومع اضطراب حبل الامن رتعت البلاد في بحبوحة من العيش ، ونال المسيحيون وغيرهم من الطوائف كلّ راحة وهناء ، واخلصوا جميعهم الخدمة له الّا من خاتل وخادع بسعاية بعض

رجال الحكومة الذين عادوه.

فنظّم الجنود تنظيماً مرتباً ودرّبهم على القتال ووزّعهم في القلاع والحصون والمخافر والثكنات التي شيدها او رممها حتى بلغ عددهم اربعين الفاً او اكثر. وكان بينهم السكمان (نوع من جنده الخاص) الذين فرقهم في الحصون المنيعة فبلغ عددهم، مع عسكره الوطني، نحو مائة الف وهم من المغاربة والمسيحيين وبقية الطوائف ومعظمهم من الرجّالة. وحصّن المدن والثغور وشارف كل ذلك بنفسه ولاسيما في اوقات الحصار والمواقع. ومالأ علي باشا جنبلاط (جان بولاد) والي حلب وما اليها. ونزعت نفسه الى الضرب على ايدي العاثين. فاوجست الدولة خيفة منه ومن استقلاله باحكامه، وذلك باصغائها الى الوشاة الكثيرين، وبينهم يوسف باشا سيفا. فوقف للمعني بالمرصاد كبار رجال الدولة مثل نصوح باشا واحمد حافظ باشا وبثّا عليه العيون وانتهزا الفرصة لايغار صدر الدولة عليه بما يجريه من الاعمال التي تشهد بوشاياتهم. فعلم المعني ذلك منهما واخذ يناوئهما وهما يشتدّان بالعداوة ضدّه وينصبان له الاشراك لاقتناصه والمكايد لخضد شوكته، فحدثت بينهما وبينه مواقع كثيرة ومعارك شديدة استفحل امرها. فوقع المعني بعدها بين عدوّين الدّين: الحافظ في دمشق وكان ظالماً فتّاكاً معادياً له كل العداء، ويوسف باشا سيفا في طرابلس وهو شديد النكاية بالمعني. وقد التفّ حولهما كثير من الامراء والقبائل والاعيان الذين كانوا يتظاهرون المعني بالولاء ثم يقلبون له ظهر المجنّ بعد قليل غير ثابتين على عهدهم له. ومن ذلك القبيل التجار البنادقة الذين كانوا ينافسون التجار التوسكانيين معاهدي المعني، وعشران البرّ المعروفون بعصبيتهم الشديدة. فكان الامير ضدّهم فاغتابوه.

ومع ما اتخذه من الذرائع الفعّالة بحسن سياسته وبمعاضدة اصحابه له من رجال الحكومة مثل مراد باشا صديقه الحازم وغيره، كانت الايام تعاكسه. فتوفي صديقه مراد باشا هذا سنة ١٦١١، وأُبعد الآخرون عن الاستانة لاعمال اسندت اليهم خارجها، فحبطت مساعيه وعيل صبره.

يأس المعني وتركه البلاد الى توسكانا

ولمّا استفحل العداء بينه وبين رجال الحكومة ، وخذله انصاره في البلاد رغماً عن معالجته كل ذلك بحنكة سياسية وخبرة ادارية وسعة صدر وصحة عزيمة ، نفد صبره من مخاتلة الناس وتملقهم وتدليسهم وريائهم ، فعقد العزم على هجر البلاد ببعض عياله وخاصته والذهاب بنفسه الى توسكانة واستصراخ غراندوقها لمعونته ليستطيع الوقوف في وجه هذه المماحكات الكثيرة ، ويترفق الى استقلال البلاد ورفع منارها والظفر باعدائه وكبت حسّاده .

فاقلع من ميناء صيدا بعياله وبعض رجاله في ١٥ ايلول سنة ١٦١٢ بسفينة فلمنكية (هولاندية) مسنداً حكم البلاد بغيابه الى شقيقه الامير يونس ، وولده الامير علي الذي كان كوالده في الدهاء والبسالة . واوصاهما بنقل كرسي الحكم من بعقلين الى دير القمر فنقلاه اليها سنة ١٦١٥ . وذلك ليتمكن من موالاة المسيحيين بوجوده بينهم لانه لم يجد اخلاصاً له الا منهم .

وبعد سفر ثلاثة وخمسين يوماً في البحر من صيدا رست السفينة في ميناء ليكورنو فقابله رجال اميرها الغرندوق قزما الثاني الطبيب بكل حفاوة ، واستقدمه الغرندوق اليه الى عاصمته فلورنسة واحسن مثواه . وترحب به كثير من التجار والاعيان الذين عرفهم او كاتبهم وأنزل في قصر الابروجيانا (الذي هو الآن مدرسة للرهبان الحلبيين الموارنة) على الرحب والسعة . فاخذ ، بعد ان استراح من السفر ، يجتمع بالغرندوق ورجاله ساعياً بتجهيز حملة الى الشرق لتخليص الاراضي المقدسة : ففاوض الغرندوق قداسة البابا وملوك اوربة ولاسيا ملك اسبانية الذي استقدم الامير اليه . فتداولت اوربة امر هذه الحملة وذاعت اخبارها بينهم وصار كل يريد ان يكون المجاهد اليها فسبقهم الغرندوق بارسال بعثة سنة ١٦١٤ ، وفيها المهندسون ورجال الفنون ، لارتياد ثغور لبنان وسورية وفلسطين ورسم مواقعها الحربية وقلاعها واختبار شؤون تجارتها وحاصلاتها ، ولدرس كل ما من شأنه ان يوسع نطاق التجارة الى غير ذلك مما حققوه واختبروه . فعادوا بمعلوماتهم الحربية والاقتصادية وطرحوها بين ايدي

الترندوق فمال الى موالاة المعني واستثمار بلاده الخصبة ، فعقد معه معاهدة وطدت آمال المعني بنيل المساعدة . فطاف مدن بيزا وفلورنة وتوسكانة وليكورنو وما اليها ، وذهب الى صقلية (سيسيلية) ونابلي ومسّينا من اعمال اسبانية ، وعاج بجزيرة مالطة التي كانت آنئذ بيد فرسان القديس يوحنا . وذلك عند انسلاله الى بلادنا خفية من جهة الدامور لتجسّس اخبارها والوقوف على سياستها وعودته الى اوربة بسرعة .

فدرس مدنية تلك البلدان الغنية الراقية ، ووقف على اهم الشؤون الاقتصادية والسياسية والادارية ، فصرف خمس سنوات في الانتباه والمراقبة والاقتباس وهو مع تغربه يشارف شؤون ولايته من بعيد مرسلاً البعوث لاستكشاف اخبارها واستطلاع طلع رعيته فيها متنسماً انباء الاتراك ومستعلماً عن اعدائه وما آل اليه امرهم ، فعرف ان نصوح باشا توفي ، وحافظ باشا عُزل عن دمشق وخلفه فيها محمود باشا . وعلم ما دار بين هذا الوزير ووالدة الامير السيدة نسب بالاستئذان منه لارجاع ولدها فخر الدين الى بلاده . فقبل ذلك على شرط ان يهدم حصني الشقيف وبانياس المنيعين . فوصلته رسائل والدته التي تلحف عليه بالرجوع الى حضنها وتخبره بما جرى ، فتأهب للسفر .

(لها بقية)



المطران نعمة الله ابي كرم ومعرّباته

مجموعة الردود على الخوارج(١) — الحكمة الادبية(٢)

بقلم الاب توتل اليسوعي

كانت الترجمة على العهد العباسي الذهبي سبباً من اسباب النهضة الادبية التي متّعت العرب باحسن مؤلفات الشعوب مجاوريهم ، واخصهم اليونان ؛ وما زالت الترجمة الى يومنا داعياً من دواعي الانبعاث الادبي والعلمي فينا ، فلا يبرز اديب في مضمار التأليف ، سواء أكان ذلك في لبنان وسورية او في مصر ، الا وقد تشبّع مما تلقنه من الآداب الغربية ، او مما قرأه منها مباشرةً في متنه ، او منقولاً في تعريبه . فللمعرّبين فضل مقدر على قدر منافع المؤلفات المنقولة . وان الكتب الفلسفية التي هذبت عقول ارقى بني البشر عمراناً في القرون الوسطى وفي ايامنا ، وهيأتها الى بلوغ اوج النجاح في المعارف ، لهي انفع ما يزفّ الى قراء العربية ، ومن اشهرها في القرون الخوالي مجموعة الردود على الخوارج للقديس توما اللاهوتي ؛ ومن احقها بان تمثل الفلسفة المدرسية المستحدثة كتب الكردينال مرسيه البلجكي ، فالفضل كل الفضل لناقلها الى العربية .

---

١) مطبعة المرسلين اللبنانيين — جونية ١٩٣١ — ٥٤٧ ص متوسطة .

٢) مطبعة دير سيدة المعونات — جبيل ١٩٣١— ٤٧٢ ص متوسطة .

وعن قريب ستظهر سائر المخطوطات التي تركها المؤلف المرحوم في العلم الاجتماعي والمحاكمات الكنسية مع منتخبات اعتقادية من القديس توما الاكويني ردًا على اليونان والارمن والعرب وغيرها ، وذلك بعناية واهتمام ابن اخيه الاب مارون ابي كرم اللبناني الدكتور في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني . وكل هذه الآثار التي ظهرت والتي ستظهر تطلب من حضرة الناشر المذكور ، في برمانا (لبنان) .

حياة المعرب — كتبه

قضى المطران نعمة الله نحبه قبل ان يتمّ طبع الكتابين اللذين توخينا وصفها، فاخذ حضرة ابن اخيه الاب مارون ابي كرم اللبناني، الدكتور في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني، على عاتقه مهمة نشرهما . وصدر مجموعة الردود بنبذة ذكر فيها تاريخ اسرة ابي كرم، وترجم لعمه.

ولد، رحمه الله، في ١٢ كانون الثاني ١٨٥١ . ونشأ في برمانا، ودرس في اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير (١٨٦٤) وسيم كاهناً سنة ١٨٧٦ . وعلم اللاتينية والعربية في مدرسة الاباء المذكورين، وقد نقلوها الى بيروت سنة ١٨٧٥، وعاون في تحرير «البشير»، مشتغلاً في قلم التعريب، فترجم رسالة البابا لاون الثالث عشر الشهيرة في مستحدثات الزمان (Rerum Novarum) او في مشكل العمال (١٨٩٣) . ثم انتقل الى مدرسة قرنة شهوان فعلم فيها مدة سبع سنوات؛ ومنها الى دير مار شعيا القريب من برمانا، فمدرسة الآباء الكبوشيين في عبيه، فمدرسة قرنة شهوان للمرة الثانية، فمدرسة الآباء الحلبيين الملكيين في صربا. الى ان أهبته خبرته في التعليم واحتكاكه بالناس الى رئاسة المدرسة المارونية في رومة، فرحل الى المدينة الابدية سنة ١٩٠٦، واقام فيها سائر ايام حياته الا اشهراً معدودة، زار في غضونها لبنان (١٩٠٤) وفرنسة (١٩٢٩) . ثم عاد الى لبنان في صيف ١٩٣٠ . وما ان اقام فيه مدة وجيزة حتى اشعر بانحطاط قواه وقدوم اجله. فتأهب للقاء ربه وانتقل الى رحمته تعالى.

وكان قد رقي الى درجة الاسقف في ٢٢ حزيران من السنة ١٩١٣، فتخلى عن الرئاسة وانقطع الى الكتابة والتأليف . واليك لائحة مؤلفاته المطبوعة، وكلها مرجعها الى العلوم النظرية :

ذخيرة الالباب في علم الكتاب [المقدس] (١٨٨٤)
قسطاس الاحكام (١٩٠٠) ٢ اجزاء
الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه ٧ اجزاء، ومنها الاخير «في الحقوق» (١٩٣١)
مجموعة الردود على الخوارج (١٩٣١) جزء ١
كتاب النجاة لابن سينا (مترجم الى اللاتينية) جزء ١

وله ايضاً تآليف اخرى ستظهر بالطبع اشهرها علم الاجتماع ، والمحاكات الكنسية .

مجموعة الردود على الخوارج

ان مهمة ترجمة كتب القديس توما اللاهوتي ليست بالامر الهين ، والافرنسيون ، على ما لديهم من الوسائل الفائقة ، من مرونة اللغة ، ووفرة الالفاظ الفلسفية ، واساليب التعابير النظرية الدقيقة في بيئة توقد القرائح وتشجع المؤلفين على الاجادة والتأليف ، الافرنسيون احجموا ، حتى اليوم ، عن نقل مجموعة الردود الى لغتهم ومنهم المتدرّبون على العلوم النظرية ، المتضلعون من الدروس الفلسفية ، مَن يستطيعون فكّ الغاز الاصطلاح الفلسفي المدرسي والكشف على مغمضات المعاني .

على ان اقبال الفئة الراقية من المثقفين في فرنسة على الدروس الفلسفية وتشوقها الى قراءة كتب القديس توما استحث بعض اساتذة الفلسفة الكاثوليكيين على نقل الخلاصة اللاهوتية الكبرى الى لغتهم . ولعلهم ينقلون اليها ايضاً مجموعة الردود على الخوارج .

فاذا تحقق ما تقدم سالنا أنفسنا قائلين : اين بلغ قراء العربية من الاستعداد لقراءة القديس توما ؟ اذا استثنينا بعض الكهنة الشرقيين ، لا نكاد نرى من قدروا ترجمة « الخلاصة » للسيد بولس عواد حق قدرها . على ان الحركة الفكرية في يومنا غير ما كانت عليه منذ ربع جيل ، وانصراف الهمم الى الفلسفة في المدارس الثانوية مدعاة الى التفاؤل في حسن مستقبل الكتب العلمية النظرية .

ومها يكن من الامر فقد ازدانت خزانة الاداب العربية بتحفة تباري اعز مؤلفات الفلاسفة العرب افكاراً وفحوى . بفضل المرحوم المطران نعمة الله ابي كرم .

ان مجموعة الردود على الخوارج تتناول البحث في كل ما يتسنى للعقل البشري النظر فيه عن الله باعتباره في ذاته (الكتاب الاول) واعتبار صدور

الخلائق عنه (الكتاب الثاني) وفي انتظام المخلوقات الى الله بكونه غايتها (الكتاب الثالث والرابع).

ومَن هم الخوارج الذين ردّ عليهم القديس توما؟ قد يجاوز عددهم المئة ومن جملتهم الفلاسفة العرب. وقد احصيت الاقوال والروايات المنسوبة اليهم الواردة في الكتاب، فاذا فيها اسم مشاهير فلاسفة العرب يأتي كما يلي: ابن رشد: ٥٣ مرة؛ ابن طفيل: مرة؛ ابن غبريل: مرة؛ ابن سينا: ٢٧ مرة، الغزالي: مرتين.

وقد يكون ابن رشد اول الخصوم الذين ردّ عليهم القديس توما. لا كأن المعلم المسيحي آلى على نفسه الّا يخالف الفيلسوف العربي طرًّا، ومنزلة ابن رشد عند القديس توما عظيمة، وهو في نظره شارح ارسطو الاعظم. لكنه آخذه بذهابه في تفسير ارسطو مذاهب الضلال فيما يمسّ مبادئ التعليم الكاثوليكي؛ او بالاحرى عاب على الرشديين، وهم الفلاسفة المدرسيون الافرنج المحتجون باسم ابن رشد، اساءة معالجتهم المشاكل الفلسفية الكبرى، حتى وضعوا موضع الشك امر وجود الله، وخلود النفس، والثواب والعقاب، ونقضوا مبادئ العقل السليم. على هؤلاء ايضاً ردّ القديس توما.

هذا وقد عرب المطران المرحوم ربع «مجموعة الردود» الاول؛ اما الارباع الثلاثة الباقية فهي بحاجة الى معرب آخر، فعسى ان يظهر في الناشئة الاكليريكية كاتب جدير بان يوفق الى تتمة ذلك المشروع الخطير.

الحكمة الادبية: فرعها الاول في الحقوق

هو الجزء السابع من مجموعة الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه، حذا فيه المعرب حذوه في تعريب الردود وذيله تذييله الردود بحواش ونظرات مفيدة؛ لكن هذا الجزء دون الردود اتقاناً في الطبع ورونقاً في الورق.

الكردينال مرسيه اشهر من ان نعرفه الى القراء. ولد سنة ١٨٥١ في ابرشية مالين في بلجكة، نبغ بالعلم والفضيلة، وصار كردينالاً سنة ١٩٠٧ ووقف ايام الحرب الكبرى تجاه اعداء بلاده وقفة الاحبار معلمي الكنيسة

الاقدمين ، وهو قطب من اقطاب اللاهوت الكاثوليكي وخير ممثل للفلسفة المدرسية المستحدثة . مؤلفاته عديدة اشهرها كتاب الفلسفة النظرية باجزائه السبعة ، وقد قرب منالها من قراء العربية السيد نعمة الله ابي كرم ، وهوذا بين يدينا الكتاب الاخير وعنوانه : الحكمة الادبية بوجه الخصوص : فرعها الاول في الحقوق ، وفيه « قواعد الحقّ الطبيعي التي ينبني عليها ما علينا وما لنا من الواجبات والحقوق نحو القريب ونحو الاجتماع بوجه الاجمال ، مستخلصة من الشريعة الطبيعية استخلاصاً منطقياً »

قلنا سابقاً ان باكورة اعمال المعرب كانت رسالة البابا لاون الثالث عشر في شأن العمال ، وها ان هذا الكتاب الاخير يردنا بموضوعه الى اول مؤلف دبجته يراعة المعرب ، لان المشكل الاجتماعي الذي عالجه لاون الثالث عشر منذ اربعين عاماً برسالته العامة وعاد عليه بيوس الحادي عشر في هذا العام ايضاً تجديداً لتأثيره وتنفيذه في النفوس ، انما حلّه مستنبط من التعليم الفلسفي القويم المنجلي باجلى تبيان في كتاب الحقوق هذا . فقد ظهر اذن في اوانه ، وفيه مع بسط مبادئ الفلسفة الكاثوليكية تفنيد مذاهب الشيوعية والاشتراكية وغيرها من الاضاليل العصرية الماسة بحياة المجتمع المادية والادبية .

***

يتضح مما تقدم ان الاسقف الصالح لم يألُ جهداً في فائدة ابناء ملته ولغته . رحمه الله ، ونفعنا بعلمه ، وجعل الكثيرين منا يسيرون على آثاره .

ابن عبد ربه و«عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

١

مصادر الدرس

بين ايدينا مصادر ثلاثة نستقي منها اخبار ابن عبد ربّه اولها عِقده في الاخبار الكتاب الشهير الآن «بالعقد الفريد»، وثانيها شعره المنتثر في بعض الكتب وبالاخص في كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبي وفي العقد نفسه، وثالثها ما كتبه المؤرخون والادباء عنه.

ولنبدأ بالاخيرة فنذكرها على انواعها ونجتهد في تصنيفها حسب اصلها وقدميتها وقيمتها ليتضح ما يجوز التعويل عليه من اخبارها وما لا يجوز، وترتبط بتفضيل مصدر على مصدر مسألة ذات شأن وهي: مَن من هؤلاء المؤرخين او الادباء قد اعتمد على غيره؟ ومَن منهم سبق غيره؟ ومَن منهم نستطيع ان نسقطه من قائمتنا ادرس حياة ابن عبد ربّه حيث انه لم يزد على من سبقه شيئاً؟ وكم كنا نودّ لو كانت لدينا دراسات علمية في رجال الادب والتاريخ العربي من حيث البحث عن المؤثرات المختلفة التي قد يمكن ان تكون اثّرت على بعضهم، او من حيث درس نزعاتهم الخاصة من شخصية وغيرها، والظروف التي احاطت بهم عند تدوينهم الاخبار، او انتمائهم الى بعض الاحزاب او تعصبهم لبعض الاشخاص الخ. وعسى ان لا يفوتنا تدوين ملاحظاتنا على بعضهم في حينها. وسنضرب صفحاً عن كل المصادر الحديثة اذ لم نرَ مصدراً منها يستند الى غير

الاصول التي بين ايدينا. فلا نعرض لها الا لمناسبات خاصة.

اما اقدمها واقربها عهداً بابن عبد ربه فكتاب «تاريخ علماء الاندلس» لابن الفرضي ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي الحافظ المتوفى في ٦ شوال سنة ٤٠٣ ﻫ (٢٠ نيسان سنة ١٠١٣ م)[١] وقد ذكر نسبه كاملاً فقال: «احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر بن حبيب بن حدير بن سالم مولى الامام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية من اهل قرطبة يكنى[٢] ابا عمر[٣]» واتى على شيء وجيز من تاريخه، ولكنّ فيه فوائد كثيرة.

ويلي ابن الفرضي الثعالبي ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ ﻫ[٤] (١٠٣٧-١٠٣٨ م) فلا يذكر في كتابه «يتيمة الدهر» سوى شعره ويوسع له، من صفحة ٣٦٠ ج ١ الى صفحة ٣٦٤، ومن صفحة ٤١٢ بالجزء نفسه الى صفحة ٤٣٤، مجالاً لتدوينه. وتمتاز هذه المجموعة الشعرية بانها فريدة، اذ ليس بين ايدينا مجموعة لشيء من شعر ابن عبد ربه غيرها؛ وهي تضمّ اشعاراً لم يذكرها ابن عبد ربه في عقده. غير اني اخشى ان الثعالبي نظر اليه نظره الى رجلين فترجم للاول باسم احمد بن عبد ربه وذكر شعره من صفحة ٣٦٠ ج ١ الى صفحة ٣٦٤، وللثاني باسم احمد بن محمد بن عبد ربه وذكر شعره من صفحة ٤١٢ بالجزء نفسه الى صفحة ٤٣٤. كما وان الثعالبي قد ذكر ابياتاً في صفحة ٣٥٧ ج ١ نسبها الى شاعر باسم حبيب بن احمد الاندلسي، وقد اوردها ابن عبد ربه في عقده منسوبةً لنفسه؛ ولعلّ حبيب بن احمد هذا مقلوبٌ عن احمد بن عبد ربه بن حبيب.

ويلي الثعالبي القيرواني ابو عبيد الله محمد بن شرف المتوفى سنة ٤٦٠ ﻫ[٥] (١٠٦٧ - ١٠٦٨ م) فيذكر في رسالة له عنوانها «اعلام الكلام» كلمة وجيزة

---

١) راجع بشأن سنة وفاته Moh. Ben Cheneb, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 375]

٢) في الاصل: يكنا ٣) ابن الفرضي ١: ٣٧

٤) ابن خلكان ١: ٤١٣

٥) راجع اعلام الكلام، طبعة الخانجي، مصر سنة ١٩٢٦

عن ابن عبد ربه فيها تصريح بدائح ابن عبد ربه للمروانيين ومطاعنه في العباسيين.

ثم يعقب القيرواني الوزير الفتح بن خاقان المتوفى حوالي سنة ٥٢٩ هـ[1] (١١٣٤ م) فيسرد في كتابه «مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس» من صفحة ٥١ الى صفحة ٥٣ ترجمة ضافية لابن عبد ربّه راعى فيها السجع، وذكر بها اخبارًا وقصصاً عن ابن عبد ربه لم يذكرها ابن الفرضي، ولم يذكر الفتح شيئاً عن نشأة ابن عبد ربه الاولى، ولم يؤرّخ ولادته ولا وفاته ولم يذكر اصابته بالفالج؛ مما يدل على انه لم يطلع على كتاب ابن الفرضي، بل استقى من رجل ذكره عُرف بابن حزم، وربما استقى من مصادر اخرى لم يذكرها.

ويتبع ابن خاقان الضبيّ احمد بن يحيي بن احمد بن عميرة المتوفى حوالي سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م)[2] فيذكر في كتابه «بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس» صفحة ١٣٧ الى صفحة ١٤٠، بعضَ الاخبار عن ابن عبد ربه وعن عقده، ينقلها عن رواية الحميدي، وينقل بعض الاشعار عن ابن حزم. ويظهر ان الضبيّ ايضاً لم يطلع على رواية ابن الفرضي.

ويلي الضبيّ ياقوت الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ[3] (١٢٢٨ م) فيذكر في معجمه للادباء «كتاب ارشاد الاريب الى معرفة الاديب» ج ٢ صفحة ٦٧، ترجمة لحياة ابن عبد ربه يتفق اكثرها بالحرف مع ما ذكره الضبي؛ مما يدلّ على احد امرين: اما ان يكون ياقوت قد اخذ عن الضبي، او ان يكون كلاهما قد استقيا من مصدرٍ واحد؛ لاسيما وقد ذكر كل منها روايته مسندة الى الحميدي. ويجوز ان يكون ياقوت قد اخذ عن مصدر غير الضبيّ استقى صاحبه من الحميدي، اذ ان ياقوتاً ارتكب اغلاطاً لم يرتكبها الحميدي

---

١) راجع Moh. Ben Cheneb, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 82] والفتح بن خاقان هذا هو غير الفتح بن خاقان صديق المتوكل والمقتول معه، راجع K.V. Zettersteen, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 83] وراجع الفهرست، طبع اوربة، ١١٧

٢) C. F. Seybold, [The Encyclopaedia of Islâm, vol I, p. 884]

٣) ابن خلكان ٢: ٢١٨

وصحف كلمات اصلحها الناشر الاستاذ مرجليوث ، وحذف ابياتاً وعبارات اثبتها الناشر ايضاً عن الحميدي[١] . ومن الخير الّا نجزم بمثل هذا الامر لاسيما ونحن لم نرَ النسخة التي خطها ياقوت بقلمه ، وليس لدينا نسخة من رواية الحميدي.

ويمتاز ياقوت بذكره بعض اخبار عن ابن عبد ربه وعن عقده لم يذكرها الضبي ، ولكن قد سبقه الى ذكر اكثرها الفتح بن خاقان . ولعلّ ياقوتاً قد نقلها عن الفتح هذا ، اذ انه قد اورد اكثرها كما اوردها الفتح بالحرف الواحد ، واسلوبها السجعي هو اسلوب الفتح نفسه[٢] . كذلك ترى المقاطيع الشعرية متابعاً اكثرها على الترتيب الذي اورده الفتح.

وقد اتى بعد الفتح بن خاقان القاضي ابو العباس احمد الشهير بابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م)[٣] . فترجم لابن عبد ربه في كتابه « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » ج١ص٤٥ . فلم يزد على من تقدمه شيئاً . غير انه عند ذكره مطلع قصيدة ابن عبد ربه في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم احد ملوك الاندلس.

بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الاندلس
فالطير فيها ساكن والوحش فيها قد أنس،

يذكر مصدراً استند اليه في خبرها هو كتاب « ادب الخواصّ » للوزير ابن المغربي[٤] . ولعلّ كتاب « ادب الخواصّ » قد ذكر شيئاً عن حياة ابن عبد ربه تنفعنا معرفته . انا لم نعثر على ذكر لهذا الكتاب في مختلف الموسوعات والكتب التي بين ايدينا . ولذلك فلا نستطيع معرفة موضع وجوده ان كان موجوداً الآن ، وبالتالي لا نعلم ما يمكن ان يكون تضمنه من الاخبار عن ابن عبد ربه.

وعقب ابن خلكان عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ الشهير المتوفى سنة ٨٠٨هـ

---

١) ياقوت ٢ : ٦٧ و٦٨ و٦٩

٢) ياقوت ٢ : ٧١ ، وقابله بالفتح بن خاقان ص ٥٣ . وقد ترى في بعض المواضع ان ياقوتاً يفكّ السجع غير انه يستعمل المفردات نفسها التي استعملها الفتح .

٣) راجع C. Brockelmann, [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 396]

٤) ابن خلكان ١ : ٤٦

(١٤٠٦ م)[١] فكتب في مقدمة كتابه «كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر»، ص٥٤٠، بحثاً عن الموشحات والازجال في بلاد الاندلس ذكر فيه ابن عبد ربه، صاحب العقد، وكناه بكنية جديدة لا نعلم من اين اتى بها هي «ابو عبدالله»؛ وذكر انه اخذ نظم الموشحات عن مخترعها مقدم بن معافر. ولم يذكر شيئاً عن حياته، ولا دوّن شيئاً من موشحاته التي زعم انه نظمها، وانها كسدت بعده.

وتبع ابن خلدون الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١هـ (١٥٠٥)[٢]. فذكر في كتابه «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، ص ١٦١، شيئاً نسخه، فيما نرى، عن ابن الفرضي.

وتلا السيوطي المقّري، بتشديد القاف، احمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٤١هـ (١٦٣١ م)[٣]. فكتب في كتابه «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب»، ج ٤: ص٦٢٨، فصلاً عن ابن عبد ربه غير انه كفانا مؤونة البحث عن مصدر اخباره في هذا الفصل فذكر لنا انه نقله بالحرف عن الفتح بن خاقان واورده في كتابه «نفح الطيب» نموذجاً من كتاب «مطمح الانفس» وطريقة ترجمة الفتح حياة الاشخاص. وذكر المقّري اخباراً اخرى عن ابن عبد ربه لم يتصدَّ احدٌ لذكرها قبله.

وتلا هؤلاء جميعاً حاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ (١٦٥٧ م)[٤]. فذكر في كتابه «كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون»، ص ١٢٤، عِقد ابن عبد ربه ونقل وصفه عن ابن خلكان. وذكر شيئاً عن ابن عبد ربه نقله عن ابن كثير[٥] لم نرَ احداً من المتقدمين عرض له، الا وهو التشيّع من ابن عبد ربه لآلِ البيت.

---

١) راجع Alfred Bel, [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 395]

٢) راجع F. Wüstenfeld, *Die Geschichtschreiber der Araber*, p. 229

٣) F. Wüstenfeld, *op. cit.*, p. 266

٤) J. H. Nordtmann, [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 205]

٥) هو الامام الحافظ عماد الدين ابو الفدا اسمعيل بن عمر الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. صاحب كتاب «البداية والنهاية» في التاريخ (حاجي خليفه ج ١ : ١٨٧)

بقي لدينا طائفة يسيرة من الكتب التي ذكرت عرضاً اخباراً عن ابن عبد ربه صاحب العقد، عند تصدّيها لغيره ؛ ككتاب « طبقات الامم » للقاضي صاعد ابن احمد بن صاعد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ — ١٠٧٠ م)[١] حيث نرى ترجمة لابن اخي صاحب العقد فيها بعض الاخبار عن صاحب العقد نفسه[٢]. وككتاب «التكملة لكتاب الصلة» لابن ابّار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)[٣] وككتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن ابي اصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ (١٢٧٠م)[٤] حيث نرى الاخبار نفسها منقولة، فيما نظن، عن ابن صاعد.

اما «كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة» لابن بسّام فلم يطبع بعد، ولم نطّلع على نسخة خطية منه. غير اننا اخذنا ما ذكره ابن بسّام عن ابن عبد ربه من مصادر اخرى نقلته عنه « كفوات الوفيات » للصلاح الكتبي، ومقدمة الدكتور ا. ر. نيكل في ترجمة « طوق الحمامة » لابن حزم. واودّ ان اشير هنا الى ان ابن بسّام، صاحب الذخيرة، هو غير ابن بسّام الشاعر الذي عاش في المشرق في بغداد وغيرها وعاصر المعتضد، وكتب اخبار ابن ابي ربيعة والاحوص ومناقضات الشعراء[٥]. فقد مات هذا سنة ٣٠٢ او ٣٠٣هـ[٦] بينما صاحب الذخيرة قد ترجم لرجال عاشوا في القرن الخامس للهجرة[٧]. ولعلّ لجنة نشر فهارس دار الكتب في القاهرة لم تلتفت الى هذا الامر في طبعتها الجديدة المتقنة لفهارس الدار[٨].

وهناك كثير من الكتب المتأخرة والموسوعات سنضرب الآن عن ذكر جميعها صفحاً، اذ انها كلها لم تستق من غير المصادر التي ذكرنا. وقليل من

١) راجع كتاب « طبقات الامم » لابن صاعد، طبعة المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، سنة ١٩١٢، ص ١

٢) ص ٧٩ و٦٤ حيث ترى قصيدة لابن عبدربه صاحب العقد تفرّد ابن صاعد بذكرها

٣) Moh. Ben Cheneb, [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 353]

٤) [The Encyclopaedia of Islâm, vol. II, p. 357] في المقالة المهملة التوقيع

٥) ابن خلكان ١ : ٥٠٢   ٦) ابن خلكان ١ : ٥٠٢

٧) الكتبي ١ : ٢٥٥

٨) فهارس دار الكتب المصرية ٣ : ١٥٢

اصحابها من اطلع على كل هذه المصادر ، ولعلنا نعرض لبعضها في حينه.

اما شعره فسنعرض له بمقال خاص . كذلك سنعرض لعقده بمقال آخر ، دون ان يفوتنا الاستشهاد بما ينفعنا في كل منهما من حيث علاقته بدرسنا عن حياته ونشأته ونزعاته وميوله.

وسنذكر الآن اتماماً للفائدة جدولًا باسماء اهم المآخذ (قديمها وحديثها) التي رجعنا اليها في درس ابن عبد ربه ، او في تحقيق شيء عن عقده او شعره ، مرتبةً حسب قدمية اصحابها وظهورها . وسنكتفي بعدئذ عند الرجوع اليها بذكر اصحابها على الشكل المختصر المدوّن امام كل مأخذ .

المآخذ

الجاحظ ت :ابو عثمان عمرو بن بحر : التاج في اخلاق الملوك ، الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م).

الجاحظ م :المحاسن والاضداد ، ليدن سنة ١٨٩٨ .

ابن قتيبة :ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : عيون الاخبار ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، فرغ من طبعها سنة ١٩٣٠ .

المبرّد :ابو العباس محمد بن يزيد الازدي : الكامل ، ليبزك سنة ١٨٧٤ .

ابن عبدربه :احمد بن محمد بن عبد ربه : العقد الفريد ، المطبعة الاميرية ، مصر سنة ١٢٩٣ هـ

ابن النديم :محمد بن اسحق الورّاق : الفهرست ، ليبزك سنة ١٨٧١ .

ابن الفرضي :عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي : تاريخ علماء الاندلس ، مجريط سنة ١٨٩٠م

الثعالبي :ابو منصور عبدالله بن محمد بن اسمعيل الثعالبي النيسابوري : يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، المطبعة الحنفية بدمشق ، سنة ؟

القيرواني :ابو عبدالله محمد بن شرف القيرواني : اعلام الكلام ، طبعة الخانجي ، مصر سنة ١٩٢٦ م .

ابن صاعد :القاضي صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي : كتاب طبقات الامم ، بيروت سنة ١٩١٢ .

ابن خاقان :الفتح بن خاقان الوزير الكاتب : مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس ، مطبعة الجوائب ، استنبول سنة ١٣٠٢ هـ

الضبيّ :احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، مجريط سنة ١٨٨٤م .

ياقوت :الشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي : ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، مطبعة هندية ، مصر سنة ١٩٢٦ .

ياقوت ب : معجم البلدان ، ليبزك سنة ١٨٦٩ .
ابن ابار : محمد بن عبدالله القضاعي : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، مجريط سنة ١٨٠٦م
ابن ابي اصيبعة : احمد بن القاسم السعدي الخزرجي : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، المطبعة الوهبية ، مصر سنة ١٢٩٩هـ.
ابن خلكان : شمس الدين احمد بن محمد : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، مصر سنة ١٢٧٥ هـ .
الكتبي : صلاح الدين محمد بن شاكر : فوات الوفيات ، مصر سنة ١٢٨٣هـ.
ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، بيروت سنة ١٨٧٩ م
الابشيهي : الشيخ شهاب الدين : المستطرف من كل فن مستظرف ، بولاق سنة ١٢٧٢ هـ
السيوطي : الحافظ جلال الدين الشافعي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مصر سنة ١٣٢٦هـ .
المقري : احمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المطبعة الميرية المصرية ، سنة ١٢٧٩ هـ
حاجي خليفة : كاتب چلبي : كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون ، طبعة الاستانة سنة ١٣١٠ هـ .
Wüstenfeld *Geschichtschreiber der Araber etc*, 1882
Hartmann *Das arabische Strophengedicht, I Das Muwaššah*, 1897
Brockelmann *Geschichte der arabischen Litteratur*, Berlin, 1902
زيدان : جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مصر سنة ١٩١٢ م .
Dozy *Spanish Islam, translated by* F. Griffin, Lon. 1913
شفيع : محمد شفيع : مقالته عن الحرمين كما وصفها ابن عبد ربه في كتاب «عجب نامه» *A Volume of Oriental Studies presented to* Edward G. Browne *on his 60th Birthday, edited by* T. W. Arnold and Reynold A. Nickolson. Cambridge University Press, 1922.
Nickolson *A Literary History of the Arab*, Lon. 1923
بستاني : فؤاد افرام البستاني : الروائع عدد ٨ ج ١ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٢٧ .
Ribera *Music in ancient Arabic and Spain, translated and abridged by* E. Hague and M. Leffingwell Stanford, Unversity Press, California, 1929.
Nykl *The Dove's Neck-ring*, Paris, 1931

وقد يجوز ان نرجع الى غير هذه المآخذ . وعند ذاك فسندوّن اسم المأخذ كاملًا مشيرين الى موضع طبعه وزمنه .

٢

حياة ابن عبد ربه

قليل جدًا هذا الذي بين ايدينا عن ابن عبد ربه . فلا هؤلاء المؤرخون ذكروا لنا شيئاً مفصلًا عن حياته في شبابه من حيث العمل الذي كان يعمله او الوظيفة التي كان يشغلها ، ولا هم شرحوا لنا كيف قضى بقية عمره . وجلُّ ما في الامر انهم اكتفوا بتاريخ ولادته ووفاته ، وببعض قصص ونوادر تكاد تطلّ على شيء من نواحي خلقه وطبعه، واشاروا الى شيء من حياة اللهو التي كان يحياها دون ان يسهبوا او يفصلوا او يعلّلوا ، واضافوا الى اشارتهم هذه انه كان للرجل ديانة وصيانة ، وانه آخر حياته اقلع عن لهوه وتاب عن غيّه ، مما لا يزيد عمّا نستطيع ان نفهمه من بعض اشعاره . والغريب انهم يسكتون عند هذا الحدّ بحيث لا نرى اشارة الى سبب نهجه في شبابه منهج اللهو ، او الى كيف انصرف الى الغزل ، وطريق ايّ الشعراء سلك ، وما الذي ردّه عن سابق خطّته من اتباع سبل اللهو والعبث وقرض الغزل بحيث تاب واقلع عن صبوته وعمد الى شعره في الغزل فمحّصه ونقضه بغيره في المواعظ والزهد .

خذ مثلًا ابن خلكان فانه يقول : « ان ابن عبد ربه كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس »[1] . ولكن من اين استقى تلك الاخبار ؟ ومن اي الاشعار كانت تلك المحفوظات ؟ واي الشعراء احبّ ابن عبد ربه ؟ وخطة أيهم اقتفى ؟ تلك امور لم يتصدَّ لها !

وكذلك كان شأن غير ابن خلكان من الذين كتبوا عن ابن عبد ربه ، لا نستثني منهم سوى ابن الفرضي فقد تفرّد بذكر بعض اساتذة درس عليهم ابن عبد ربه منهم بقي بن مخلد، وابن وضّاح، والخشني[2] . ولولا ان ابن عبد ربه

---

١) ابن خلكان ١ : ٤٥   ٢) ابن الفرضي ١ : ٣٧

ذكر لنا في عقده اسماء كثير من المصادر التي رجع اليها ، وبعض الفقهاء الذين اخذ عنهم ؛ ولولا انه صوّر لنا شيئاً من نزعاته وميوله وخلقه في كلا اثريه : شعره وعقده ، لكان تاريخه اقرب الى الخفاء منه الى الظهور ؛ وانا لنرى في عقده وفي شعره ما يساعدنا على فهم كثير من الامور التي مرّ بها بعض المؤرخين او الادباء مكتفين بالاشارة اليها .

نسبه

هو ابو عمر[1] احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير[2] بن سالم القرطبي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[3] بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي[4] .

ولادته

ولد على الارجح في قرطبة[5] في شهر الصوم ، رمضان ، في العاشر منه سنة ٢٤٦ هـ[6] . وهو ما يوافق التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة ٨٦٠ م[7] .

نشأته

لم يذكر احد شيئاً عن ايام ابن عبد ربه الاولى ، ولا هو المع الى شيء من من وصفها في عقده ، ولا نحن نعلم شيئاً عن ابيه او جده او المحيط العائلي

---

١) بعض المصادر تذكره بواو « ابو عمرو » وهو خطأ . وقد وردت هذه الكنية في شعر بذيء لمعاصر لابن عبد ربه هجاه به :

يا عرسَ احمدَ اني مزمعٌ سفرا ... فودعيني سراً من ابي عُمرا

راجع المقري ٢ : ٨٢٢ . وسنتصدى لامر كنية ابن عبد ربه في موضع آخر .

٢) ياقوت ٢ : ٦٧ يكتبها « حدر » . غير ان الناشر يصلحها في الهامش بحدير ، نقلاً عن الحميدي . اما ابن خلكان ١ : ٤٥ فيكتبها « حدير » ثم يقول بضمّ الحاء ، وفي سائر المصادر نراها « حدير » .

٣) ابن الفرضي ١ : ٣٧ ٤) الضبي : ١٢٧

٥) ليس بين المصادر الاوليه التي بين ايدينا ما يبين موضع ولادته . فالبعض كابن الفرضي مثلاً يذكر ان ابن عبد ربه من اهل قرطبة (١ : ٣٧) وابن خاقان يذكر حادثة جرت لابن عبد ربه في شبابه ، وهو في قرطبة ، والغريب ان Brockelmann يجزم ان الولادة كانت في قرطبة راجع مقالته في [The Encyc. of Islām, vol. II, p. 353]

٦) الضبي : ١٢٧

٧) Brockelmann, [The Encyc. of Islām vol. II, p. 352]

الذي نشأ فيه . وجل ما نعلم هو ان والد جد جدّه ، «سالم القرطبي» ، كان مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وقد كان هشام بن عبد الرحمن اميراً بعد ابيه عبد الرحمن الداخل . ولكن هل استمرت عائلة سالم القرطبي في ولائها لآل هشام من بعده . ذلك امرٌ لا نعلمه .

نشأ في قرطبة كما يستدلّ من بعض الاخبار المرويّة عنه[1] . وقد كانت قرطبة في ذلك العصر من اعظم مدن الاندلس تشبه بغداد في كثير من الوجوه ، حتى قيل انها كاحد جانبي بغداد[2] . وكان فيها رصافة كرصافة بغداد[3] . وكانت عظيمة العمران ، ذكرها المقري في «نفح الطيب» فقال : «يحكى ان العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى كان يمشي فيها بضوء السرج المتصلة عشرة اميال وفيها جبال الورد الذي صار اصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يتخونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريّه هنالك وتقطع غدره ومروجه معنى آخر وحلاوة اخرى وزيادة انس وكثرة امان من الغرق وفي جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارةً وبهجة»[4] .

وقال ابن حوقل التاجر الموصلي ، وكان قد طرق تلك البلاد في حدود سنة ٣٥٠ : «واعظم مدينة بالاندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الاهل وسعة الرقعة»[5]

وليس غريباً ان تكون قرطبة كما وصفها هؤلاء . فقد كانت عاصمة الامراء الاندلسيّين من بني اميّة ، منذ زمن عبد الرحمن الداخل في منتصف القرن الثاني الى زمن عبد الرحمن الناصر ، الذي عاصره ابن عبد ربه ، والى ما بعد زمن الناصر .

وكان اهلها متموّلين[6] . وكان فيها من ضروب اللهو والغناء ما يوافق حاضرة مثلها . تغرّب عنها قاضي الجماعة فيها ، فقال :

---

١) ابن الفرضي ١ : ٣٧
٢) ياقوت ب ٤ : ٥٩
٣) ياقوت ب ٤ : ٥٩
٤) المقري ٢ : ٧٦٣
٥) ياقوت ب ٤ : ٥٩
٦) 〃 〃 〃

يلمُّ ذكراي من ورقٍ مغرّدةٍ على قضيبٍ بذاتِ الجزع ميّاسِ
رددن شجواً شجى (١قلبي الخليَّ فقل في شجو ذي غربةٍ ناءٍ عن الناسِ
ذكّرنه الزمن الماضي بقرطبةٍ بين الاحبةِ في لهو وايناسِ
هجن الصبابة لولا همّةٌ شرفت فصيرت قلبه كالجندل القاسي. (٢

وكان الغناء شائعاً عند هؤلاء العرب الاندلسيين، لاسيما في قرطبة حيث كانت تفد الجواري المغنيات من مختلف الاقطارالعربية، من عهد زرياب المغني، موصلي الاندلس وصاحب السهم الاكبر في هذه الحركة الغنائية فيها، الى عهد شاعرنا ابن عبد ربه الذي كان فيما سيظهر لنا من المولعين بسماعه. وكان بلاط الامراء مسرحاً لهؤلاء المغنين والمغنيات(٣). وكتب تاريخ الاندلس، من قديمة وحديثة، مفعمة بالاخبار عن هؤلاء وحياتهم في اندية الملوك والامراء وعن الاثر الذي تركوه في نفوس اهل ذلك الجيل وادبهم. وتتفق هذه الكتب في ان الامراء كانوا يتبارون في اقتناء الجواري المغنيات، كما يتبارون في استحضار الشعراء الى بلاطهم. فيحيطون الجميع بعنايتهم ورعايتهم ويشجعونهم ويغدقون عليهم العطايا.

وكان ابن عبد ربه جدّ مولع بسماع هذا الغناء. ذكر الفتح بن خاقان ان الغناء الذي سمعه ابن عبد ربه وهو مارّ تحت قصر احد الرؤساء بقرطبة اذهب لبّه والهب قلبه(٤). وسرعان ما تناول رقعة كتب عليها الى صاحب القصر يسأله الاذن في سماع المغنية:

يا من يضنُّ بصوت الطائر الفرد ما كنت احسب هذا البخل في احد
لو أن اسماع اهل الارض قاطبةً اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضنّ على سمعي تقلّده صوتاً يجول مجال الروح في الجسد.
اما النبيذ فاني لست اشربه ولست آتيك الا كسرتي بيدي (٥

---

١) كذا في الاصل، والصواب: شجا

٢) ياقوت ب ٤: ٥٩

٣) Ribera، صفحة ١٠٩، يذكر انه كان عند الامير سعيد بن جودي مغنّية اسمها جهان كانت ترغب في ان لا تغني صوتا، فكانت تنشد من الغرفة العليا في المنزل.

٤) ابن خاقان: ٥١

٥) ابن خاقان: ٥١

وذكر المقّري ان هذه المغنية معروفة اسمها مصابيح ، وقد كانت جارية عند الكاتب ابن حفص عمر بن قلهيل ، وقد اخذت الغناء عن زرياب نفسه . وروى انها كانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت ، وان سيدها عند قراءته ابيات ابن عبد ربه خرج حانياً وادخله الى مجلسه فتمتع من سماعها[1] .

ولنترك ما يقوله ابن خاقان والمقّري الى ما يجاهر به ابن عبد ربه نفسه في عقده فيقول : « الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وانس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب واخذه بمجامع النفس . »[2] وقال ايضاً : « وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة . فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذبّ عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب . وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرقق القلب من خشونته ويتذكر نعم الملكوت ويتمثله في ضميره »[3] .

ولا استطيع المرور بهذا الكلام الذي يصف فيه ابن عبد ربه اثر الالحان الحسان في النفوس وفعلها في ترقية الاخلاق دون ان اتخيّل الرقيّ الذي كانت عليه هذه الصناعة ، او هذا الفن في العالم العربي وبالاخص في الاندلس ، يوم كانت اوربة لا تفقه منه شيئاً . وهل بعد هذا التصريح من ابن عبد ربه يظلّ بعض الغربيين على اعتقادهم ان الموسيقى قبل القرن السادس عشر لم تكن تثير في النفوس روعة الجمال كما تثيرها موسيقى اليوم ؟[4]

ولا بدّ لي بهذه المناسبة ايضاً ان ادون هنا ان هذه الموسيقى الاندلسية من غناء وانغام لم ينقصها في نظر المستشرقين الذين فرغوا للبحث فيها وتخصصوا

---

١) المقري ، طبعة اوربة ، ٢ : ٩٠ . ويذكر Dozy ، ص٣٢٤ ، قصة مثل هذه عن الامير سعيد بن جودي انه كان ماراً بقرطبة قرب قصر الامير عبدالله ، فسمع صوت المغنية جهان من نافذة تطلّ على الشارع ، وكانت تغني للامير وتسقيه خمراً ، فانزوى سعيد في زاوية وتطلع الى النافذة حيث رأى يد جهان تناول الامير خمرته ، فقبّلها .

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٩ .

٣) 〃 〃 〃

٤) Ribera, p. S ، ومن الخير ان Ribera نفسه لا يرى رأي هؤلاء .

لدرسها كـ Farmer و Ribera ، تلاؤمُ الاصوات وحسن ايقاع الالحان ، اي الهارموني (harmony) ، التي ينعاها بعض الغربيين على الموسيقى الشرقية اليوم. بل اذهب الى ابعد من هذا فادوّن ما كتبه احدهما Ribera في مقدمة بحثه الذي رفعه الى الاكادمية الملكية في اسبانية قال: « وهكذا اصبحت اسبانية الفنية القديمة العروة الوسطى التي ربطت الفن القديم بالجديد» ثم يقول ايضاً : « ان اوربة اذاً مدينة لهؤلاء الاندلسيين الذين حازوا هذا التراث في فنّ الموسيقى ونقلوه الى اوربة فظلّ معيناً لا ينضب يرده الموسيقيون من اوربة دون ان يبحثوا عن مصادره.» [1]

وكم اود لو يعنى اليوم احد الموسيقيين الشرقيين ، الذين حازوا شيئاً من الثقافة العلمية والموا باساليب البحث العلمي الحديثة ، بدرس هذه الناحية من الموسيقى العربية القديمة وتبيان آثارها في موسيقى الغرب.

ولنعد الى ابن عبد ربه نسمع قوله في العقد ايضاً : « وبعد فهل خلق الله شيئاً اوقع بالقلوب واشدّ اختلاساً للعقول من الصوت الحسن اذا كان من وجه حسن ؟ [2] »

ولعلّ في هذا القول ما يلائم المبالغة التي رأيناها في قول الفتح بن خاقان عن ابن عبد ربه انه سمع صوتاً من القصر اذهب لبّه والهب قلبه [3].

وخصّص ابن عبد ربه كتاباً من عقده للالحان ، هو كتاب الياقوتة الثانية ، ذكر فيه كثيراً من الروايات التي احتجّ فيها الناس باجازة الغناء ، وذكر بعض الاحاديث المنسوبة الى النبي العربي التي تجيز الغناء [4] . وردّ على ادعاء من كره الغناء ، وذكر تأويلهم في ذلك آياتٍ من القرآن فخطّأهم في التأويل [5] ، ومضى محاولاً اظهار ان من كره الغناء انما كان كرهه له ككره بعضهم الملاذّ من مطعم ولباس وغيره ، لا على طريق التحريم ، واستمرّ يفنّد حججهم ويردّ عليها.

1) Ribera, p. 9
2) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٠
3) ابن خاقان : ٥١
4) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢
5) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢

فاذا ما ذكر قصة الحسن البصري مثلاً ، وقد تقدم اليه رجل يسأله عمّا يقول في الغناء فيجيبه : « نعم العون الغناء على طاعة الله ! » ويعود الرجل فيقول : « اسألك عمّاذا تقول في ان يغني الرجل ؟ » فيقول البصري : « وكيف يغني ؟ » فيأخذ الرجل يلوي شدقيه وينفخ منخريه . فيقول البصري : « ما ظننتُ ان عاقلاً يفعل هذا ! » ، اذا ما ذكر هذه القصة وهذا الجواب الذي قد يشتمّ منه كره البصري للغناء ، انبرى يقول ان البصري انكر على الرجل تشويه وجهه وتعويج فمه ليس إلا[1] . وقد يسلّم ابن عبد ربه مع خصومه في هذا الامر في ان بعض الايمة كانوا يكرهون الغناء ، ولكنه يردّ عليهم بانَّ هذا مذهب العراق او ، كما يقول هو ، « انما هو من طريق اهل العراق »[2] ويقول : « فان كانت الالحان مكروهة فالقرآن والأذان احقّ بالتنزيه عنها ، وان كانت غير مكروهة فالشعر احوج اليها . »[3]

وهكذا ترى ان ابن عبد ربه كان مولعاً بهذا الغناء مغرماً به يستلذه كثيراً ، لاسيما ان كان من وجه حسن . ويجيزه على مذهب اهل الحجاز ، وبالاخص اهل المدينة ، يقول : « ديننا في السماع دين مديني »[4] . ولنا ان نظنّ انه كان يقضي قسماً من وقته لا بأس به في سماعه في المجالس التي كانت تعقد له ، لاسيما في بلاط الامراء الذين كان يتردد عليهم .

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢

٢) « « «

٣) « « ٣ : ٢٢١

٤) الثعالبي ١ : ٢٦٢

(للبحث صلة)

العناصر الفارسية في لبنان

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

من المسائل المهمة التي لم يتعرَّض لها جغرافيو العرب الّا نادرًا مسألة اصول الشعوب الساكنة لبنان في القرون الوسطى. وذلك ان لبنان لم يكن ليسترعي انتباه اولئك الجغرافيين، فان سكانه المسيحيين في اكثرهم لم يخضعوا لسلطة الغزاة خضوع جيرانهم سكان الداخلية. على انه من الخير ان نلفت النظر، بهذه المناسبة، الى الاسطر القليلة التي خصها بوضوعنا، في اواخر القرن التاسع (سنة ٨٩١ م. او ٢٧٨ هـ.)، المؤرخ الجغرافي اليعقوبي في مؤلفه المعروف «بكتاب البلدان»[1]

يطلعنا اليعقوبي، في كلامه على بعلبك، ان «اهلها قوم من الفرس». وهو يورد الملاحظة نفسها في كلامه على عرقة، مدينة صغيرة في شمالي شرقي طرابلس، فيقول: «فيها قوم من الفرس ناقلة» اي قدموا اليها من الخارج. اما في ما خصَّ طرابلس فيذكر سكانها الفرس، ويزيد ان «معاوية ابن ابي سفيان كان قد نقلهم اليها». ثم يذكر مدن جبيل وصيدا وبيروت ويؤكد قائلًا: «واهل هذه الكور كلّها قوم من الفرس نقلهم اليها معاوية ابن ابي سفيان.» وفي هذا التأكيد بعض المبالغة دون شك. فيجدر بنا ان نفهم قول اليعقوبي بشيء من التحفُّظ فنعرف ان في تلك الكور بعض العناصر

---

١) طبعة دي غويه ص ٣٢٧، وهو المجلَّد السابع من «خزانة جغرافيي العرب».

الفارسية . وذلك ان اليعقوبي نفسه يشير الى سكان من غير الفرس كبني عاملة ، في جبال صيدا[1] .

على ان المهمّ ان نعرف مَن كان اولئك الفُرس ، وما الذي دفع بهم الى السواحل اللبنانية ؟

لا يخفى ان فتح العرب لسورية حصل كجميع الفتوح شيئاً فشيئاً وبظروف متفاوتة . فبينا كان الغزاة يدخلون بسهولة سورية الشرقية المفتوحة سهولها على الصحراء ، كانوا يتوقفون امام المناطق الجبلية ، فتصدّهم عنها طبيعة الارض فلا يفكرون بالتوغل فيها . اما الساحل اللبناني فلم يفتحه العرب الّا « فتحاً يسيراً » على قول البلاذري[2] . وهو تعبير لطيف يمكن ان نفهمه بمعانٍ عدة ، فيكون المقصود به فتحاً جزئياً ، او فتحاً سطحياً ، او فتحاً سهلاً . على ان المعروف ان العرب لم يهتموا بهذا الفتح الّا ليضعوا الجزية على الساحل المذكور ، فلم يفكروا اولًا باحتلاله احتلالا عسكرياً . وهكذا رأينا المدن اللبنانية ، في ربع القرن الاول للهجرة ، تنتقل عدة مرات من العرب الى البيزنطيين ومن هؤلاء الى اولئك . والسبب في ذلك ان البيزنطيين كانوا لا يزالون مسيطرين على البحر ، ذاك العنصر المضطرب الذي كان يخافه كل الخوف بدو الصحراء المتشبثون بيابستهم .

على ان هذه الحالة لم تكن لتروق العرب ففكروا بالتخلّص منها . فقام معاوية ، على ما يروي البلاذري[3] ، بجلاء كثير من اهل تلك المدن الساحلية . وقد نقل صالح بن يحيى في « تاريخ بيروت »[4] كلام البلاذري ملخصاً ، ولكنه بدل « جلاء » وضع « خلّى » فاتى معنى قوله ان معاوية خلّى في بيروت كثيراً من اهلها .

ومها كانت الرواية التي يختارها المطالع ، فان النتيجة واحدة وهي

---

١) الكتاب المذكور : ص ٣٢٧ ، السطر ٢

٢) البلاذري : فتوح البلدان ، الطبعة الاولى ، ص ١٢٦

٣) الكتاب المذكور : ص ١٢٦ ، السطر الاخير

٤) طبعة الاب شيخو اليسوعي ، الطبعة الاولى ، ص ٢٢

ان المدن الساحلية اخذت تفقد من سكانها منذ الفتح العربي. فكان من دهاء معاوية انه عمل على سدّ هذه الثلم بعناصر جديدة من السكّان تكون اوفر موالاة للفاتحين من السكان الاصليين. ولم يتراجع امام شيء في هذه الغاية، وفي سبيل اقرار السلطة العربية في طرابلس، تلك المدينة التي كانت تسيطر، مع مدينة عرقه، على وادي النهر الكبير المكوّن طريقاً فسيحة مفتوحة امام من يقصد سورية الداخلية من الغزاة. ولما كان سكان طرابلس يتذمّرون من ذاك التغيير في نظام الحكم، اسكن معاوية بينهم «جماعة كبيرة من اليهود»[1].

ولسائل ان يسأل: لماذا لم يسكن معاوية العرب في تلك الانحاء بدل اليهود والفرس؟

اما الجواب فقد تبسطنا فيه في احد ابحاثنا السابقة[2] وخلاصته ان البدو كانوا ينفرون دائماً من الاقامة ضمن اسوار المدن. فكان معاوية، كلّما ارادهم على ذلك، آب بالفشل. وقد لزمه كثير من السياسات وزمن طويل حتى استدرجهم الى سكنى دمشق وغيرها من مدن سورية المجاورة لصحرائهم. وفضلاً عن ذلك فان البدو لم يكونوا ليرضوا بسكنى السواحل اللبنانية حيث يكونون عرضة للمخاطر الدائمة، وهم بين البحر الزاخر بالبيزنطيين والجبل الحافل بشعوب لم تكن قد خضعت لسلطة العرب. ومما يؤيد عظم الخطر البحري وجرأة قرصان البيزنطيين الذين كثيراً ما كانوا يهجمون على ميناء بيروت فيغتصبون المراكب التجارية ما ذكره ابن عساكر[3]، على عهد هشام بن عبد الملك (٧٢٤-٧٤٣) كما يظهر، قال: «فاغار الروم على جماعة من تجّار مرسية بجهة بيروت وذهبوا بهم فمرّوا على باب ميناء بيروت واهلها ممسكون بايديهم هيبةً لهم.» ولم يذكر ابن عساكر وجود حامية عربية في بيروت.

---

١) البلاذري: الكتاب المذكور، ص ١٢٧

٢) راجع كتابنا *La Bâdia et la Hira sous les Omayades*, pp. 99 sqq. dans MFOB, IV, 1910

٣) تاريخ دمشق، طبعة بدران: ٣: ٤٧

وشعر معاوية بوجوب احتلال السواحل احتلالاً عسكرياً . فعمل على ترغيب الجنود العربية في الاقامة هناك بان اخذ يقطعهم القطائع . على ان حالتهم كانت عرضةً للقلق والاضطراب ، لانهم كانوا يخشون ، من يوم الى آخر ، نزول البيزنطيين الى البرّ . فكانوا ، اذا شعروا بخطر من جهة البحر ، يسرعون بقطع جبال لبنان وبالالتجاء الى مراكز حامياتهم في الداخلية . وهي الحالة نفسها التي نتحقق وجودها على السواحل المذكورة ، ستة قرون بعد الفتح العربي ، اي على اثر الحروب الصليبية[1] . حتى ان المماليك ، الذين كانوا يخشون رجوع الفرنجة من وقت الى آخر ، اخذوا بتخريب مدن الساحل مكتفين بان بان يراقبوا العدوّ من بعلبك ومن دمشق ، حتى اذا انبأتهم رسائل حمام الزاجل بظهور الاشرعة اللاتينية في عرض البحر ، انحدروا بجيوشهم لملاقاته.

فلا غرابة ، والحالة هذه ، في ان تكون مراكز الحاميات الفنيقية مرغوباً عنها في القرن الاول للهجرة . فكان يتجنبها العرب لما كانت تمثّل لهم من المخاطر . ولم تكن السلطة تُرسل اليها الا المتطوّعة من الراغبين في الجهاد حتى الاستشهاد . ولهذا اتاح الحظّ لبيروت ان ترى بين جدرانها عدداً من رجالات التاريخ الاسلامي الاول . وكانت حاميتها تتعلق بجند دمشق او منطقتها الحربية فكان يهبطها من رغب بالجهاد الخطر من المتطوعة . وقد روى ابن عساكر[2] ان سلمان الفارسي الشهير ، لما زار مدينة دمشق ، طلب ان يحيّي ابا الدرداء . فقيل له انه « مُرابط » في ساحة الجهاد . فقال : واين مرابطكم يا اهل دمشق ؟ قالوا : في بيروت . فسار سلمان الى بيروت راجياً ان ينال هو ايضاً حظاً من الجهاد . وقد نال مكحول الشهير لقب « البيروتي » لانه جاهد في بيروت عدة سنوات . وكذلك رابط ببيروت مدة طويلة الامام الاوزاعي[3] . ومعنى « رابط » هنا اقام في حاميتها مستعداً للحرب او الجهاد ، لا معتزلاً زاهداً عاكفاً على التأمل والصلاة كما قد يشرح بعضهم هذه اللفظة .

---

١) اطلب في ذلك .Lammens, *La Syrie*, II, p. 2 sqq

٢) ابن عساكر : الكتاب المذكور ٣ : ٢٦٤

٣) صالح بن يحيى : الكتاب المذكور ، ص ٢٤

فان « الرابطة » ، في القرن الاول للهجرة ، لم تكن تختص الا بالفن الحربي ، ولم تكن تستعمل الكلمة نفسها الا في اللغة الحربية[1] . اما معنى الزهد والاعتزال والعكوف على الصلاة و«المرابطة» فتأخر عن المعنى الاول.

وقد بلغ من شدة الخطر في السواحل الفنيقية ان عمّال الولايات العراقية ، وهي اكثر المناطق شغباً لما كان يجتمع فيها من القبائل المقلقة ، كانوا يهددون المشاغبين بارسالهم الى حاميات فنيقية ، وهي «المنايرة»[2] كما كان يُقال ، فيخلد هؤلاء الى السكينة . حتى اذا عاودوا الشغب ارسلتهم السلطة الى شواطئ لبنان يرابطون بها مدة معلومة فيعودون هادئين ساكنين.

***

على اثر مقتل علي اصبح معاوية سيّد الخلافة الوحيد ، فرأى ان يأخذ بالوسائل الفعّالة لقمع الثورات الداخلية وتعزيز الحامية في الثغور . فكان من جملة تلك الوسائل تفكيك عُرى الجماعات المشاغبة وجلاء البعض منها . وقد عاونه في ذلك زياد ابن ابيه[3] عامل الولايات الشرقية.

كان الفتح العربي قد ترك ما بين النهرين ، دجلة والفرات ، الوفاً من العساكر الفارسية الذين كانوا يرتزقون بالمقاتلة . فضلاً عن العدد الوافر من الزُّطّ والسيابجة[4] ، وهم ايضاً من العساكر غير النظامية الذين كان يجلبهم الساسانيون من الهند فيستأجرونهم في حروبهم . وكان المقاتلة الفرس يمتازون بلونهم المائل الى الحمرة فدعاهم العرب « بالحمراء » . وكان اكثرهم قد دانوا بالاسلام ظاهرياً لقاء معاش تدفعه الحكومة . على انهم ظلّوا ، وابناؤهم من بعدهم ، غرباء في ذاك المجتمع العربي لا تقاليد لهم يسكنون اليها ، ولا مساواة تعدلهم بالعرب على رغم اسلامهم . فكانوا يلبون كلّ داعٍ الى ثورة وينصرون كل قائم بحركة . ولم تكن ارض العراق لتخلو من هذه الحركات ولاسيما بعد

١) من ذلك قول القرآن ٣ : ٢٠٠ ، ٨ : ٦٣

٢) راجع الطبري ، طبعة دي غويه ، ١ : ٢٩٠٩–٢٩١٥ ؛ ٢ : ٢٥٨ ، ١

٣) اطلب كتابنا *Ziâd ibn Abîhi*, p. 109

٤) اطلب في ذلك مقالة فرّان في المعلمة الاسلامية . Ferrand, [Encycl. de l'Islam]

موت علي . فشاءت السلطة ان تتلافى هذا الخطر الدائم ففرّقت « الحمراء » اولًا واقامت قسماً منهم بالبصرة وقسماً بالكوفة . حتى رأى معاوية بثاقب بصره حلًّا اوفق لهذا المشكل . فعمل ، بوقت واحد ، على تهدئة العراق وتأمين سورية فسيّر « الحمراء » الى السواحل اللبنانية وعهد اليهم بحفظها . « فهم بها يُدعون الفُرس » كما يفيدنا البلاذري[1] . ثم قام معاوية بالعمل نفسه في ما خصّ جموع المقاتلة من الهنود كالزُطّ والسيابجة « فنقل منهم الى سواحل الشام بشراً »[2] . ونقل غيرهم ايضاً ، في سبيل الغاية نفسها ، الى مناطق انطاكية التي كانت الحروب البيزنطية قد اخربت الكثير منها وقلّلت فيها عدد السكّان .

هؤلاء هم الفرس الذين اشار اليعقوبي الى وجودهم في فنيقية . وقد عرفنا السبب في نقلهم الى السواحل والغاية من اسكانهم فيها ، وهي اولًا غاية عسكرية ثم غاية عمرانية لسدّ الثلم التي احدثتها الحروب في السكان . عرفنا ذلك بفضل المعلومات التي حفظها معاصر اليعقوبي ، المؤرخ البلاذري المتوفى سنة ٨٩٢ . ونعرف بواسطة الكندي[3] وابن الاثير[4] انه كان من اختصاص هؤلاء الفرس في مدن السواحل ، كما كان من اختصاصهم في العراق ، ان يسهروا على السجون ويراقبوا خصوصاً المبعدين السياسيين .

ولكنّ هناك امراً غريباً في ما خصّ موضوعنا . فان البلاذري نفسه[5] يزعم ان العرب عند دخولهم سورية وجدوا « فُرساً » مقيمين في بعلبك . يظهر ذلك من نصّ عهدٍ كتبوه لاهل تلك المدينة حول السنة ١٥-١٦ للهجرة وفيه يقسم سكان بعلبك الى ثلاثة اقسام : روم وفرس وعرب . على ان انشاء هذا العهد ، الذي لم يذكره الّا البلاذري وحده ، يخرج عن المعتاد وهو امر يستحق الملاحظة والاستغراب . ولا يقلّ غرابة عن ذلك ما ورد فيه من الشروط

---

١) البلاذري : الكتاب المذكور ، ص ٢٨٠ ، السطر ٧

٢) البلاذري : الكتاب المذكور ، ص ٢٧٦ ، السطر ٨

٣) الكندي : ولاة مصر ، طبعة Guest ، ص ٨ ، السطر الاخير

٤) ابن الاثير : أسد الغابة ٣ : ٢١ ، وليُقرأ : « فارسي »

٥) البلاذري : ك . م . ص ١٣٠

وتحديد الحالة السياسية وعناصر السكان مما لم نعهده في امثاله .

وليس الصك المذكور معاهدة ولا اتفاقاً ، بل هو ، في الحقيقة، مثال لتحرير جواز لشخص مجهول او « كتاب امان لفلان بن فلان » . وهو لا يحمل توقيع احد ولا اسم قائد ولا شاهد ، كما نرى في جميع العهود والامانات التي وصلتنا من ذاك العصر . وقد لاحظ الدوق كايتاني[1] ان هذا السند محوَّر ومبدَّل فيه بدليل تقابل لفظتي « الجزية » و« الخراج » واستعمالهما بمعنيين متميزين، وهذا التمييز متأخر دون شك عن القرن الاول للهجرة .

ومهما يكن من الامر فاننا لا نرى شرحاً وافياً لوجود الفرس في بعلبك قبل الهجرة .

مما لا شكّ فيه انه كان في بعلبك ، بعد ذاك العهد ، كثير من السكّان ينتمون الى الفرس . وقد ذكر منهم ابن عساكر[2] في ترجمة رجل اسمه محمد بن وضي بن بلال بن فزارة . على انهم كانوا قد استعربوا كما يظهر من هذه الاسماء المتتابعة . ولكن المشكل الذي لا يمكن حلّه هو هل ينتمي هؤلاء الفرس الى « الحمراء » الذين سيّرهم معاوية كما تقدم ، ام يرتقون الى الفرس الذين ذكرهم البلاذري مقيمين في بعلبك قبل الفتح الاسلامي ؟

---

١) اطلب *Annali dell' islam*, III, 435

٢) في مخطوطة دمشق ، المجلد ١٦ ، وهي غير مرقّمة الصفحات .

(للبحث صلة)

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٥

موقف البطريرك من ربه (تابع)

موقفه من ربه في حياته العمومية

العيشة المشتركة

عنوان الحياة الفردية في المرء اعماله في حياته العمومية سواء أكان رجل دين او رجل سياسة ، وفي هذا يصدق المثل القائل : « كل اناء بما فيه ينضح » أجل ان الوظائف الكبيرة في الدنيا والدين تظهر ما يبطن اصحابها من فضائل وعيوب . وقد اظهرت حياة البطريرك الحويك العمومية ما أشرت اليه في حياته الخصوصية من الفضائل المسيحية الراسخة ومن التقوى الحقيقية.

فمنذ تبوّأ السدة البطريركية اوجب الحياة المشتركة في كرسيّه على نفسه وعلى حاشيته. فكان امام الجميع في المحافظة عليها اذ كان متقيداً بنظام واحد للكل لا يحيد عنه قيد شعرة في الرقاد وفي النهوض ، في الصلاة وفي الاكل ، في القعود وفي القيام ، في العمل وفي الراحة . فكان يومه مرتَّباً لكل ساعة منه عمل خاصّ لا يتخلّف عنه الا لعذر مشروع . وما كان يعذر نفسه عن الحياة المشتركة الا متى اقعده المرض ، بل كان يجهد نفسه في ذلك اكثر مما تقدر عليه دون ان يبدو منه ما يشعر بعجزه عن القيام بتلك النوافل التي جعلها على ذاته وعلى حاشيته فرضاً. وتذكر حاشيته انه مرض مرضه الاخير في تسعوية الميلاد ، ومع انه كان في اقصى درجات الشيخوخة ، وفي ايام البرد الشديد ، ومع انه كان مريضاً منذ ايام والموت يدبّ في عروقه وعظامه وهو لا يدري ، ولكنه

كان شاعراً بوطأة الداء في جسمه، فانه لم يتخلف عن المشاركة بالتسعوية مع الجمهور في الكنيسة الى اربعة ايام قبل وفاته. وانه، اذ كان عائداً من الكنيسة، خانته قواه، فارتمى بعجز الداء والشيخوخة فحُمل الى فراشه. ولما عاده الاطباء ادركوا انه كان يمشي الى الصلاة في تلك المدة الاخيرة بقوّة ارادته ومحبته لله لا بقوّة جسمه!

والغريب انه حافظ على الحياة المشتركة القانونية في جميع مدة بطريركيته كأنه كان راهباً قانونياً مقيداً بذلك القانون، وكان مدفوعاً الى تلك الحياة المرتبة في نفسه وفي جمهوره لا بروح العادة ولا بميل الترتيب الفطري في الانسان، بل بروح الفضيلة، بروح الله تعالى لتقديس نفسه وتقديس من معه واعطاء المثل الصالح لجميع الاساقفة في اسقفياتهم، ورؤساء الاديار في اديارهم، وللرهبان الذين تقيدوا بالقانون بقوة النذور الاحتفالية. وكل من عاش في الصرح البطريركي يعلم حق العلم ان البطريرك الحويّك كان في محافظته على المعيشة المشتركة افضل من راهب قانوني مدقق في المحافظة على نذوره وقانونه وفرائضه.

الرياضة الروحية

وما كان يعلّم تعليماً الا ويكون قد سبق ومارسه بنفسه واشرك معه فيه حاشيته واساقفة طائفته جميعهم. فكان يرسل المرسلين كل سنة الى جميع الرعايا في ابرشيته الواسعة للوعظ والانذار وتنبيه الشعب الى واجباته الروحية والتجدد بالحياة المقدسة. وكان يستحث مطارنة الابرشيات على العمل ذاته، فيتهلل عندما يؤوب المرسلون ويجلسون امامه يقصون عليه اخبار رسالاتهم وما لاقوه من النجاح الروحي في الرياضات التي القوها على الشعب.

فهذا التعليم الخلاصي كان يزاوله بذاته اذ يجمع كل حول جميع اساقفة الطائفة المارونية ويختلي بهم وبحاشيته البطريركية في بكركي او في الديمان يتروّض فيه معهم بدعوة كاهن او اثنين من علماء كهنة الطائفة المارونية وافاضلهم، او من الآباء المرسلين اللبنانيين، لالقاء مواعظ الرياضة عليه وعلى جمهوره. لهذا كان عندما يدعو الشعب الماروني الى الرياضة الروحية كان لدعوته

التأثير العملي اذ كان الشعب يرى رئيسه الاعلى يعمل ما يعلّمه اسوة بيسوع «في جميع الامور التي عملها وعلّم بها»[1]

عبادته لقلب يسوع الاقدس

الحب لهيب في القلب لا يلبث ان يضرم ما حوله ويشعّ بنوره فتمتد وتنتشر حرارته. وقد قيل، وحقّ ما قيل، ان الحب لا يختفي بل من طبعه الظهور والفيضان. فتلك المحبة التي كانت تتأجج في صدر الحويّك لله ولابنه مخلّص العالم يسوع كان لا بُدَّ لها من ان تبرز الى الخارج باشكالها الحسية الممكنة. وقد بدت في محبته لقلب يسوع الاقدس، القلب الالهي والانساني، فكان من بواكير اعماله، فور ارتقائه الى السدة البطريركية، انه اذاع منشوراً في ٤ آب سنة ١٨٩٩ كرّس به الطائفة المارونية جمعاء لقلب يسوع الاقدس مقتفياً بذلك آثار وليّ نعمته امام الاحبار، البابا لاون الثالث عشر، ملبياً اشارته المتفقة مع عواطف قلبه الكبير المضطرم بمحبة ابن الله، ودعا جميع افراد الطائفة ليكرّس كل واحد ذاته لهذا القلب الالهي بحفلات علنية تُقام في كنائس الطائفة قد وضع لها شروطاً استعدادية تقوية رشيدة.

وما فتئ جميع ادوار بطريركيته يحرّض الشعب الماروني على التعبد لقلب يسوع الاقدس بتنشيطه الذين كانوا يعنون بنشر عبادة هذا القلب الالهي بواسطة الاخويات، ونشر كتب العبادة والصور، وما اشبه. فكان يجيز طبع ما يتعلق بالعبادة للقلب الالهي بكل ارتياح، ويشع وجهه بالابتهاج والمسرة عندما يبلغه انشاء اخوية جديدة لقلب يسوع في الرعايا او في الاديار. وامر ان يُحتفى بشهر حزيران، المخصص لعبادة قلب يسوع الالهي، في الكرسي البطريركي ذاته وكان يحضر الحفلة في الكنيسة كل مساء بنفسه ليعطي بذاته المثل الصالح لجميع ابنائه.

بعد ان وضعت الحرب الكونية اوزارها، ذهب البطريرك الحويك الى فرنسة مفوَّضاً من قبل جميع ابناء لبنان، فطالب باستقلال البلاد لدى مؤتمر

---
١) اعمال الرسل ١:١

السلام برعاية الدولة الافرنسية. ثم آب الى لبنان مؤيداً حاملاً صك استقلاله. فاستقبله اللبنانيون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم بمهرجان عظيم نادر النظير كما سبقوا وشيّعوه شاكرين نشاطه ومقدرته ناسبين اليه الفوز في تحقيق امانيهم. اما هو فاعلن بمنشور مؤرخ في ٨ ك ١ سنة ١٩٢٠ انه اتكل، في سفره الى مؤتمر السلام للمطالبة بحقوق اللبنانيين، على قلب يسوع، وان هذا القلب الالهي قد استجابه وأناله امنيّته وامنية البلاد. لهذا يكرّس له الطائفة المارونية مجدداً، وقرّر ان يقيم له تمثالاً في لبنان تخليداً لنعمته الالهية بنيل الاستقلال، ولكي يكون تمثال القلب الالهي للطائفة المارونية وللبلاد داعياً الى الاقتداء به بالمعيشة المقدسة الكاملة ليتمجد الله بهذا الجيل وبابنائه. ثم جمعت التبرعات في لبنان والمهجر تلبية لنداء الشيخ ولكن البطريرك توفي قبل القيام بالاثر الخالد. اما المال فمحفوظ للشروع بالعمل وسيكون هذا الاثر من آثار محبة الحويك لقلب يسوع الاقدس. ويحسن بنا هنا ان نردّد عبارة البطريرك العظيم في ذلك المنشور النفيس قال مخاطباً الشعب الماروني وابناء لبنان: « لا تخفيكم ايها الابناء الاعزاء انا لما عزّلنا على السفر الى اوربة في اواسط تموز من العام الماضي لندافع ما استطعنا عن حقوق لبنان هالنا الامر وشعرنا بعبء المهمة الخطيرة التي القيتموها على عاتقنا الضعيف لما كان من تعاكس النيات وتشاكس السياسات حول مسألتنا ولكي نستنهض همتنا رفعنا بنظرنا الى القلب الالهي الحنون قلب يسوع الاقدس ملجأ المبؤوسين وملاذ الملهوفين وابتهلنا اليه بكل حرارة قلبنا ان يسهّل طرقنا ويحظينا لدى عظماء الارض بما حاولنا التماسه باسم اهل وطننا.

« وبما ان القلب الالهي لم يشأ ان يكون التجاؤنا اليه عبثاً بل اراد رحمة بنا ومكافأة لتقوى اجدادنا ان يحقق امانينا وينيلنا بغيتنا فقد اقتضى من باب معرفة الجميل ان نكرس للقلب الاقدس طائفتنا التي اشتهرت وامتازت بتمسكها بعرى الدين القويم وان نجعل لبنان واهله تحت كنفه الخاص وحماه السامي. وقد ارتأينا تخليداً لذكر هذا العمل التقوي ان نقيم أثراً يعلوه تمثال القلب الالهي ويشترك جميعكم في نفقاته كل حسب امكانه ويكون لبنيكم وبني بنيكم من بعدكم ما كان لبني اسرائيل الاثنا عشر حجراً التي ركزها يشوع

ابن نون بعد عبره الاردن اي تذكرة لهم بعظائم الربّ فيتقونه كل الايام.»

عبادته لمريم العذراء

متى تفتّحت الاكمام بدت الازهار للعيون بالوانها الساحرة، واجتذب الانوف بشذا عطورها. فهذه العطور وتلك الزهور لو ظلّت في الاكمام مستورة لما درى بها احد غير انها ما كانت في جوهرها اقل قيمة وحقيقة. والتقوى الفردية تبقى مخفية ولا يذيعها الانسان الا اذا كان رجلًا عموميًا، او اذا عمل اعمالًا عمومية والاعمال هي التي تنمّ عما في باطن الانسان. فتعبد البطريرك اللبناني للعذراء في طفولته وحداثته وكهنوته واسقفيته كان مخفيًا في كمّ التواضع والعيشة المنفردة، فجاء ارتقاؤه الى البطريركية ناشرًا لتلك الفضيلة ففاح اريجها وطيّب الارجاء اللبنانية بل جميع الارجاء التي انتهى اليها صوت شيخ لبنان.

في ٧ ايلول سنة ١٩٠٣، ارسل منشوره السادس الى الطائفة المارونية وجعله بمثابة دستور للموارنة يقتادهم العمل به الى الخلاص الابدي واوجب العبادة لمريم بما انها امّ الله وامّ الجميع، وسار على خطوات البابا لاون الثالث عشر مكرسًا للعذراء شهر تشرين الاول لتكريم سيدة الوردية بتلاوة ثلث المسبحة في الكنيسة او في البيوت، واعطاء البركة بايقونة العذراء، وامر ان يُحتفى الاحتفاء الشائق بتذكار العيد الخمسيني لاثبات عقيدة الحبل بلا دنس.

اما هو فلم يكتفِ لنفسه ولحاشيته البطريركية بان يخصص باكرام البتول سيدة الوردية شهر تشرين الاول، بل جعل كل ايام السنة وكل حياته البطريركية شهر تشرين اذ كان يشترك كل مساء مع جمهوره بتلاوة مسبحة الوردية وباعطاء البركة بايقونتها، ثم تصعد لها الاناشيد بنغمات شمامسته الرخيمة الشجية فتمتزج مع روائح البخور ودخانه وتضيع مع انفاس البطريرك القدسية الخارجة من صدر مضطرم بمحبة البتول صاعدة الى السماء الى عرش سلطانة السماء والارض!

الى البتول كان يفزع في ملمّاته وملمّات الطائفة والبلاد. ففي بدء الحرب العالمية قد اصدر منشورًا الى الطائفة حرّض به ابناءه على الالتجاء الى هذه الام الحنون واوجب تلاوة ثلث ورديتها وزياح ايقونتها في الكنائس طول

مدة الحرب. وما ان انتهت حتى اصدر منشوره في ٨ كانون الاول ١٩١٨ شاكراً الله على نهايتها تائباً نجاة البقية الباقيــة في لبنان الى عناية امنا مريم العذراء، حاثاً الجميع على زيادة التعبد لها بالاكرام الحقيقي على مثال اجدادنا.

وقد نسب اندحار الترك وتقلص ظلهم عن البــلاد في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٨ دون ان يتمكنوا من العيث بالبــلاد فساداً وخراباً، الى شفاعة العذراء. اسوةً بما نالته اوربة على يدها في ٧ تشرين الاول ذاته سنة ١٥٧١ من دحر الترك واغراق عماراتهم في ليبانته.

ولما امَّ باريس للمثول امام اساطين السيــاسة في مؤتمر الســلام، عرَّج على رومية، والتفتتُ مع من التفَّ حوله من الجالية المارونية، واخذنا نسأله عن البلاد وعما يتوقعه في باريس لمهمته من النجاح. ففتح عينيه الكبيرتين ونظر الى السما. وقال بصوت سُمِعت به نبرات ايمانه الحيّ بالله وثقته التي لا تتزعزع بالعذراء: «يا اولادي لا استطيع ان اتكل على رجال السياسة ولا على وعودهم فالسياسة لا دين لها فهي التي ضحّت الملايين في مجازر الحرب ايتفق رجالها بما فيه مصلحة شعبنــا ونحن اقلية ضئيلة غريبة عنهم وهم لم يشفقوا على ابنائهم ؟! انا متكل على الله وعلى هذه المسبحة، واشار الى مسبحة العذراء. وهي بيده، فصلّوا معي لان قوة العذراء. مريم فوق كل قوة بشرية بما انها ام الله والله لا يرفض لامه طلباً وهي لاتخيّب طالباً!» لهذا نسب اليها الفوز عندما عاد من باريس واذاع منشوره الصادر في ٨ ك ١ سنة ١٩٢٠ السابق الذكر.

لاجل هذا كان يلتجئ الى العذراء. عند انحباس الغيث، وعند هجوم الجراد، وعند اشتداد المحن، وعند نزول الملمّات، وكان يخاطبها ويسألها مخاطبة الابن البارّ لامه الحنون بدالّة لم نرَ لها مثيلاً بين الابن وبين والدته الطبيعية بحسب الجسد! وقد اراد ان يكون لها في كل قرية من لبنان كنيسة على اسمهــا، وفي كل كنيسة مذبحٌ، وان تكون ايقونتها في كل بيت وعلى كل صــدر. وان يكون اسمها على كل شفة، وعلى كل لسان. وما اكثر ما شُيِّـد من الكنائس في ايامه وبامره وتنشيطه على اسمها. وكان السبّاق الى اكرامهــا اكراماً جمهورياً اذ شاد لها بالاشتراك مع ممثل الكرسي الرسولي الاثر الخالــد

في حريصا ، ذلك الاثر الذي اصبح مزارًا لجميع الطوائف الكاثوليكية في هذه البلاد يزورونه كل عام ، ولاسيما في شهر ايار المبارك يحملون اليها زهور نفوسهم وفضائلهم وزهور الطبيعة في الربيع الزاهي . ومن الحلو على القلوب انه ما زار احد تمثال العذراء في حريصا الا عرّج في رجوعه على بكركي لزيارة البطريرك اللبناني كأنه جاء يشكره على اهتمامه بهذا الاثر او كأن للبطريرك اللبناني رابطة خصوصية بالعذراء . وقد كان البطريرك يتقبل الجماهير الزائرين بعاطفة محبة وانعطاف كأنه رئيس تشريفات البلاط الملوكي عند العذراء المجيدة . وكأن بكركي هي بلاط تلك السلطانة ! ان ابناء لبنان يذكرون ذلك منذ اقامة الاثر في حريصا الى رقاد البطريرك الاخير .

تشييد الكنائس والاديار في بطريركيته

لم يكن مغالياً خطيب اميركا الجنوبية المفوّه ، المطران ميشيل ده اندرايا ، عندما رثى البطريرك اللبناني في كاتدرائية بونس ايرس يوم ٩ آذار سنة ١٩٣٢ اذ قال عنه : « فعمله كبطريرك انطاكية وسائر المشرق قد جاء كبيرًا متنوّعاً ومخصباً . ففي النظام الديني تراه قد شيَّد ١٨ ديرًا و٢٢ كنيسة »[1] فالحقيقة كذلك اذا ما قصرنا النظر على ما شيَّده في الابرشية والبلاد الخاضعة لولايته رأساً . واما اذا نظرنا الى ولايته على الطائفة فالانشاءآت الدينية هي اضعاف الاضعاف .

ان الشعراء والخطباء عندما كانوا يتغنون بمآثر البطريرك في حياته كانوا يقتصرون على ذكر تشييده لقصر الديمان ، وتجديده لمدرسة رومية ، ومركز الطائفة المارونية في القدس ، مع ان الكنائس والمعابد والاديار التي تجدَّدت او تشيَّدت في ابرشيته البطريركية وفي الطائفة في لبنان او في المهجر بامره او بتنشيطه او بايعازه او بمثله لعديدة . فلم يأتِ عصر من العصور تجدَّد فيه في الطائفة المارونية من الكنائس والاديار والمعابد ما يشابه عصر البطريرك الحويك . ولاسيما من حيث الهندسة والفخامة والعظمة اللائقة بخدمة الجلال الالهي . فلم يكن للمهاجرين قبله كنيسة ولا معبد في ديار الغربة . اما اليوم فقد اصبح

---

١) مجلة المنارة : السنة الثالثة ، العدد الرابع ، في اول نيسان سنة ١٩٣٢ ، صفحة ٣١٤

المهاجرون الموارنة يفاخرون المتخلفين بعدد كنائسهم، وكلها من الطراز الهندسي الحديث تحفة في الفن والذوق. ولم تكن عنايته بتجديد بيوت الله بشكل تظهر فيه عظمة الهندسة والفن الا ليكون مظهر العبادة الخارجية الواجبة على الانسان نحو خالقه لائقاً بالله جلَّ جلاله. وكان يأبى ان يكون بيت الله احقر من بيوت الناس. بل كان يريد ان يكون هيكل الرب متميزاً عن جميع منازل الناس مرتفعاً عنها وعن قصور عظماء الارض بسذاجته وعظمته ارتفاع الله عن مخلوقاته بالعظمة والكرامة!

فالذي يرى كنائس كفرصغاب، والعاقورة، وبجه، وبقاعكفره، واهمج، واديار راهبات العائلة المقدسة المارونيات في عبرين، والبترون، وبيروت، يفهم كم كانت محبته لله تتجلى في بنيان الهياكل وتشييد المعابد والاديار حيث ينصرف الناس الى عبادة الله واكرام اوليائه. ويعلم من اي طراز هي بقية الانشاآت الدينية التي تمت في ابرشية البطريرك والطائفة في ايامه.

موقف البطريرك تجاه الاولياء

من كان كله لله لا يفرح الا متى رأى الناس كلهم مثله لله قلباً وقالباً. ومن كان اباً لعائلة، او رئيساً لطائفة، او سيداً لبلاد، يعتقد ان من واجباته ان يقدس مرؤوسيه ويكملهم بكمالات الله؛ فيبذل في هذا السبيل كل قواه وتبتهج روحه بالله وينطلق لسانه بشكره عندما تتحقق آماله ببنيه ويراهم في اعلى درجات سلّم القداسة فيأخذ في اكرامهم وتعظيمهم ليشفعوا به وباخوانهم، ولكي يتخذ ابناؤه الاحياء من اكرامه هذا لاولياء الله مثالاً ينشطهم الى الاقتداء بهم فتصير تلك البقعة بقعة القديسين، وتنتقل السماء الى الارض او تصير الارض سماء!

كان شعار البطريرك الحويك وتعليمه بمثله في حياته الطويلة، وفي بطريركيته الغنية بجلائل الاعمال الآية الانجيلية السامية المعاني: «كونوا كاملين كما انَّ اباكم السماوي هو كامل!»[1]

---

1) متى ٥:٤٨

فهو عاش كاملاً في جميع ادوار حياته، ومات كاملاً، على قدر ما يستطيع الضعف البشري ان يبلغ من الكمال الانجيلي. وكان في كل ايامه يكرم اولياء الله لقداستهم المشابهة لقداسة الله كأنها ظلها على الارض وقد اراد ان يفهم ابناء طائفته ان كل شيء يسعون وراءه اذا لم يكن واسطة لبلوغ القداسة فهو باطل لان كل اكرام يزول ولا يحق الاكرام الدائم الا للفضيلة المسيحية المقرونة بالبطولة التي يكون اصلها من الله، وغايتها الله، وكلها لله.

فتّش في سير القديسين الشرقيين فوجد السنكسار حافلاً باخبارهم من صدر النصرانية الى القرن العاشر، حيث طوي السفر ولم يعد يذكر للشرق قديس، كأن السماء أغلقت في وجوههم، مع انه رأى ان حياة الموارنة في شقوق الارض وفي المغاور في هذا الجبل ملتحفين بالفقر والبؤس والسذاجة لاجل تمسكهم بعقيدة الايمان بالمسيح وبرومية هي عين القداسة. ورأى ان الوادي الذي قطنه سلفاؤه البطاركة والنسّاك والحبساء في قنوبين، عند سفح الارز، قد دُعي وادي قاديشا اي وادي القديسين. فاراد ان يستعيد مجد الكنيسة الشرقية الاول، ويملأ صفحات السنكسار الروماني بسير ابناء طائفته ليفتح لهم الطريق مجدداً الى الارتقاء فوق المذابح، بحياة مقدسة متنزّهة عن كل عيب ولوم، غنية بالفضائل السامية وببطولة رجال الله فابتدأ بمعاونة ابنه الروحي، بل اعز ابنائه، الاباتي اغناطيوس التنوري، عهد كان رئيساً عاماً على الرهبانية اللبنانية، بحدث جديد في تاريخ الطائفة والشرق الا وهو حدث تثبيت القديسين من الموارنة تثبيتاً قانونياً.

وبأمر منه تألفت لجنة خصيصة لهذا الغرض كان لي الحظ ان اكون من اعضائها، فباشرت اعمالها رسمياً في المقر البطريركي في بكركي يوم ٤ آذار سنة ١٩٢٦، اذ حلفت اليمين بين يديه بحضرة اساقفته وسائر حاشيته الكريمة، وحلف هو ايضاً يمين الامانة المفروضة في مثل هذه الحال من الكرسي الرسولي ويوشر الفحص الاخباري عن شهرة قداسة ثلاثة من عبيد الله الموارنة وعن فضائلهم وعجائبهم وهم الاب نعمة الله كسّاب الحرديني، والاب شربل مخلوف بقاعكفره، والراهبة رفقا الريس من حملايا (بكفيا). وكلهم من ابناء

الرهبانية اللبنانية المارونية[1]. وكان يراقب بذاته اعمال هذه اللجنة، ويسهّل لها الطارق ولا يعلم الا الله كم بلغ اغتباطه يوم ختمت اللجنة اعمالها بحفلة حافلة في دير سيدة المعونات، مركز الرئاسة العامة للرهبانية اللبنانية في جبيل، بحضور نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني السامي الاحترام، وستة من اساقفة الطائفة المارونية، ومتروبوليت بيروت وجبيل على الروم الكاثوليك، ورؤساء عام الرهبانيات المارونية الثلاث، ورهط عظيم من الرهبان والوجهاء في البلاد[2] وذلك في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٨.

ولمّا رُفعت الاوراق بعد الجلسة الى قداسة الحبر الاعظم اشفعها بتوصية منه ما كتب اجمل منها ولا الحّ في حياته بطلب كما الحّ على قداسته في تلك التوصية ملتمساً الانعطاف والاسراع في هذه الدعوى لتتعزّى الطائفة وترى على المذابح القداسة مكرَّمة باشخاص ابنائها اولئك الثلاثة.

فكان عمله صفحة مجيدة خالدة جديدة في تاريخ الشرق يبقى تاجاً لجبينه وهالة سماوية لا تفارق ذكره، وستوضع على مفرقه يوم يُرفع هو بدوره، ان شاء الله، الاكرام على المذابح لاجل قداسة سيرته وسمو فضائله.

في اثناء السير في تلك الدعوى الجديدة، اي سنة ١٩٢٦، حدث حادث خطير في الشرق المسيحي وهو ان الرهبانية الفرنسيسكانية كانت تسعى، منذ حوادث سنة ١٨٦٠ المشؤومة في دمشق، لتطويب ابنائها الثمانية الذين سقطوا شهداء ايمانهم في عاصمة الامويين وكان قد تقرر ان قداسة البابا عزم على اعلان هؤلاء الثمانية طوباويين.

وكان البطريرك الحويك ملتمساً مع اساقفته في الرياضة الروحية السنوية

---

١) ان هذه اللجنة كانت مؤلفة من المرحوم الخوري اسقف يوحنا كيراس، بصفة رئيس، ومن الخوري اسقف يوسف داغر، والخوري نعمة الله القدوم، بصفة قاضيين معاونين؛ والخوري منصور عواد بصفة محامي الايمان، والخوري الياس ضو بصفة مسجّل، والاب اغناطيوس الحدثوني بصفة مباشر، ثم تعين المرحوم المأسوف عليه الخوري بطرس غالب العلامة العامل المتفرّد بين الكهنة علماً وفضيلة وحصافة ترجماناً، والاب يوسف عارج ناسخاً.

٢) راجع «صفحة مجيدة في تاريخ الدين في الشرق» المطبوعة في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين سنة ١٩٢٨.

في بكركي بعد عيد الفصح . فارتأى ان يلتمس من قداسة البابا بيوس الحادي عشر ان يتنازل ويعلن الموارنة الثلاثة رفقاء الآباء الفرنسيسكانيين في دمشق في الاستشهاد طوباويين ايضاً ، ووضع استغاثة بهذا المعنى وشاركه فيها اساقفته وارفقها بممثل البابا المحبوب في بلادنا برجاء منه . فما بلغت الاستغاثة الى مسامع خليفة القديس بطرس ونائب السيد المسيح على الارض ، قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، حتى تنازل واستجاب الرجاء . واوفد السيد كارلو سالوتي الى دمشق خصيصاً للفحص ، واسعدني الحظ فكنت ترجمانه في كل ذلك . وفي ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٦ اعلن قداسة البابا فرنسيس مسابكي وشقيقيه عبد المعطي ورافائيل من ابناء الطائفة المارونية الطاهرين ، شهداء الايمان ، طوباويين . وتقدم قداسته في بدء الجميع وقدَّم لهم في كنيسة القديس بطرس الملوكية في رومية الاكرام . وعلى مثله سار العالم الكاثوليكي وراءه في تكريمهم . فاصدر البطريرك الحويك في ٢١ كانون الاول من تلك السنة ذاتها ١٩٢٦ منشوره الشائق في شهداء دمشق الموارنة . فافاض فيه قلبه الابوي وقُرئت في كل سطر من سطوره عواطف التعزية والبهجة كأن غبطته كان يشارك ابناءه اولئك الثلاثة ، مع سائر القديسين الذين تقدموا الى السماء من هذه البقعة المباركة والطائفة العزيزة ، في مجدهم ولا غرو فايمانه بالله وبسمائه كان متيناً فكان ينظر الى الامور المرجوَّة كأنها حاضرة امام عينيه . وقد دعى ذلك الحدث الخطير تعزية روحية للطائفة وللشرق أجمع ، وتوقع من ورائه للاثنين مستقبلاً سعيداً ونادى على رؤوس الملأ بان حصون الطائفة المارونية هم شهداؤها وقديسوها . وقد تنامى عندما صرَّح بذلك انه يوجد دول ذات حول وطول في البر والبحر ، وحقه ان يتنامى لانه كان شاهداً بطول حياته لاعظم الانقلابات البشرية واضمحلال سلطنات وامبراطوريات وممالك ذات قوى هائلة ما كان يحلم الناس بسرعة زوالها واضمحلالها كما شاهد هو ذلك بنفسه .

اجل ان الدول العظيمة تلاشت سريعاً والشهداء والقديسين برزوا بمجدهم الخالد على انقاضها وانتصروا عليها ، فحق له ان ينادي بان حصون الطائفة هم قديسوها وشهداؤها .

وفي الفقرة الآتية التي ننقلها من ذلك المنشور الدائم الـذكر صورة حية لنفس البطريرك ولعواطفه كلها ومختصراً لبرنامج حياته العملية ولغايته منهـا قال : [١]

« فحق لنا ولكم اذاً ان نفتخر بهذا اليوم العظيم ونخصه بسفر جليل في صفحات تاريخنا اذ نرى فيه باعين الايمان جوقة من قديسي طائفتنا وقديساتها وقد زاد عددهم الآن بشهدائنا الدمشقيين تحتمي بهم الطائفة كحصون منيعة فـلا يعتريها خوف ولا يتولاها قنوط ولا تعبأ بطوارئ الحدثان والاضطرابات لانها على يقين من ان دماء شهدائنا كما قال ترتليانوس هي « بذار لذرية مسيحيـة صالحة » ولانها على ثقة من وعود الفادي الصادقة القائل « لا تخف ايها القطيع الصغير لقد سُرَّ ابوكم ان يعطيكم الملكوت » [٢]

وقد اراد ان يقنع ابناء الطائفة والبلاد بمثـل فرنـيس مـابكي ، رب العائلة الوجيه الغني القديس ، بان الانسان ، مها كان مقامه ومهما كانت منزلته في الهيئة الاجتماعية ، يمكنه ان يوفّق بين الدين والدنيا ، وانه لا شيء في هذه الدنيا يغنينا عن القداسة او يحول بيننا وبينها !

وقد رأينا ذلك البطريرك العظيم في جميع حياته يحب من الاحياء من كانوا اقرب الناس الى القديسين ويقرّب الاتقياء. ولا يفرح الّا باخبار ذوي الفضيلة . فاليهم كان يرتاح في حياته ويستسلم في اعماله ولا ينفر الّا من الخطيئة . ولا غرو فقد كان كل قصده ان يصل الى الله وان يوصل معه الذين عهدت اليه العناية الالهية بتدبيرهم .

بطريرك العناية الالهية

نبخس البطريرك اللبناني حقه اذا لم نذكر شيئاً عن تمسكه بعنـاية الله ، ونبخسه حقه اذا شئنا وصف اتكاله على العناية الالهية لان ذلك فوق الوصف .

---

١) راجع في مناشير البطريرك الحويك «الذخائر السنية» المطبوعة في مطبعة الاباء المرسلين اللبنانيين في جونية ١٩٣١

٢) لوقا ١٢ : ٣٢

حسبنا ان نقول انه كان عائشاً في جميع احواله وايامـه كأنه يرى الله وجهاً لوجه . وكان يتغنى بعناية الله ، ويخبر الناس ولا سيما في اواخر ايامه ، وخاصةً عند نزول الملمّات واشتداد الازمات والاحوال عليه وعلى الفازعين اليه ، عما حدث له في تجديد مدرسة رومية ، وفي تأسيس رهبـانية راهبات العـائلة المقدسة المارونيات . وضُرب المثل بهاتين الروايتين فكان يقصهما على كل جليس مرات كلما جاء اليه جليسه يتشكى من امر او يتذمّر من حاكم ، او يئنّ من ملمة !

وكانت العناية ترافقه وتأخذ بيده وتبلغ به الى نجاح ما توقعه له احد من الناس ولا انتظره هو لنفسه لذلك فانه دائماً يردّد بصوت متهـدّج : « نشكر الله ! نشكر الله ! الله يدبّر ! »

ولم يغلط ابناء عصره اذا كانوا اسموه بطريرك العناية الالهية ورجل العناية الالهية . فقد كان كذلك وما فاز به في الدين والـدنيا لم يكن من تقدير رجل ولا بقوة انسان بل « من عند الرب كان ذلك وهو عجيب في اعيننا »[1] لان الله الذي يعنى بزهور الحقل ، وبطير السماء ، ويشرق شمسه على الاشرار كما يشرقها على الصالحين ويسكب غيثه على الفجار كما يسكبـه على الابرار أتراه يهمل من احبه بالقول والفكر والفعل منذ ابصر النور في حلتـا الى ان اغمض عينيه في بكركي ؟ ! كلا . بل قد ارسل ملاكه امام وجهه طول ايام حياته فما عثرت بحجر رجله ولا زلّ لسانه . جاء الى العالم طفلاً بحكمة الشيوخ ، وفارق العالم شيخاً بسذاجة الاطفال ! وهكذا يكون ابناء الملكوت الـذين يعيشون بعناية الله لله وحده عاملين كأن الله غير موجود ، وتاركين النتيجة كلهـا لله كأنهم غير موجودين . فتبارك موقف البطريرك اللبناني من ربّه كم كان شريفاً وتبارك الله في بطريركه القديس !

---

(١) متى ٢١ : ٤٢

التذكارات القرنية

في سنة ١٩٣٢ الحالية

بقلم الشيخ سليم الدحداح

ان سنتنا ١٩٣٢ الحالية يقع فيها كثير من التذكارات القرنية الشهيرة احببت ان احادث قراء «المشرق» الكرام عن بعضها، مبتدئاً باحدثها عهداً لانتهي باقدمها تاريخاً.

واكتفي الآن بذكر سبعة تذكارات شهيرة متبسطاً في تلك التي لها علاقة بلبنان وبلادنا الشرقية.

***

في سنة ١٨٣٢ كان الهواء الاصفر يفتك فتكاً ذريعاً في فرنسة وممالك اوربة الغربية. فكان من جملة ضحاياه، في ١٦ ايار من تلك السنة، وزير فرنسة الاكبر ورجلها السياسي المحنك كزيمير بريه الذي استحق ان يصبح اسمه بعدئذ لقب اسرة كريمة نظراً لشهرته ولاعماله المجيدة.

***

في ٢٧ ايار سنة ١٨٣٢ استسلمت مدينة عكا وحصونها الشهيرة للفاتح المصري ابرهيم باشا، جدّ جلالة الملك فؤاد الحالي، بعد حصار دام عدة اشهر. وهي التي كانت امتنعت على اعظم قوّاد الاجيال الاخيرة اعني به بونابرت. وقد احتفلت الحكومة المصرية منذ امدٍ قريب بمرور المائة سنة على تلك الحادثة الشهيرة. وكانت نتيجة انتصار ابراهيم باشا انطلاق ايدي جيشه المحاصر، فلحق بسائر الكتائب المصرية التي كانت توسعت في سورية ولبنان،

وتابع افتتاحاته فدخل الاناضول وسار من نصر الى نصر حتى استولى على قونية، بعد ان اسر الصدر الاعظم رشيد باشا، ولم يتوقف عن زحفه على القسطنطينية الّا لدى مداخلة الدول الاوربية.[1]

* * *

في ٢٢ تموز من هذه السنة مضى قرن كامل على وفاة من يعرفه التاريخ واصحاب المسارح باسم « النسر الصغير » او « فرخ النسر ». فانه في مثل ذلك اليوم، اي في ٢٢ تموز سنة ١٨٣٢، مات في ڤيانه مصدوراً في الحادية والعشرين من عمره ذلك الذي حيّاه والده حين ولادته بلقب « ملك رومية »، وهو لقب لم يحمله شخص على الارض منذ ٢٣ قرناً، مات ذلك الذي يعرفه الامبراطوريون في فرنسة باسم نابوليون الثاني، والذي عاش في النمسة باسم الدوق دي ريشتاد بعد ان قضى ١٧ عاماً بعيداً عن وطنه محروماً من الرجوع اليه.

هذا هو الامير الذي تغنى ڤيكتور هوغو وادمون روستان وغيرهما بامجاده وحوادث حياته البائسة واعمال والده البطولية، هذا الذي يدعوه التاريخ بكل حق استياناكس الاعصر المتأخرة. مع الفرق بان والدته لم تكن لتشبه اندروماك لا بوفائها لزوجها ولا بحبها لوحيدها.

***

في ٩ تموز من هذه السنة ايضاً مضى قرنان على وفاة الراهب الحلبي اللبناني الذي صار اسقفاً على حلب وترك اسماً شهيراً في عالم الدين والآداب العربية والطائفة المارونية، اعني به المطران جرمانوس فرحات الذي مات في ٩ تموز سنة ١٧٣٢. وقد تألفت في حلب لجنة للاحتفال بتذكار وفاته[2].

* * *

في سنة ١٦٣٢ كانت سهول امارة السكس في المانية مرسحاً لواقعة عظيمة قرب مدينة لوتزن بين الجيوش البروتستانية الزاحفة بقيادة ملك اسوج، غوستاف ادولف، وبين الجيوش الكاثوليكية السائرة بامرة ولدستين دفاعاً عن دينها

١) اطلب مشرق هذه السنة، ص ٢٥٨، ٤٥٠، ٤٩٣

٢) اطلب مشرق هذه السنة، ص ٤٦

وذمارها ، فاسفرت عن انتصار البروتستان الا ان رئيسهم الملك غوستاف ادولف لقي حتفه فسقط وهو يقول : « لمجري العالم ! »

***

وقد وصلنا الآن الى التذكارين الاخيرين ، وهما اكثر اهمية من التي ذكرناها ، احدهما جرى في سنة ٦٣٢ ، والثاني بعد مائة سنة منه اي في سنة ٧٣٢ .

عنيت باولهما ، وقد مضى عليه الآن ١٣ قرناً ، وفاة النبي الهاشمي العربي محمد صاحب الشريعة الاسلامية . فانه توفي في ٨ حزيران سنة ٦٣٢ وكان موافقاً لليوم الثاني عشر من ربيع الاول اي في مثل النهار الذي كان قد ولد فيه على الحساب القمري . توفي قبل ان تتم السنة العاشرة ، حساباً شمسياً ، لهجرته . واما بموجب الحساب القمري فان ذلك اليوم كان في الشهر الثالث من السنة الحادية عشرة للهجرة . ولا يستغرب القارئ الكريم اذا لم يجد اثراً لاي احتفال بمناسبة اكمال الـ ١٣٠٠ سنة على مرور هذه الوفاة ، مع كثرة الملايين من البشر المنتشرين في كافة انحاء المعمور والمعتقدين بصحة رسالة النبي الهاشمي العربي ؛ وذلك لان حسابهم يختلف عن التاريخ المسيحي ، ولما كانت السنة الهجرية اقصر مدة من السنة الشمسية فقد مضى بموجب حسابهم ١٣٤١ سنة على وفاة صاحب شريعتهم . ولهذا فاننا لا نرى في سنتنا الحاضرة اثراً لاي احتفال كان في هذا الموضوع . اما هذا الاختلاف لا يمنع ان نذكر التذكار القرني الثالث عشر في هذه السنة .

والحادث الآخر الذي عنيته سابقاً ، والذي جرى مائة سنة بعد الوفاة المذكورة ، هو المعركة التي حصلت في سنة ٧٣٢ في سهول نهر اللوار الواقعة بين مدينتي تور وبواتيه ، والمعروفة باسم معركة بواتيه .

ان الاقوام العربية التي لم تكن تعرف الترتيب من قبل والتي لم يكن لها رائد سوى الغزو والسلب ، رتبت صفوفها بعد انتصاراتها على عساكر الروم في وقائع الحدود ، وزحفت بانتظام على الممالك المجاورة . وبقليل من السنين استولت على العراق ، وسورية ، ولبنان ، والقطر المصري ، وعلى بلاد فارس . وبعد ان توقفت قليلاً عن الفتوحات بسبب ما حدث من الفتن بين علي ومعاوية ،

وبين هذا والحسن والحسين واتباعهما ، وبين خلفاء معاوية واهل المدينة ؛ عاد العرب الى التوغل غرباً وشرقاً في الفتوحات والحروب حتى انهم في بدء القرن الثامن (٧٠١) كانوا قد اكملوا فتح شمال افريقية تلك البلاد التي دعاها الرومان باسم نوميديا وموريتانيا ، ووصلوا الى شواطئ بحر الظلمات (الاتلانتيك) . وفي سنة ٧١١ اجتاز طارق المضيق الفاصل افريقية عن اوربة ودخل بلاد الاسبان ، فدُعي المضيق باسمه « جبل طارق » . وفي موقعة واحدة استولى على بلاد اسبانية وقضى على تلك المملكة التي كان لها ثلاثمائة سنة في المجد والاستقلال. ولم يكتفِ الفاتحون بذلك بل انهم ، بعد ان استولوا على كافة اسبانية (الّا الجبال الغربية الشمالية منها المعروفة باسم استورياز) اجتازوا جبال البرنس الشاهقة المنيعة ، وتبسطوا في سهول غالية الجنوبية المخصبة الغنية فلم تنتهِ سنة ٧٢١ حتى كان العرب قد استولوا على كل ما هو جنوبي نهر الغارون رغماً عن مقاومة اود دوق اكيتانية الباسل ، الذي اضطرّ الى طلب الصلح ورضي بان يدخل مع بلاده تحت سيادة الخليفة الاموي . وقد كان من شروط الصلح ان يُعطي احدى بناته لقائد الجيش العربي الذي اهداها سريّةً للخليفة في دمشق.

الا ان الغزاة العرب لم يكتفوا بذلك ايضاً،فاجتازوا نهر الغارون واجتاحوا البلاد الكائنة بينه وبين نهر اللوار . فخفّ حينئذٍ امير البلاط في مملكة نوستريا ، الدوق شارل ، الى مقاتلتهم . واتى بقيادته كافة رجال الفرنك من مشاة وفرسان في مملكتي نوستريا واوسترازيا . فعسكروا شمالي سهول بواتيه ازاء جيوش الغزاة العرب . وبعد ان لبثوا عدّة ايام مرابطين بعضهم امام البعض كأنهم يخشون نتيجة ذلك الاحتكاك حملوا حملة شديدة وتطاحن القومان ودارت سوق المنايا .

ولكن بقي كل من الجيشين مستولياً على مراكزه بدون ان يُعرف المنتصر من المغلوب . الّا انه في صباح اليوم الثاني ، عندما امر شارل جيشه بالهجوم على المعسكر العربي ، فما اشدّ ما كان استغرابه اذ وجد المعسكر فارغاً خالياً خاوياً ليس فيه احد من العرب . فان هولاء بعد ان فقدوا قائدهم الاكبر ، الامير عبد الرحمن الغافقي ، ووجدوا ذواتهم بعيدين عن قاعدة اعمالهم ، خافوا

الغائلة ، فصمّموا على التراجع للوراء . واتموا فعلاً ما نووه فانسحبوا جميعاً تحت جناح الظلام ولم يتركوا بين ايدي الفرنك اسيراً ولا جريحاً . ولم يشعر هولاء بانسحابهم . وقد بالغ مؤرخو الافرنج في خسائر اعدائهم . فرووا ان شارل احصى عدد القتلى العرب فبلغوا المائة الف . وقد لقب الفرنك قائدهم شارل بلقب « المطرقة » وعُرف في التاريخ باسم شارل مارتيل اي شارل المطرقة وهو والد پيين القصير ، الملك الاول من سلالة ملوك فرنسة الثانية ، وجد شارل الاكبر او شارلمان الذي جدّد الامبراطورية الرومانية .

اذا اعتبرنا فتوحات العرب السريعة وامتداد دولتهم في كافة اقطار المعمور بمدة قصيرة ، اذ انهم بظرف مائة سنة من بعد موت النبي العربي اخضعوا لدولة الخلافة العربية مملكة الفرس واراضي الدولة البيزنطية في آسية (ما عدا الاناضول الغربي) والقطر المصري وبلاد المغرب ومملكة الاسبان واكثر من نصف غالية فضلاً عن انهم وصلوا الى الصين والهند ، اذا اعتبرنا ذلك ذكرتنا هذه السرعة بالكلام الوارد في الكتاب المقدس في الفصل الاول من سفر المكابيين الاول عن الاسكندر المكدوني ، وهذا هو بالحرف الواحد :« ثم اثار حروباً كثيرة وفتح حصوناً متعدّدة وقتل ملوك الارض . واجتاز الى اقاصي الارض وسلب غنائم جمهور من الامم فسكتت الارض بين يديه . . . »

لكنّ الله قدّر وجود شارل وجيش الفرنك للوقوف امام هذا السيل الجارف .

وبالحقيقة ان انتصار شارل في پواتيه قد انقذ اوربة والتمدن المسيحي من تسلّط العرب . ولولا هذا الانتصار لكانت الآن كنيسة نوتردام في باريس ، والقديس بطرس في رومية ، والڤاتيكان ، واوكسفورد ، جوامع ومدارس اسلامية . وعليه فيجدر بفرنسة ، وان فاخرت الآن بانها اكبر دولة اسلامية ، ان تحتفل الاحتفال اللائق بذكرى انتصار اجدادها في پواتيه .

محاولات في درس جبران

الجوهر الفرد

في ادب جبران خليل جبران

بقلم امين خالد

٣

تعاليم آمنة العلوية

فما هي تلك الاسرار ؟ وما هي تعاليم آمنة العلويّة بهذا الصدد ؟ ؟

ان حكمة آمنة العلويّة ، او بالاحرى آمنة الجبرانيّة ، التي تخيّل المؤلف انها « تدخل وتقف امام الرجلين وهي بهيئتها وحركاتها وملابسها اقرب الى معبودات الشعوب الغابرة منها الى امرأة شرقيَّة في الزمن الحاضر . . . ومن الصعوبات تحديد عمرها بمجرد النظر الى ملامحها فكأنَّ الشباب في وجهها يستر الف سنة من المعرفة والاختبار . واما نجيب وزين العابدين فيظلّان جامدين خاشعين متهيبين كأنّهما بحضرة نبي من انبياء الله »[1] . ان تعليم آمنة الجبرانيّة الذي تمليه على الاديب العالمي نجيب رحمه والدرويش الصوفي زين العابدين يوازي« الف سنة من المعرفة والاختبار » لانه كامن في جسد له من نضارة الشباب وبالنتيجة من غضاضة اللحم ما يذهل « الرجلين الماثلين امام الشبح العشتروتي ويدعهما خاشعين متهيبين كأنهما في حضرة نبي من انبياء الله » .

ان فلسفة آمنة العلويّة تؤيد وتؤكد ما جاء في « الاجنحة المتكسرة » من التأثر بجسم حواء العارية واعتبار الجنة في حبها .

واليكم شرحَ العلويّة نفسها :

---

1) ارم ذات العماد – في مجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ – نيويورك – ص ٢٥٧

«ليس ما نراه على الارض وما لا نراه سوى حالات روحية . وانا قد دخلت المدينة المحجوبة بجسدي وهو روحي الظاهرة ، ودخلتها بروحي وهي جسدي الخفي . ومن يحاول التفريق بين ذرّات الجسد كان في ضلال مبين . انما الزهرة وعطرها شيء واحد.»

قد يتراءى لأوّل وهلة، عند تلاوة مثل هذه الجمل الطنّانة، ان جبران روحي؟ او ان آمنة العلويَّة من المؤمنات بدروس الغزالي في كتابه «احياء علوم الدين». ولكن: «أليس من الواضح ان آمنة تدغم الروح والجسد احدهما بالآخر؟ فهي تجعل كل شيء روحياً ، ولكن لنتأمل في قولها «ليس ما نراه على الارض وما لا نراه سوى حالات روحية . . . » يتبيّن لنا ان لا اثر في كلام آمنـة العلويَّة الّا للارض فقـد قالت « ليس ما نراه على الارض . . . » فلم تتطرّق الى ما وراء الطبيعة لتحكي عن السماء مثلاً كما يعتقـد الروحيون من المتدينين . ومن ثمّ فهي تتكلّم عمّا تعلمـه بنفسها اي بغير واسطة الوحي الـديني والكتب السماوية وهذا ضدّ تفسير الغزالي للآيـة " وآتيناه من لدنّا علماً» وللآية الاخرى « ربِّ زدني علماً » حيث يفهم ان المعرفة مصدرها العليم الخبير الذي يحيي العظام وهي رميم اذا امر الروح ان تدبّ بهذه العظام ليبعثها للحياة مرّة اخرى بارادته وتدبيره . امّا آمنة فتحدّث عن تجربة وتشرح ما شعرت به في تجربتها الذاتية فتقول : « انا قد دخلت المدينة المحجوبة بجسدي وهو روحي الظاهرة ، ودخلتها بروحي وهي جسدي الخفي . ومن يحاول التفريق بين ذرات الجسد كان في ضلال مبين .»

او ليس في هذا الجزم بادغام الجسد بالروح انكار لنظرية الموت والبعث حسب رأي الروحيين القدماء الذين يفهمون بالموت انه انفصال الروح عن الجسد وعرضها على الديّان لاداء الحساب على اعمالها . ولكن آمنة العلوية ــ بخلاف الروحيين الذين يرون ان الروح هي ضيف الجسد يجب ان تكون سيدة حاصلة على الاعزاز والاكرام لكي تخرج منه هانئة سعيدة بعد ان تستعبده بواجباتها من صيام وتقشف وما الى ذلك من وسائل العبادة الخ . . . ــ آمنة العلوية تريد ان تسدي الى الجسد كل الخدمات الواجبـة للروح لانها بنظرهـا جوهر واحـد . الروحيون يهيمون بحب الروح التي ينتسبون اليهـا وآمنة العلوية ، او

صورة عشتروت ، تؤله الجسد بوضعها اياه في منزلة الروح. وتزيد فكرتها وضوحاً بمثل الزهرة المنتخب اذ تقول : « انا الزهرة وعطرها شيء واحد. »

ولماذا اختارت الزهرة لتشبه الجسد بها والروح بعطرها ؟ ذلك ان الزهرة هي ابهى منظر رائع من مظاهر الطبيعة الخلّاب ، والجسد او الروح المحبوبة ، غاية كل اعزاز وخدمة وتقديس ، هو كالزهرة بجماله وسحره. واما عطر هذه الزهرة او رائحتها الزكيّة المنعشة فهي ميول الجسد نفسه للانبساط والانشراح التام ، وهي بالنهاية الرغبة والشهوة الطيبة.

اجل ! هذا الجسد المفدّى وشهواته اللذيذة هما الكيان الذي لا يجزّئ عناصره وذراته الّا من « كان في ضلال مبين » فهو بكامل خلاياه من طلعة الوجنتين حتى مشط القدمين شيء جميل كالزهرة ورائحته لذيذة كالعطر ولذلك هو مقدّس « بالمدينة المحجوبة » ، اي مدار الاحلام الفلسفية التي دعوها « ارم ذات العماد »

وهذا هو الجوهر الجبراني الفرد المتلألئ من خلال زفرة الشاعر ، الواضح في بحث الفيلسوف.

عهد النضج الجبراني

تعاليم « النبي » — جبران والصوفية

ولنحك الآن المدن الذي انجبته قريحة جبران في عهد النضج الاخير بفتحنا سفر البشارة الجبرانيّة وقراءة شيء مّما يتلوه المؤمنون بجبران في الغرب في كنائسهم وانديتهم.

ولاول وهلة نرى « المصطفى المختار الحبيب » نخبة معلمي الانسانيّة العظام ، يقف هنيهة رهيبة في لوعتها ، مقدّسة في هولها ، تستولي على عواطفه قبيل الوداع ، فيقول في نفسه :

« ايكون يوم الفراق يوم الاجتماع ؟
ام يجري على الافواه ان مسائي كان فجراً لي ؟

وماذا يجدر بي ان اقدّم للفلاح الذي تردّ سكّته في نصف ثامه ، وللكرّام الذي اوقف دولاب معصرته ؟ »

يتمنى المصطفى مبادلته القوم لقاء اريحيتهم بما يوازي اهتمامهم بشأنه فما هي العملة التي يعوّض عليهم بها ؟ ومن اي راسمالٍ ينفق ليقوم بواجب وفائهم ؟

انه يفكر فوراً بالجوهر الفرد عنده ويتمّ كلامه قائلاً :

« ايتحوّل قلبي الى شجرةٍ كثيرة الاثمار فاقطف منها واعطيهم ؟

« ام تفيض رغباتي كالينبوع فاملأ كؤوسهم ؟

« هل انا قيثارة فتلامسني يد القدير ، ام انا مزمار فتمرّ بي انفاسه ؟

« اجل ! انني هائم انشد السكينة ، ولكن ما هو الكنز الذي وجدته في السكينة لكي اوزعه بطمأنينة ؟ . . .

« قال هذا معبراً عنه بالالفاظ . ولكن كثيراً مثل هذا حفظه في قلبه من غير ان يعلنه لأنه هو نفسه لم يقدر ان يوضح سرّه العميق » (١

هوذا القلب الجبراني « المملوء بالاسرار والعجائب » بالرغبات الغزيرة والشهوات القوية . ولكن لصاحب هذا القلب « الذي لا يقدر ان يوضح سرّه العميق » وقار الانبياء ورصانة المبشرين .

ورغم هذه الطهارة النبويّة وشدة اندفاع المصطفى لاداء رسالته القلبية لم يقدر على الافصاح عن شيء من خفايا فؤاده قبل ان تتحرك بين احشائه العاطفة الجليلة .

ومن يا ترى ينبش تلك الخفايا ؟ وما هي تلك العاطفة الجليلة ؟ اقوّةٌ روحية تدبّ بعزيمته ليمزّق حجب العجز والعي ؟ ام وحي تأتيه به آلهة السماء من عالم الغيب ؟ ام عقلٌ يفكر بشريعة يسنّها للبشر ؟

كلّا ! لا شيء من هذا البتة ! فقد جاء اليه الكثيرون متوسلين متضرعين . فلم يردّ على احدٍ جواباً . ولكنه كان يحني رأسه ؛ وكان الواقفون حوله ينظرون عبراته تتساقط بغزارة على وجنتيه وصدره .

وظلّ يمشي مع الشعب حتى وصلوا الى الساحة الكبرى امام الهيكل .

وفي تلك الساحة وجد مفتاح الخزينة التي ادّخر بها اسراره وخفاياه ؛ في

---

١) النبي ، ص ١٥–١٧ .

تلك الساحة لاقى مصدر القوة ، وامّ الوحي ، وسرّ الفهم ؛ وفي تلك الساحة تجلّت له المرأة العرّافة أَلمطرة « فنظر اليها نظرةً ملؤها الحب والحنان ...»[1]

وباشارتها بدأ النبي المختار يُملي تعاليمه على الملأ المزدحم حول « الرسول الحبيب » . وقد كانت أَلمطرة اول من آمن ببشارته القلبية وآخر من بقي « على شاطئ البحر تردَّد في قلبها كلمات المصطفى الاخيرة :

« قليلًا ولا تروني وقليلًا وترونني »

«لان امرأة اخرى ستلدني »[2]

اتشاركه في الشعور بما في هذه الآية من الخفقان والامل واليقين الثابت بسرّ المرأة الذي يولد الانبياء كما يملم الفلاسفة ويطرب الشعراء . وهكذا فالالف والياء في كتاب « النبي » هي المرأة . لان جبران لا يزال يبشّر بذات الدين القلبي النسوي الذي شرحت مبدأه الفلسفي آمنة العلويّة ؛ وافهمت كنهه حوّاء جبران ، سلمى كرامة .

...

والآن ، في حضرة جبران النبي الجليل ، لنتبسّط قليلًا باحثين في تعاليمه الاساسية التي اعتنى بها رسول الغرب الى الشرق والعالم ، وليس كما قيل عنه « رسول الشرق الى الغرب »

ان فلسفة جبران تلخّص الروح العصرية والادب الغربي بلغة شرقية في شدة لهجتها ، دينيّة في تعابيرها ، بدنيّة في مراميها .

وبهذه المناسبة اذكر بشديد الاستهجان آراء بعض المفكرين الذين حشروا جبران في زمرة الصوفيين دون تدقيق بالجوهر الاصلي الصوفي او الجبراني .

نعم ، يلتقي الصوفي والجبراني على مسرح واحد ، هو مسرح القلب . ولكن على هذا المسرح نفسه يختلفان في الوجهة والميل . وكلّما بحثنا عند الواحد منها عن نقطة والتفتنا الى الآخر اتّسع مجال التباين والمغايرة . فقلبُ الصوفي الحقيقي

---

١) النبي ، ص ١٨-١٩

٢) النبي ، ص ١١٦

طافحٌ بالايمان بالله وكماله وملائكته ورسله وتفاسيرهم المفحمة ؛ وقلبُ جبران لا يعتقد الّا بالانسان وجمال جسده العاري ، وشهواته الحلوة الطيبة ، واسراره الغامضة .

قلبُ الصوفيّ تجمّدت في عروقه فكرة البعث والجحيم ؛ وقلب جبران ترقرقت في خلايا نظريّته الحرية المطلقة والاباحيّة الغير المحتاجة الى ثواب او عقاب .

قلب الصوفيّ جافٌ متقشّف ؛ وقلب جبران تتدفّق منه عصارة الشباب والتمتع بالملذّات العالمية والفرح والطرب والفن .

قلب الصوفي خزفٌ عتيق ؛ وقلب جبران بلّور عصري .

فيجب ان لا يُقال ، والحالة هذه ، انّ لجبران علاقة بجوهر الاديان السماوية القديمة من روحيّة وصوفيّة ؛ لانّ جبران لا يرضى لنفسه الّا دينه الجسديّ الذي بشّر به في العالم العصري فلاقاه ابناء هذا العالم الجديد ريحانةً فتّانةً وافقت ميولهم بروحها الدنيوية وانطبقت على اذواقهم بصيغتها الرمزيّة الموجزة ، ولهجتها التبشيريّة . ولنفتح سفر البشارة الجبرانيّة ، ولنقرأ مواعظ المصطفى المختار نجد حبه الجسد العاري في حديثه عن الثياب اذ يقول :

« انّ ثيابكم تحجب الكثير من جمالكم ، ولكنها لا تسترُ غير الجميل .

« ومع أنكم تنشدون بثيابكم حرّيّة التستر والانفراد ، فانها تقيدكم وتستعبدكم .

« ويا ليت في وسعكم ان تستقبلوا الشمس والريح بثياب بشرتكم عوضاً عن ثياب مصانعكم . » (١

وما من شيء في مواضيع النبي الّا وله صلةٌ بالقلب والجسد او ما يعود الى رياضتها ، كما سنرى .

---

١) النبي ، ص ٤٦ .

(لها بقية)

اسبانية في الزمن الحاضر

بقلم الاب فليكس تريبيرا الاسباني

توطئة

رغب الينا « المشرق » في ان نطلع قرّاءه الافاضل على حالة بلادنا اليوم، بعد الثورة الاخيرة. فلبينا الطلب بطيبة خاطر، اذ تحققنا في ارباب الثقافة العالية من الشرقيين ميلاً حقيقياً الى اسبانية واهتماماً بشؤونها. وسبب ذلك لا ينحصر فقط بما تمثله اسبانية من ادب وفنّ عربيين ازدهرا في العصور الغابرة، بل لانها لم تزل حتى اليوم بلداً كاثوليكياً قحاً قوي الايمان متين العقائد. ولقد سررنا كل السرور اذ رأينا فرصة مناسبة نظهر بها شيئاً من الشكر على ما صادفناه من اللطف وحسن الاستقبال مدة اقامتنا في هذا الشرق العزيز.

مفاجأة الثورة

منذ تلاشي سيطرة الجنرال بريمو دي ريفيرا، اخذت الحوادث الفجائية تتتابع في اسبانية بسرعة غريبة. وكانت أخراها ثورة ١٤ نيسان ١٩٣١ التي استغرب الجميع فجاءتها حتى القائمون بها انفسهم. وقد اقرّ بذلك رئيس اللجنة الثوروية، ورئيس الجمهورية الحالي، السيد نيسيتو ألكالا سامورا، يوم اعلان الجمهورية، فقال انه لم يكن لينتظر نجاحاً كهذا الا بعد عمل جادّ متواصل مدة ثلاثة اشهر على الاقل. وقبل الانتخابات البلدية بيوم واحد، تلك

الانتخابات التي جرت بعد رحيل الملك بيومين ، صرّح السيد كامبو ، وهو من اشهر سياسيي اسبانية وابعدهم نظرًا ، انه من المستحيل ومن غير المعقول ان يحقق الفوز للجمهوريين . وكذلك كانت حالة الكاثوليك ، وزيد بهم خصوصاً ارباب الفرق الكاثوليكية ورجال الدعايات والعمل ، فان الموجة الثورية فاجأتهم في زمن كانت فيه الروح الدينية خامدة وكان الرؤساء يبذلون الجهود في ايقاظها .

ولم يكن يبشر بهذا الانقلاب الغريب بتلك السرعة الفجائية الا المتطرفون في السياسة الاجتماعية كالاشتراكيين وخصوصاً ارباب حزب النقابات (السنديكاليين) ، والفوضويين ، ومن مبدأهم الالتجاء الى الطرق العنيفة وسيلة لعملهم الثوروي ، فكانوا يعدون الشعب بانقلاب عجيب على اثر الانتخابات .

اسباب الثورة السياسية

ولا يفهم من قولنا ان الثورة حدثت فجأة انه لم يكن لها اسباب هيأتها من مدة بعيدة : فان التغييرات البالغة التي احدثتها لا تنتج الا عن اسباب بالغة ايضاً . وهذه الاسباب عديدة متشعبة . على انه يمكننا ان نردّها الى نوعين مهمّين : الاسباب السياسية التي نلخصها في هذا القسم من المقال ، والاسباب الاجتماعية نذكرها في القسم التالي .

اما الاسباب السياسية فاهمها سلوك الملك ، وموقف الاحزاب السياسية ، ودور الجيش .

لا يخفى ان كل من به مسكة من ادراك لا يمكنه ان ينسب ابتعاد الملك وسقوط الملكية الى التهم الغامضة والحيثيات العاطفية التي بنى عليها البرلمان الجمهوري حكمه السريع . على انه من الصعب ان نفهم نيّة الملك وغايته الحقيقية في مجالي عمله السياسي . فان اخلاصه للبلاد ووطنيته تهاجمهما عدة تهم تنسب اليه الانانية والطموح الى السيطرة . ومهما يكن من امر فلا يمكن احدًا ان يُنكر ان سلوك الملك السياسي عمل على تخفيف محبة القوم للملكية وعلى تبريد حماستهم في الدفاع عنها حتى ان كثيرًا من السياسيين عدلوا عن نظرياتهم الملكية شيئاً فشيئاً ولاسيا على زمن سيطرة بريمو دي ريفيرا .

فاخذوا يترددون في متابعة مبادئهم ، وينفصل البعض منهم عن نواة حزبهم متجهين جهة الجمهوريين وكان من اجرأهم اقداماً واوفرهم اخلاصاً ، دون شك ، رئيس الجمهورية الحالي السيد نيسيتو ألكالا سامورا .

كان الرأي العام الاسباني في هذه الحالة المضطربة ، عندما اخذت تنتابه من كل جهة دعاية الجمهوريين الواسعة النطاق التي لم يكن الملكيون – ثقة منهم بأنفسهم او عجزاً عن مجاراة خصومهم؟ - يولونها ما تستحق من دعاية معاكسة. وعلى اثر ذلك حصلت الانتخابات البلدية ، فكانت اصح انتخابات عرفتها اسبانية واوفرها اخلاصاً . فلم يكن يرى فيها الناخبون ، فوق اسماء المرشحين واحزابهم المتعددة المتباينة ، الّا امراً واحداً يستحق الاهتمام والمناقشة وهو : وجود الملك ام عدم وجوده . وليس من الغرابة في شيء ، اذا فهمنا الظروف المذكورة اعلاه ، ان نرى الكثير من الملكيين المجاهدين يعطون اصواتهم لارباب الاحزاب الجمهورية لانهم كانوا لا يرغبون في بقاء الملك الحالي.

فنتج عن هذه الحالة اغلوطة فظيعة لا تصلح . كيف لا وقد حطت السياسة بأعلى سلطة في الدولة فجعلتها على مستوى الساسة العاديين يناقش الجمهور حقها بالبقاء ، كلما شاء ، حتى اذا عنّ على باله طالب منها ان تستعفي وتنسحب وهذا ما يشرح لنا قرار الملك بأن يعتزل ميدان العمل ، ذاك القرار الدالّ على الحكمة وبعد النظر دلالته على حراجة الموقف اذ ذاك .

ان تعدد الاحزاب السياسية وتجزؤها الدائم ، وعدم وجود نظام دقيق في داخليتها ، وكثرة المطامع الشخصية ، التي غشت على ابصار رؤساء الاحزاب فصرفتهم عن الاهتمام بالبرامج الوضعية ، وحالت بينهم وبين العمل باخلاص وامانة ، كل هذا ولّد ، على طول المدة ، حالة مزعجة من اليأس السياسي جرّت البلاد الى الخضوع للسيطرة العسكرية . على ان هذه السيطرة لم تمنع التذمر والاشمئزاز . وكان من الطبيعي ان تسقط . فسقطت وتبعتها الحركة الثورية . ولا يخفى ما كان للجيش من التأثير في الحوادث السابقة . فقد مثل دوراً مهماً ، حاسماً احياناً ، في حركات الاحزاب السياسية نفسها ، وفي ادارة الدولة ، وفي السياسة الاجمالية . حتى بلغ من اهمية الجيش ، قبل عهد السيطرة بعشر سنين ،

انه كان على ارادته كسلطة خفية فيدير الامور على طريقة سلبية هدّامة ، حتى اذا بدأت السيطرة عهدها ، ظهرت تلك السلطة بأجلى مظاهرها فاصبحت الآمر المطلق في الدولة . وهي ، وان سلّمنا بحسن نيّتها واخلاصها ، فلا يمكننا القول انها اهتدت الى السبيل الحقيقي لخلاص الوطن.

الاسباب الاجتماعية

يجب ان نضيف الى هذه الاسباب السياسية اسباباً اخرى كانت اعمق تأثيراً وابعد غوراً وهي الاسباب الاجتماعية . فاذا ذكرناها فاننا نلمس الصفة الحقيقية للثورة الاسبانية .

ظهرت هذه الثورة سياسية محضة . على ان المحرّك الاصلي الفعّال الذي دفع بالشعب الى القيام بتلك الحركة كان الوهم بأنها ستتحوّل الى انقلاب اجتماعي . وهناك براهين عديدة تؤيد هذا القول نكتفي منها بمثل واحد. وهو ان الجماهير اندفعت كل الاندفاع في ١٢ نيسان نحو صناديق الاقتراع . وهو حادث قلّما نرى نظيره حتى في البلاد التي تكون فيها المؤسسات الديمقراطية مقررة من مدة طويلة . وفي اسبانية نفسها ، في الانتخابات السابقة ، كان مرشحو اليمين في منطقة برشلونة ينالون الفوز باقلّ من ثلاثين الف صوت اما هذه المرة فوُجدوا امام معاكسة تبلغ ثمانين الف صوت . فلم يتمكنوا بعد الجهد الّا بالاحتفاظ بكرسي واحد لتمثيل الاقلية .

فما هو العامل الذي جذب هؤلاء الجماهير ودفع بهم الى التصويت ؟

هو اولاً تلك الدعاية الواسعة النطاق التي قام بها ممثلو الشعب من الاشتراكيين وجمهوريي الشمال الذين، لمّا لم يكونوا ليتصوروا سهولة انتصارهم، تجاوزوا الحدود في مواعيدهم الخلّابة وبرامجهم الاصلاحية التي كانت كلّها تدور حول الانقلاب الاجتماعي . ومما ساعدهم على تجييش هذه الكمية الوافرة من الناخبين بسرعة عجيبة كان النظام القوي المتصف به حزبا العمّال المهمان وهما حزب الاشتراكيين وحزب ارباب النقابات . وقد وافق رجالها على برامج الشمال الجمهوري ونسبوا الى المرشحين العمل في سبيل انهاض طبقات العمّال فدفعوا هكذا عمّال المدن

الكبيرة الى انتخابهم تحت تأثير النقابات القوية.

ولا يخفى ان المشكلة الاجتماعية هي المسألة العظيمة في الكون كله في زمننا الحاضر، تتضاءل تجاهها جميع المسائل القومية والسياسية حتى تظهر كأنها ثانوية. فاذا كان يصدق هذا على بلدان اوربة بأسرها، فانه اشدّ تأثيراً في اسبانية التي كان من نتائج حيادها مدة الحرب الكبرى انها لم تصب بتأثير الكبرياء القومية والوطنية التي وسّعت نطاقها الحروب الخارجية في شعوب اوربة، فانصرفت من جراء ذلك الى المشكلة الاجتماعية وحدها.

وهذا كان من الاسباب العديدة التي جعلت جميع العمّال الاسبانيين تقريباً ينضمون تحت لواء حزبين كبيرين يختلفان باختلاف مبادئ مديري كل منها. فهناك «الاتحاد الوطني للعمل» المعروف بهذه الحروف (C. N. T.) و«اتحاد العملة العام» المعبّر عنه بالحروف (U. G. T.). اما صفات هذين الحزبين فان الثاني منها ينتمي الى الاشتراكيين متبعاً الخطّة التي رسمها له بعد الجهد الدائب والعمل الصامت مؤسسه پابلو اگليزياس. ومن الغريب ان «السيطرة» عملت على تعزيز ما كان يقوم به مؤسس الحزب طيّ الخفاء. اما الحزب الاول فيجنح الى المبادئ الفوضوية والشيوعية. وقد توصّل الى زيادة رجاله وتنظيم صفوفهم واظهار قوّتهم بفضل ما لجأ اليه من طرق العنف كالاعتداءات والقاء الرعب. ورجال هذا الحزب كانوا هم ايضاً من المرضيّ عنهم في المدة التي سبقت السيطرة العسكرية في سنة ١٩٢٣.

ويبلغ عدد المنتمين الى كل من هذين الحزبين نحو نصف مليون. ولا يفتأ الحزبان يتنافسان ويتقاومان احياناً. وحزب الاتحاد الوطني للعمل يشمل غالباً كل العملة الصناعيين في برشلونة ومقاطعة كتالونية، وهو يبذل الجهد حالياً في بسط نفوذه على ما تبقى من انحاء اسبانية ولاسيا مقاطعة الاندلس. اما اتحاد العملة العام فمركزه الاصلي في مدريد وله مراكز مهمّة في بلاد الباسك والاندلس، وهو ايضاً يهتمّ بالنفوذ الى كتالونية.

وقد قام الكاثوليك بجهود عديدة في سبيل تأليف حزب ثالث للعمال ولكنهم لم ينجحوا حتى الآن. وليس هناك من حزب كاثوليكي قوي الّا

في محيط المزارعين في بلاد كستيليـة وهو « الاتحاد الزراعي الكاثوليكي » الذي لا يزال في عراك مستديم مع الحزبين السابقين اللذين يرميان الى ان يدخلا بين عملة الصناعة رجال الفلاحة والزراعة .

هؤلاء العمال هم ، في الحقيقة ، ارباب الثورة . وقد رموا فيها الى ابعد من الانقلاب السياسي اذ لم يجعلوا تغيير نظام الحكومة واعلان الجمهورية الا مقدمة او مدخلاً لتنفيذ برنامجهم الواسع الذي اشرنا اليه وقلنا ان غايته الانقلاب الاجتماعي . وهذه الغاية وحدهـا هي التي جيَّشت العـدد العظيم من الناخبين ودفعت بهم الى صناديق الاقتراع ، رجـاء ان يروا ثورة اجتماعية لم تبـدأ الا مؤخراً ومن الصعب ان نرى كيف تنتهي . ويجب ان نضيف هنا ، كي نتمكن من فهم ما تحمله الينا اخبار اسبانية ، ان ذينك الحزبين القويين كثيراً مـا تتعاكس نظرياتهما فيختلفان ويقاوم احدهما الآخر . وان الاشتراكيين المستقلّين بالسلطة اليوم يستندون الى اقلية مهمّة في البرلمان (وليس هناك من حزب يمكنه ان يستند الى الاكثرية البرلمانية) ويبذلون الجهد في تهدئـة الخواطر ، وتخفيف سير الثورة الاجتماعية ، وارضاء الشعب لا بالتحسين الاجتماعي بل بشرائع غايتها مقاومة الدين ورجاله . ويمكننا القول ان حزب الاتحـاد الوطني للعمل اصبح كله اليوم في جهة من المعارضة . فان روحه ثورية محضة ، وهو لا يهتمّ بالسياسة ولم يكن ليولي الجمهوريين اصواته الا على سبيل التجربة . حتى اذا تحقّق انه لم يصل الى مطاليبه الاجتماعية شهر الحرب على الجمهورية كما شهرها سابقاً على الملكية ، وهو في كل ذلك يستعمل الوسائل العنيفة من اضراب ثوروي وارهاب وما اليهما ؛ وكلّها ، لسوء الحظّ ، وسائل تتفق تماماً واخلاق الشعب الاسباني حتى ان عقلاء البلاد يخشون ان تجرّ الى عهـد سيطرة حمراء سوداء تؤدي بالوطن الى حالة فظيعة .

اما مسؤوليـة هذه الحالة الحرجة التي جرّتها تلك الاسباب الاجتماعيـة فانهـا تقع من جهة على اصحاب رؤوس الاموال والمنتجين لما اظهروه من الانانية وحب التسلط ، ومن جهة اخرى على العملة لما اتصفوا به من جهل واستسلام لبعض الزعماء . ولم ننسَ بعد مـا بُذل من الجهود ومـا حصل من

العراك الدموي احياناً في سبيل الحصول على شيء من التحسين في حالة العملة ، وذلك زمن الحرب الكبرى في عصر كانت فيه ثروات المنتجين تزداد يوماً عن يوم بفضل ما احتفظت به اسبانية من الحياد التام . فكان من الصعب ان يسمع الفريقان كلاماً لا يتضمن التهديد والوعيد. ولهذا بلغنا اليوم ، وليس في ما خص العملة وتأمين حقوقهم شبه نظام يمكن الاستناد اليه للخفض من ادعاءات الاشتراكيين والشيوعيين ومبالغاتهم الخطرة ، ولتأمين حالة العملة ، وهم يعدون بالالوف ، من الذين لا يزالون متمسكين بايمانهم الحي راضين باجرة عادلة كافية ، غير مغترين باحلام الشيوعيين الخلابة ، ولا بسراب الثورة الاجتماعية الوهاج .

يجب ان نطلع كل الاطلاع على هذه الحالة الاجتماعية كي نتمكن من فهم تسرع الحكومة الحاضرة في سن الشرائع اللادينية ، وموقف الكاثوليك موقف الرجل الاعزل تجاه هجمات الاعداء الالداء .

الحالة الحاضرة

تقف اسبانية في الزمن الحاضر على مفرق خطر في تاريخها العام. ولا يخفى انها ، بسبب كونها لم تشترك بالحرب الكبرى ، تختلف عن سائر بلدان اوربة في حالتها الاقتصادية ودرجة الاهتزاز في شعورها الوطني . وهما ، اي الاقتصاد والقومية الوطنية، القطبان اللذان تدور حولهما المدنية الاوربية منذ اربعة قرون.

اما في ما خص الاقتصاد فان الازمة العالمية يظهر تأثيرها في اسبانية ضئيلاً جداً بحيث يمكن تلافيها بكل سهولة . واما في ما خص القومية فاننا بينما نرى الشعور الوطني على اشده في دول اوربة ، سواء في ذلك الظافرون في الحرب المتفاخرون بطولهم والمغلوبون المتألمون بعارهم ، نرى اسبانية منفتحة الابواب لاستقبال عواطف الدعاة الى الوطنية العالمية اولئك الرامين الى رفع حواجز الحدود وفواصل القوميات في سبيل وحدة الشعوب جميعها.

وقد يكون من هذه الحالة الخطر العظيم على حياة اسبانية او الوسيلة الفعالة لخلاصها ، وذلك بحسب ما يكون موقفها تجاه مجاري الافكار العصرية . فمن

جهة نزي الاشتراكية وما تجرّه من مبادئ شيوعية وفوضوية ، ومن جهة اخرى نشاهد الكثلكة وما تحمله من احترام للحرية البشرية ومن دفاع عن حقوقها ومن عمل على تحسين الحالة الاجتماعية ضمن نطاق النظام والترتيب. فإمّا الاشتراكية وإما الكثلكة ؟ إمّا رومية وإمّا موسكو ! وهما القوتان اللتان تتصارعان اليوم حول اسبانية.

كانت اسبانية دولة كاثوليكية محضة ولمّا تزل على رغم بعض المظاهر اللادينية . ولا بدّ من التصريح انه لولا ما توهّمه كثير من كاثوليك اسبانية غير المجرّبين من انهم يعملون على انشاء جمهورية معتدلة في ما خصّ العواطف الدينية ، بل جمهورية كاثوليكية ، لما ساعدوا على قلب نظام الحكم ، ولما ظهرت الجمهورية الحالية بفضل معاونتهم . ولقد كان هذا الوهم سبب الارتياح الشامل الذي صادفه اعلان الجمهورية الجديدة دون ان تهرق نقطة دم مما حيّر الرأي العام العالمي بجمله.

على انه سرعان ما تبدّد هذا الوهم اذ اخذت الجمهورية تهتدي بهدي الماسونية على طريق العلمانية المحضة الظاهرة بظهر الاضطهاد الديني الذي كان اليسوعيون اولى ضحاياه ، مما احدث اسوأ تأثير في جميع الاوساط الوطنية . وقد عبّر عن هذه العاطفة احد رؤساء الاحزاب العلمانية الجمهورية السيد اورتيكا كاسيت بتلك المجلة الشهيرة : « ان الجمهورية بدأت تضجر ! »

وقد استفاد القانون بتلك الحركة من اضطراب النظام في احزاب اليمين ، ومن حماسة القوم الابتدائية وارتياحهم الاولي لشكل الحكومة الجديد ، فألفوا مجلساً لم يمثل قطعاً جمهور الشعب الاسباني ، ثم اسرعوا بنشر دستور استحق الرفض والاحتجاج من قبل جميع الاساقفة الاسبان لما تضمّنه من مبادئ ترمي الى وضع الكنيسة الكاثوليكية تحت سلطة الدولة . اما الآن فلا يزال ارباب الحكم يوالون سنّ القوانين التكميلية لاتمام ما شرعوا به من تطبيق المبادئ الوخيمة . وهم يستعملون في ذلك وسائل عنيفة تذكرنا بعهد السيطرة ، ويسرعون في اعمالهم خوفاً من انقلاب جديد على اثر استفتاء الشعب . وهناك اعداء النظام العمراني ينظرون بكل ارتياح الى هذا الاتجاه ، ويشجعون الاضطهاد الديني ،

مغتنمين الفرص المناسبة لمتابعة الانقلاب الاجتماعي بفضل ما يبذلونه من ذهب موسكو ، فيستفيدون من جميع المشاغبات الناتجة طبيعياً عن تلك الحالة ، لتعزيز بوادر الاضراب ومظاهر العصيان.

اما الكنيسة ، وهي الساهرة على ابنائها المراقبة بعين الحذر الحالة الحاضرة وتطوّراتها ، فانها سنّت لرجالها خطة يسيرون عليها اذا ما ارادوا خلاصهم وخلاص بلادهم . وهي تقوم اولاً بان لا يتحيّزوا ، بصفة كونهم كاثوليكيين ، الى نظام خاص من انظمة الحكومة . وثانياً بان يتحدوا جميعهم ، من ايّ حزب كانوا ، في سبيل الدفاع عن المبدأ الديني السامي . وان يهتموا خصوصاً بتجديد الحياة الدينية الفردية كي يتمكنوا من تجديد النظام الاجتماعي على اركان ثابتة . وقد بدأت جميع الاوساط الكاثوليكيّة بتنظيم صفوفها طبقاً لهذه الخطة وبالسير معاً في طرق العمل والجهاد.

فان شاء الله ان يخرج اسبانية من تحت نير البلشفية الشديد الخطر عليها في هذه الحالة الحرجة ، وان يخلصها من خطر اشدّ هو انقسام الكاثوليك الداخلي ومطاحناتهم الشديدة ، فاننا لا نلبث ان نرى الايام السعيدة رجعت الى تلك البلاد – تحت ظل النظام الجمهوري او الملكي فلا فرق ! – فاستعادت الديانة مقامها السامي في الدولة ، واسترجعت اسبانية تقاليدها الكاثوليكية الفخمة.

نهر الكلب

دليل جديد الى آثاره القديمة

بقلم فؤاد افرام البستاني

من ادق شواهد التاريخ في بلادنا ، ومن ادلّ المعالم فيها على سير جيوش الغزاة المتتابعين مدة القرون العديدة ، ذاك الممرّ الضيق القائم على اثني عشر كيلومترًا الى شمال بيروت والمعروف بممرّ نهر الكلب.

عرف الاقدمون هذا النهر باسم « الذئب » (ليكوس Lycus ,ὁ Λύκος) كما دعاه اليونان اولًا وتبعهم الرومان على ذلك . اما العرب فاستبدلوا الكلب بالذئب ونسبوا اليه النهر كما نسبوا اليه ايضاً الرأس الصخري الذي حفر فيه النهر مجراه ، فقالوا « رأس الكلب ».

وكان من علوّ الصخور المرتفعة على ضفتي النهر الى ما يبلغ الثمانين مترًا ، ومن تلك المياه المتدفقة الصاخبة حاجزان طبيعيّان يقطعان الطريق البحرية الواصلة بين آسية الغربية ومناطق افريقية ، فيصعّبان المواصلات ويقفان بوجه المسافرين سواء أكانوا من صيّادي العصور الظرّانية ، او من الفراعنة المتقدمين لقتال الحثّيين ، او من ملوك اشور الهابطين للسيطرة على صور وصيدا ، او من جيوش فسپاسيان المسرعين لقمع ثورة اورشليم ، او من عساكر الحلفاء المنتصرين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٠ ، او من غير من تقدم ذكرهم من الغزاة والفاتحين الذين توقفوا كلهم امام هذا الممرّ الصعب ، فعملوا على قطعه ، وقطعوه . ثم توقفوا كلهم ايضاً ليخلّدوا ، على صخوره الصمّاء ، ذكرى انتصارهم على العقبات الطبيعية وذكرى بلوغهم الى ما قصدوا من البلاد.

وقد تتابعت القرون الكثيرة ، ودالت الدول المتوالية ، وتلاشت الشعوب

العديدة، ولا تزال صخور نهر الكلب الصمّاء، بما عليها من الرسوم المتنوّعة الهيئات والرقم المتباينة اللغات، شاهداً حيّاً على ممرّ تلك الجيوش، ومشيراً دائماً الى النقطة التي كان يقف عندها مختلف الغزاة في طريقهم الى انحاء سورية، مفرق القارات الثلاث، وملتقى المدنيات القديمة. حتى ان من يجتاز ذاك الممرّ، على اثر الفاتحين المتتابعين من اول عهد الانسانية حتى اليوم، يشعر بعاطفة تأثّر شديد تمتلك عليه جوارحه وتنقله الى عصور بعيدة وتصوّرات غريبة فيودّ مخاطبة تلك الصخور والنفوذ الى اسرارها، والتأمل بتلك الرسوم ومعرفة اصحابها، وقراءة تلك الرقم وفكّ الغازها واحاجيها.

الى هذه الغاية رمى حضرة الاب رينه موترد اليسوعي في نشر دليله الجديد الانيق. فانه استعان بمعلوماته العديدة، وبما جمعه حضرة الاب سبستيان رونزڤال اليسوعي الاثري المعروف من وثائق متنوّعة، وبما كتب عن آثار النهر في مختلف اللغات، فألف كتيباً لطيفاً زينه بالرسوم الواضحة والصور الممتازة، وابرزه بمظهر طبعي فائق، فاتى تحفة فنية واثراً علمياً نفيساً[1].

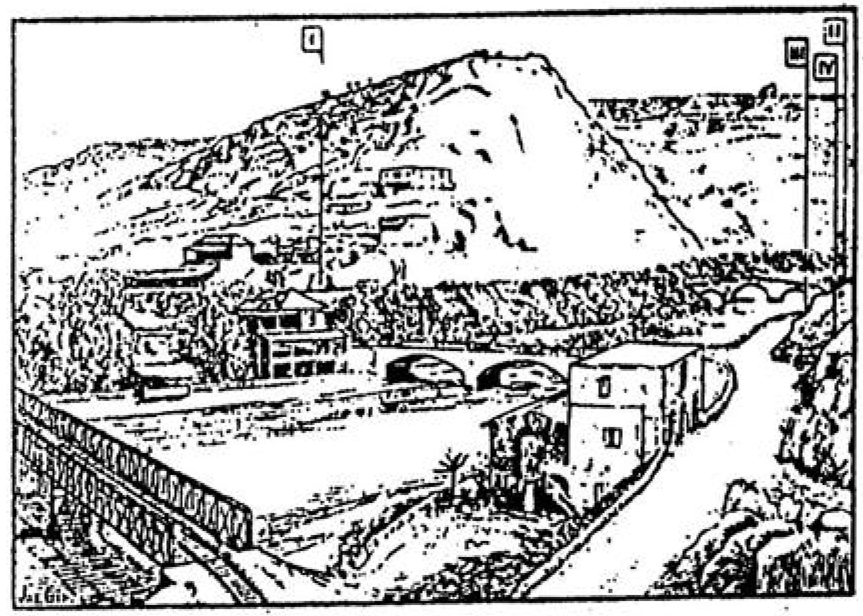
وطّأ حضرة الاب موترد لدليله برسم اجمالي لضفتي نهر الكلب وما عليها من الآثار البالغة سبع عشرة لوحة، وكلّها على الضفة اليسرى، ما عدا اثراً واحداً يرقى الى الملك بختنصر الثاني. وقد رُقمت جميع اللوحات، وأشير اليها في الرسم، ثم شرحت اصولها في اسفله. وهذا الرسم الاجمالي مع الشروح الموجزة هو ما يراه المطالع في الصفحة التالية.

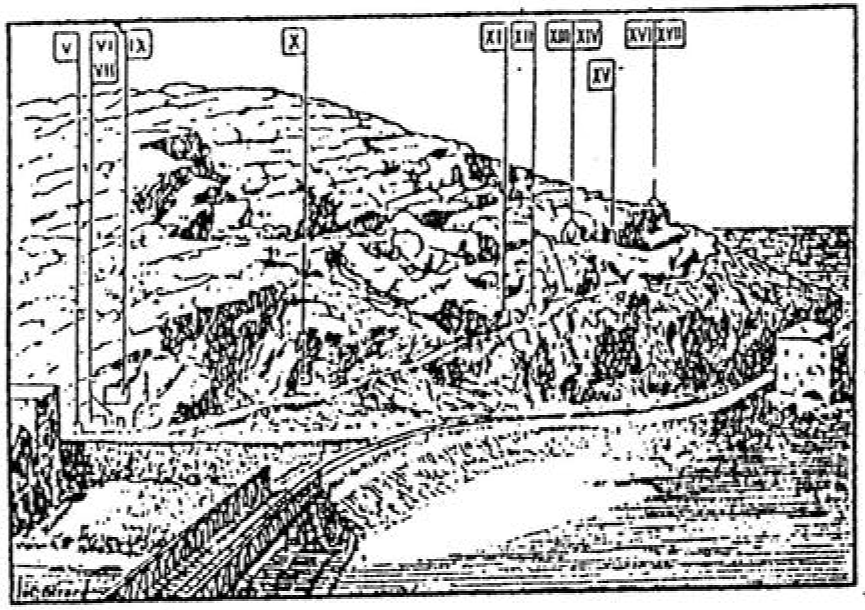
اما الدليل نفسه فيقسم الى ستة اقسام وثلاثة ملحقات

خُصّ القسم الاول بوصف مجمل لموقع مصبّ النهر ومركزه المهمّ وما عليه من الآثار المختلفة المعروفة كلّها باسم اللوحات او المسلّات (*Stèles*) وان كان بعضها يختلف عن البعض الآخر، اذ انها تحتوي احياناً على رسوم واحياناً على رُقم الجدية او مسمارية او هيروغليفية.

---

١) يحتوي الدليل على ٢٤ صفحة صغيرة مزيّنة برسم اجمالي و ٦ رسوم ضمن النصّ مع ٨ صور فتوغرافية خارج النصّ. وهذا عنوانه بالافرنسية:
René Mouterde s. j., Le Nahr el Kelb. *guide archéologique, orné de huit phototypies. Imprimerie Catholique, Beyrouth*, 1932





I بختنصّر الثاني
II السلطان برقوق
III كراكلاّ
IV غورو

V (رعمسيس الثاني) نابوليون الثالث
VII،VI ملكان اشوريان
VIII لوحة اشورية بائدة
IX احتلال دمشق

X الاحتلال الانكليزي الفرنسوي
XI بروكلوس (الرقيم اليوناني الاول)
XII الرقيم اليوناني الثاني
XIII ملك اشوري

XIV رعمسيس الثاني
XV ملك اشوري
XVI رعمسيس الثاني
XVII أسرحادّون

رسم اجمالي لضفتي نهر الكلب وما عليهما من اللوحات الاثرية

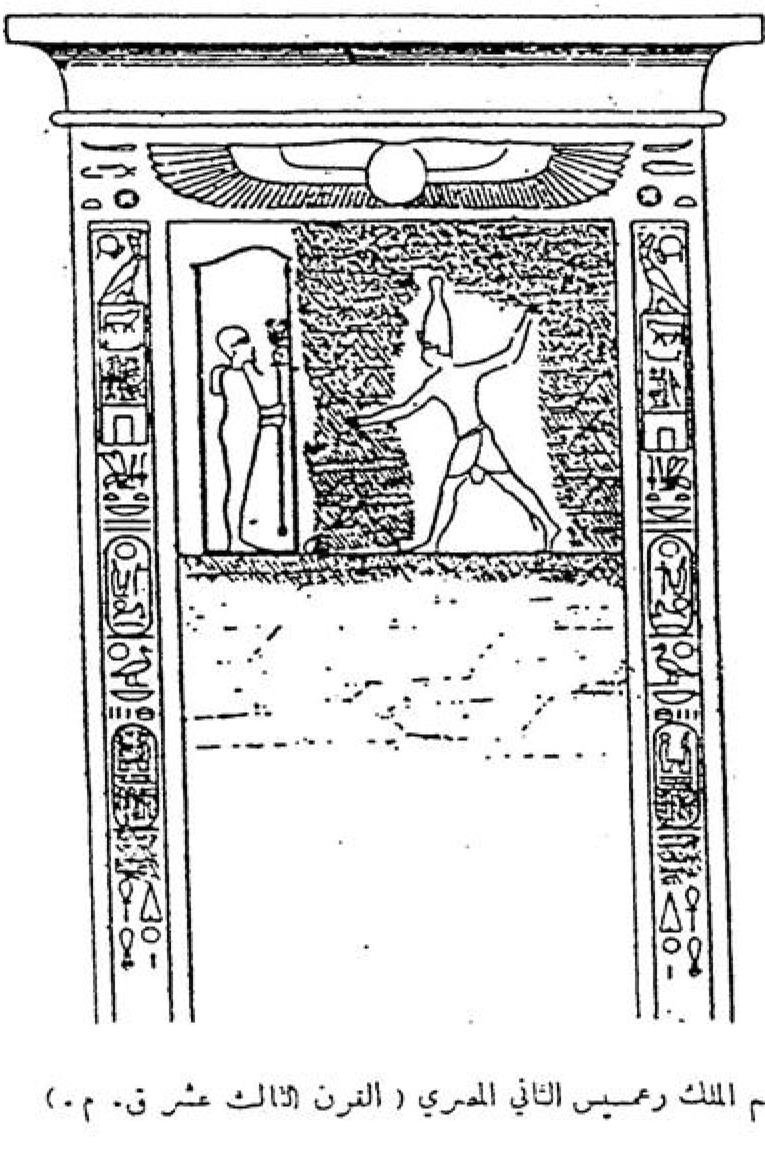
وفي القسم الثاني وصف المؤلف الطريق الجميلة من بيروت الى نهر الكلب، خاصاً بالذكر ضفة النهر اليمنى المؤلفة من جبل شاهق ينحدر انحداراً عمودياً. وليس على هذه الضفة الا اثر واحد هو رقيم مسماري يرتقي الى عهد بختنصر الثاني، ملك بابل من سنة ٦٠٦ الى سنة ٥٦٢ ق. م. وقد اكتُشف هذا الرقيم سنة ١٨٧٨. ثم فُكت رموزه فكان فحواه ان بختنصر المذكور، وهو الذي كان ارميا النبي قد تنبأ عن غزواته وانتصاره على اليهود، يشير الى اعماله وآثاره في بلاد كلدو والى زحفه على لبنان. ويرتقي الرقيم الى سنة ٥٨٧ او ٥٨٦ ق. م. هذا ما شرحه من قرأ الرقيم في القرن الماضي. اما اليوم فان الكتابة قد اضمحلت تقريباً ولم يبقَ بالامكان تمييز حروفها. على ان اللوحة لا تزال محفوظة بين الاشواك والاعشاب، تحت احدى قناطر القناة، على نحو مترين من المطحنة.

في القسم الثالث يبدأ ذكر الآثار الباقية، وكلها على الضفة اليسرى كما قدّمنا، واولها، اعتباراً من الجنوب الشرقي، رقيم لاتيني يرتقي الى عهد الامبراطور الروماني كراكلا (٢١١-٢١٧ ب. م.) يذكر فيه ما قامت به من الاعمال في صخور نهر الكلب الفرقة الثالثة الثالثة. ومما لا ريب فيه ان الطريق الرومانية كانت تمرّ امام هذا الاثر متجهة نحو الغرب موازية لمجرى النهر، حيث ترى جميع الرقم العصرية. اما اول هذه الرقم فاللوحة رقم IV التي تشير الى انتصار الجنرال غورو على عساكر الملك فيصل في خان ميسلون. ثم ترى لوحة نابوليون الثالث التي حُفرت سنة ١٨٦١ مكان اقدم رُقم رعمسيس الثاني، اشارة الى دخول العساكر الفرنسوية بلادنا سنة ١٨٦٠ بقيادة الجنرال دي بوفور دهوتپول، على اثر مذابح تلك السنة المشؤومة. وعلى عدة امتار نحو الجنوب رقيم آخر، باللغة الانكليزية، (على اللوحة رقم IX) كان يذكر احتلال العساكر الانكليزية مع رجال الملك حسين للمدن السورية سنة ١٩١٨. على ان تلك الكتابة كادت تمحى، فابدل بها سنة ١٩٣٠ كتابة اخرى اقرب الى الدقة التاريخية من الاولى. ثم على ٢٥ متراً في اعلى الصخور كتابة انكليزية اخرى حُفرت مدة الاحتلال الانكليزي سنة ١٩١٨-١٩١٩.

واذا تابع الزائر سيره ماراً امام اللوحتين الاشوريتين يصل الى ما بقي من

الطريق الرومانية التي عُبّدت نحو سنة ٣٨٢ م .، عهد كان پروكلوس حاكم فينيقية . نعرف ذلك من رقيم يوناني تكاد كتابته تضمحل . اما الرقيم اليوناني الثاني الكائن على نحو ٢٠ متراً من الاول (اللوحة XII) فلا يمكن ان يُستخرج منه شيء . وفي اعلى المرتفع ، فوق البحر ، صخر ابيض كان قاعدة لتمثال الذئب او الكلب على زعم اسطورة لخصها المؤلف في القسم الرابع من كتابه ، فلتراجع .

وقد خص القسم الخامس باللوحات المصرية والاشورية . عدد الاولى ثلاث ترقى كلها الى رعمسيس الثاني (القرن الثالث عشر ق . م .) وكلها تمثله امام احد الآلهة . الّا ان الاولى منها (اللوحة V) قد حفر مكانها رقيم نابوليون الثالث كما ذكرنا . فلا نعرفها اليوم الّا بالرسم الذي نقله عنها لپسيوس وهو المنشور ادناه .



رسم الملك رعمسيس الثاني المصري (القرن الثالث عشر ق . م .)

أما اللوحات الاشورية الباقية فخمس، تمثل كلها ملوكاً لم يعرف منهم بالتأكيد الا الملك اسرهادون (اللوحة XVII) لابساً التاج المنتهي اعلاه بمخروط صغير كان رمز الملكية الاشورية في ذاك العهد، ورافعاً يمينه علامة العبادة. وقد جعل امام وجهه عدد من الرموز الالهية تظهر في الرسم الآتي

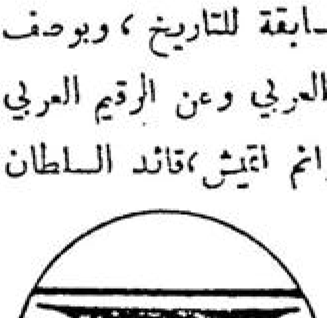


رسم الملك اسرهادون الاشوري (القرن ٧ ق.م.) وامام رأسه رموز الهية

وعلى جسم الملك وسائر اقسام الاثر كتابة مسمارية تشير الى انتصار اسرهادون في زحفه على مصر سنة ٦٧١ ق.م.، واخضاعه اثنين وعشرين ملكاً، مع مدينتي صور وعسقلان . ثم هناك آراء مختلفة في شخصية الملوك الممثلين على سائر اللوحات منها ما يذكر الملك أسورناسيربال الثاني وابنه سلماناصر الثالث من القرن التاسع.

بقي القسم السادس من الكتاب، وقد خصه المؤلف بذكر الآثار الظرانية في نهر الكلب الدالة على سكن الشعوب في العصور السابقة للتاريخ، وبوصف مغاور جعيتا منبع النهر المذكور . ثم بكلمة عن الجسر العربي وعن الرقيم العربي البارز بحروف كبيرة في اللوحة II وهو يشير الى ان ابا العزائم اتيش، قائد السلطان برقوق المصري (١٣٨٢-١٣٩٩)، بنى الجسر المذكور.

وفي اعلى الرقيم ثلاث دوائر تحتوي الوسطى منها على دعاء للملك الظاهر برقوق، والاثنتان على شعار الملك وهو مؤلف من كوبين كبير فصغير جعل الواحد منهما فوق الآخر، كما يظهر في الرسم



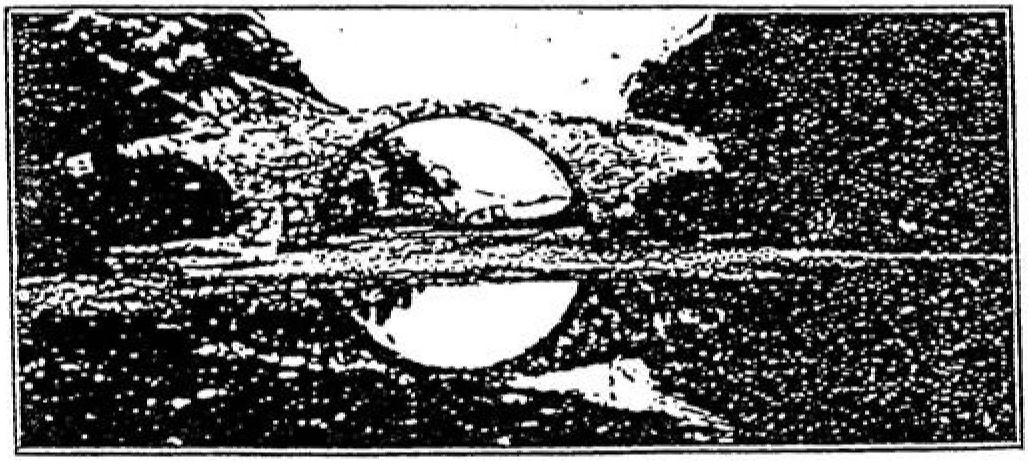
شعار الملك سيف الدين برقوق
(١٣٨٢ - ١٣٩٩)

يلي ذلك ملحقات ثلاثة نُقلت في الاول منها نصوص الرقم المصرية وهي اربعة: رقيم الجنرال غورو، ورقيم نابوليون الثالث، ورقيما الاحتلال الانكليزي. واحتوى الثاني على بحث في كيف حفظت اللوحات المصرية.

وشاء حضرة الاب موترد ان يزيد في فائدة محبي الآثار فخص الملحق الثالث بذكر ما يمكنهم زيارته في بيروت وضواحيها كالمتحف اللبناني، وخرائب دير القلعة قرب بيت مري، والقناطر الرومانية في نهر بيروت وفي نهر ابراهيم وتُعرف كلها باسم قناطر زبيدة.

***

هذا ما امكننا تلخيصه عن ذاك الدليل النفيس الذي جمع الى الايجاز البليغ دقة الوصف وضبط المعلومات. فأدّى لتاريخ البلاد وآثارها خدمة جزيلة نرجو ان يقدرها ابناء البلاد حقّ قدرها بان يطالعوا الكتاب ويستفيدوا منه فهم آثارهم والمحافظة عليها.



الجسر العربي على نهر الكلب

بيان

عن وقف كنيسة القديسة تقلا في حردين

نشره الاب انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس محاملة جبيل والبترون

توطئة

ذهبت سنة ١٩٢٥ الى قرية حردين في بلاد البترون ، مسقط رأس رجل الله الاب نعمة الله كسّاب الحرديني الشهير « بقديس كفيفان » للتفتيش عن آثاره هناك . وهو احد عبيد الله الثلاثة ، من ابناء رهبانيتنا اللبنانية المارونية ، المرفوعة دعوى بزارتهم الى المجمع المقدس في رومة لاجل تثبيت تطويبهم وتقديسهم ورفعهم على المذابح . وقد عرفتُ من بعض شيوخ القرية المذكورة ان جرجس كسّاب ، والد الاب نعمة الله الحرديني ، كان مقيماً اولًا في حردين ؛ ثمَّ انتقل وعيلته الى حارة بيت كسّاب ، وهي مزرعة صغيرة ملاصقة لحردين . وقد عزَّ على اهل القرية انفصال هذا الرجل وعيلته عنهم ؛ فاقاموا على فراقه مناحةً عظيمة يوم نقل الى الحارة ، لانه كان مسيحيًا صميماً سليم القلب ، لين العريكة ، دمث الاخلاق ، عفيف اللسان ، محبًا للسلام ، ماقتاً للخصام ، متفرغاً لتربية عيلته تربية مسيحية صادقة ، ومجدًا في القيام بمعاشها ، فتعلّق بحبه جميع اهل قريته . وقد طبع صورة اخلاقه وصفاته هذه الكريمة في قلب كل فرد من ابنائه ، فنشأوا على اصله اتقياء محبي البرّ والاحسان . في حارة بيت كسّاب أطلعني حضرة الخوري انطونيوس بن جرجس ابن الخوري انطونيوس كسّاب على نبذة موجزة في بيان وقف كنيسة القديسة تقلا في الحارة كتبها بالحرف العربي جدّه المرحوم الخوري انطونيوس كسّاب ، خادم هذه الكنيسة ، وشقيق الاب نعمة الله الحرديني ،

وذيّلها بامضائه وختمه . ومنها عرفنا اسماء اشقّاء الاب الحرديني المذكور ، ابناء جرجس كسّاب الذي نزح من كسروان الى حردين . واخبرني الخوري انطونيوس المشار اليه ان جرجس كسّاب ، والد جدّه الخوري انطونيوس كاتب هذه النبذة ووالد الاب نعمة الله ، رحل من القليعات في كسروان الى حردين هو واخواه صادق وبشير . فبشير تزوّج ابنةً من مشايخ بيت الجميّل في بكفيّا ومات في حردين بدون عقب كما سيأتي . واصاحب هذه النبذة خطٌ جميل بالحرف السرياني ، وقد وقفتُ على عدّة كتب نسخها بقلمه . ولمّا كانت هذه النبذة لا تخلو من بعض فوائد تاريخية مختبئة وراء خمس وسبعين سنة ونيّف ، رأيتُ ان انشرها على صفحات مجلّة « المشرق » التي تعنى ، على الخصوص ، بدرس شؤون الشرق وابنائه ، ذكرًا لبيت الاب نعمة الله الحرديني ، الذي بُني اساسه على صخرة الدين القويم والتقوى المسيحية الراهنة ، فكان منه ثلاثة كهنة اخوة افاضل انتشر عبير فضائلهم كالمسك وهم الاب نعمة الله المعروف « بقديس كفيفان » ، والاب اليشع الحبيس في محبسة دير مار مارون عنّايا ، والخوري انطونيوس صاحب هذه النبذة ، وتنويهاً بفضل والدهم الكريم الذي أشربهم من روحه الطيّب وغذّى نفوسهم منذ الصغر بمثله الصالح وتعليمه . ولا يزال هذا البيت يُتحفنا الى الآن بكهنةٍ افاضل من ذرّية جرجس كسّاب والد الاب الحرديني .

والى القارئ نصّ هذه النبذة بالحرف الواحد ، بعبارتها الاصليّة كما صدرت بقلم كاتبها الذي لم يدوّن تاريخ السنين التي وردت فيها بالتتابع بل قدّم وأخّر فيها . وقد مرّ على كتابتها خمس وسبعون سنة وهذه هي :

البيان

عام بيان وقف القديسة مرت تقلا . في ايام اولاد الامير يوسف نزحوا والدينا من كسروان وسكنوا في محلّهم بقرية حردين . كانت الكنيسة بالقرب اليهم مهمولة بنسبة كنائس المهمولة بحردين . كان المرحوم والدنا جرجس كسّاب واخوته صادق وبشير عملوا لها كاس قبّته فضّة وكمب نحاس وصينية وبدلة

خفيفة لاجل ربما يمرّ عليهم احد الكهنة يقدّس بها الى طبعة كتب القداس بدير قزحيا جابوا لها كتاب قداس وكان قضيهم جميع لوازمهم الروحية مع سمع القداس بالقرية . سنة ١٨٢٠ توفي عمنا بشير عن غير ولد وعن تركة وحرمة . اوقف بوصيته الى دير قزحيا التين غرشاً والى مدرسة ماري يوحنا مارون خمساية غرش والى ماري سركيس كنيسة القرية مقصل تتن (تبغ) وتابعه عريشة عنب . وصرت تقلا حيث هي مهولة ما اوصى لها بارة الفرد وبعدم جرت القسمة على التركة للحرمة الربع والثلاثة ارباع مناصفة بين والدنا وعمنا صادق وكلٌ منهم تصرَّف بما يخصُّهُ وقسم لنا الرزقة والدنا مرابعة بيننا وبين اخواننا عساف ويوسف ويعقوب من تركة بشير الذي كانت باقية بيده بعد قسمة ارزاقه سابقاً وكلٌ تصرَّف بما يخصُّهُ وكان ذلك سنة ١٨٢٥ . بعده بسنتين توجَّه اخونا يوسف[1] للدير حين ابتدا قام الدعوى عساف على والدنا (قائلًا) اقسم لنا حصَّة يوسف حيث مرتبين لك معاش علينا فما قبل والدنا كان جوابه متى لبس[2] وثبت في الرهبنة اقسم تركته عليكم فما كان يرضى عسّاف بل رجَّع ما خصه من قسمة تركة بشير مع حصتنا لوالدنا ورفعنا ترتيب المعاش عنا لوالدينا وخيَّاتنا وبقيت التركة بيد والدنا مع حصَّة يوسف . سنة ١٨٣٠ ابتدا ايلول طلب والدنا من المرحوم المطران جرمانوس[3] اشرَّفنا بدرجة الكهنوت طلب منه انتخاب الرعيَّة . جاوب والدنا ما اريد رعيَّة بل عندنا كنيسة مرادي اوقف لها نصف حارة ومحلات دُوَر تتن (تبغ) من تركة اخي تخصني وارسم

---

١) هو الاب نعمة الله الحرديني المعروف « بقديس كفيفان » . ابصر النور في قرية حردين سنة ١٨٠٨ ، ونذر النذور الرهبانية في دير قزحيا سنة ١٨٣٠ . سيم كاهناً سنة ١٨٣٣ ، وتوفي بدير كفيفان سنة ١٨٥٨ . وهو احد عبيد الله الثلاثة المرفوعة دعوى برارتهم الى رومة كما يعلم الجميع (طالع ترجمته في المشرق • [١٩٠٢] : ٦٠٥-٦١٥)

٢) اي متى نذر النذور الرهبانية ولبس الاسكيم الرهباني .

٣) هو المطران جرمانوس ثابت ، رئيس اساقفة جبيل والبترون ، واخ البطريرك يوسف التيان من امه . ولد في مدينة بيروت سنة ١٧٧٥ ، سيم كاهناً سنة ١٧٩٨ ، واسقفاً سنة ١٨٠٠ على جبيل والبترون بوضع يد اخيه البطريرك يوسف المذكور وتوفي سنة ١٨٣٣ (راجع برنامج اخوية القديس مارون ، صفحة ٣١٥)

ابني عليها بحيث تحرّر صك بيده ما احد له التقدّم عليه بالكنيسة فقبل المطران وحرّر والدنا حجة للوقف وبقيت بيد المطران . سنة ١٨٣١ تشرّفنا بدرجة الكهنوت وسلّمنا المطران الكنيسة والوقفية فما كان موجود بها شي‌ء لا بدلة ولا صور سوى الكاس وكتاب القداس وبدلة مرتّة (رثّة) حتى بلا باب . اخونا الاب نعمة الله حين لبس (الاسكيم الرهباني) اوقف لها نصف دارة تتن (تبغ) والنصف الثاني كان يخصنا اوقفناه . في ١٦ نيسان سنة ١٨٣٣ م طلبنا الحجة من المطران وسلّمنا الحجة والصك . بعده عملنا واسطة مع ارملة عمّنا بشير حيث ما اوقف بارة الفرد للكنيسة حيث كانت مهمولة — اعملي تذكار عن نفسك ونفسه . حررت لها حجة بقطعة حرش في بشاصه وهي الربع الذي خصها من المحلّ وحيث تسلّمنا الكنيسة عملنا لها بدلات وصور لوازمها . سنة ١٨٣٢ كنا عند جناب الامير خليل الشهاب في طرابلس عن امر سيادته برجوعنا وجدنا الكاس والصينية مسروقين من الكنيسة لزم جدّدنا غيرهم وكُتب ريشقريان (ܪܝܫ ܩܪܝܢ) ورسايل وكتاب حسّاسي ومنجور وقرّاية وكرسي . وبعده حضر طنُّوس الشدياق من بكفيا لعند خالته ارملة عمنا (بشير) كتبت له جميع تركتها بحجة وتسلّمها مدّة . بعده حضر ابن اخوها حبيب الجميّل وادعى بان التركة تخصّهُ واخذها من ابن عمّه (طنوس) حضر لعندنا طنوس واحكى معنا نعمل واسطة مع ارملة عمنا نقسمها (التركة) مناصفة بينهما (بينه وبين حبيب) وان الحصة التي يأخذها يعطيها للوقف ان كان بيع متهاود ام وقف مجّاني بعهد ثابت . عملنا واسطة وفقيّة بينهما وقسموا الرزقة مناصفة وكلّ تسلّم ما يخصّهُ . الحصّة التي اخذها حبيب باعها حالًا حبيب الى مخلوف بالف واربعماية غرش قبل القسمة . بقي كل شي‌ء شراكة بين مخلوف وطنُوس المذكور . سنة ١٨٣٧ م في ١٠ ايار حضر لنا تحرير من المرحوم الخوري دانيال الجميّل وكيل طنوس بان طنوس توفي واوقف الرزقة التي تخصّهُ لمرت تقلا انما تدفعوا الف غرشًا لتتوزّع عن ذمّته كما محرَّر بوصيته . اعرضنا الى سعيد الذكر البطرك يوسف حبيش وان الكنيسة فقيرة وصدر امره نبيع من وقفيّة والدنا وندفع المبلغ . سنة ١٨٣٨ بعنا الى مخلوف نصف الحارة ودفعنا الالف غرش عن

الوقف وتسلّمنا الرزقة . كذلك حين تسلّمنا الكنيسة موجود حولها حرش داير مدار معروف حدودهم بوقته وضعنا يدنا عليهم للوقف ومنعنا الجميع عنهم وحررنا كتاب سنكبار وقف خطنا[١] . بعده رجل يسمّى جرجس غوش من تنّورين كان ساكن بالحارة (اي حارة بيت كسّاب) وله رزقة عملنا واسطة معه اوقف قطعة متعطلة في كفرحلده سمح من ثمنها بماية غرش ودفعنا له ماية وحرّر بها حجة وقفية . سنة ١٨٤٧ نذروا بيت مخلوف الحارة النصف الذي اشتروه من الوقف وهو باقي بتسليهم فقط سواد الماعز الذي به ينقام لرزق الوقف . سنة ١٨٤٠ نذرت والدة مخلوف دارة تن (تبغ) لحد الآن بيدهم ما شفنا منها شي . مخلوف جاب شحيم قوله انه وقف وغلّة الدارة بيده . كذلك نذرت والدته عرّوص فضّة بقي عندنا ثلاث سنوات بعده طلبه مخلوف بان يعمله مبخرة عمله مبخرة ولحد الآن واضعها في بيته . ضاهر البدوي واخيه حنا نادرين (ناذرين) بوره متعطلة . عبد النور ندر (نذر) ثمان جفن كرم عريش .

هذا اصل وقف الكنيسة واي من قال خلاف ذلك ام واقف شي قبل تاريخه لا يعمل . وجميع ما هو مجدد في الكنيسة من كتب وصور ومنجور وبلاط وبياض وعمار من كيس الوقف ما احد مقدّم بارة الفرد . وحررنا ذلك ليبقى كلّ شي معلناً للجميع ومن يتخلف بعدنا صح حرر سنة ١٨٥٧ م .

كاتبه
الخوري انطونيوس كسّاب   الختم
وكيل مرت تقلا

---

١) قد وقفتُ بذاتي على هذا الكتاب

بشري مدينة المقدمين

معلومات ومستندات

للخوري اغناطيوس جعجع

٣

اساقفة بشري

اشتهرت بشري باساقفتها ومقدميها وها اني اذكر بعض من ساعدني الحظ بالوقوف على اسمائهم في التواريخ بادئاً بذكر الاساقفة.

كان دير مار اليشع في وادي قاديشا كرسياً لرئيس اساقفة بشري المطران بطرس (سنة ١٣١٥) . ثم المطران يعقوب المتوفى سنة ١٤٦٣ ، ثم المطران حزقيال (١٤٧٤) ثم المطران يعقوب (١٤٨٩)... ثم المطران جرجس (١٧٩٥) . وبعد ذلك كان وكلاء البطريرك على الاكليروس في الجبة كلها من بشري الى ايام السعيد الذكر البطريرك يوحنا الحاج فتوزعت السلطة، وكل ناحية اقيم لها وكيل خاص .

مقدمو بشري

لفظة مقدم تدل على الحاكم الوارث السلطة من اهله ، والمقدمون خلفاء امراء المردة بالحكم على الموارنة.

وقد ذكرت التواريخ الشيء الكثير عن مقدّمي بشري. واقدم مصادرها ما كتبه ابو خطار العنطوريني والعلامة الدويهي . وها انا نورد اولاً ما ذكره العنطوريني ، ثم ما نقله الدبس عن الدويهي وغيره ، وان يكن بين الاقوال بعض الاختلاف . قال العنطوريني :

« سنة ١٢٣٧ قام حاكم على جبة بشري الرقيب وكان شدياقاً من بشري

وسنة ١٢٥٠ قام عوض ابنه سالم ولكنه لم يشبه اباه بل كان غاشماً ظالماً .
وبعده اعطوا الجبة الى المقدم نقولا ...

« وسنة ١٤٤٤ كانت وفاة يعقوب مقدم بشري وخلفه اولاده سيفا وزين وقمر وبدر ومزهر . وكانت ولاية المقدم يعقوب واولاده نحو ٦٢ سنة . وفي سنة ١٤٦٦ كانت وفاة المقدم رزق الله ابن جمال الدين ابن سيفا . وتولى بعده الحكم ابن اخيه المقدم عبد المنعم بن عساف بن جمال الدين بن سيفا . وفي سنة ١٤٦٩ توفي عبد المنعم ابن جمال الدين وتولى بعده ابن اخيه رزق الله . وفي سنة ١٤٩٥ توفي المقدم عبد المنعم بن سيفا البشراوي وتولى بعده المقدم جمال الدين . وفي سنة ١٥٢٧ كان مقتل يوحنا مقدم بشري . وسنة ١٥٣٠ نقلت المقدمية الى العناحلة . وفي سنة ١٥٧٠ كان مقتل المقدم رزق الله في طرابلس . وفي سنة ١٥٧٣ خلف المقدم رزق الله اخوه المقدم داغر عساف بن موسى . وسنة ١٧٦١ نهبت المتاولة بشري وقتلوا ابا ضاهر الفرز القباشي وجبور اصيله وابا انطونيوس سكر وابا رزق جعجع وجبور رحمه .

« وفي الموقعة الثانية استدام القتال من شروق الشمس الى الغروب قدر ثمانية ساعات ، ودخان البارود غطى بشري فقتل من بشري فارس درغام وبطرس الفخري . وسنة ١٧٦٣ لحقوا المتاولة الى بعلبك فقتل من بشري في الشعري آدم رحمه (انتهى ما نقلناه عن تاريخ ابي خطار حرفياً) ...

وقد ذكر الدبس في تاريخه انه في سنة ١٣٨٨ اقام الملك الظاهر الشدياق يعقوب ابن ايوب مقدماً على بشري ، وكتب له ذلك بصفحة من نحاس . وذكر صاحب الغرر ان هذا المقدم بقي حاكماً الى ان توفي سنة ١٤٤٤ ، وكانت مدة ولايته اثنين وثلاثين سنة ، وخلفه في المقدمية اولاده سيفا وقمر ومزهر وزين وبدر ، واجروا العدالة في حكومتهم فاستراح اهل البلاد في ايامهم كما كانوا في ايام والدهم . وخلف المقدم سيفا ابنه عبد المنعم ، ثم توفي سنة ١٤٦٩ ، فخلفه رزق الله ابن اخيه جمال الدين بن سيفا بن يعقوب . ثم توفي رزق الله في سنة ١٤٧١ . وخلفه عبد المنعم الثاني ايوب بن عساف بن جمال الدين . قال الدويهي ان في ايام هؤلاء المقدمين استتبت الراحة في لبنان وكثر العمران وانتشت

الكنائس والمدارس . وكان في حدشيت عشرون كاهناً ، وفي بشري نحو ثلاثة مذبح . وكان في قرية الحدث ستمائة جوز بقر ، وفي الحارة العليا في اهدن سبعون بغلاً . وقد احصيت اسماء النساخ . في ذلك العصر عماً وقفنا من كتبهم فاذا هم ينيفون على مئة وعشرة نساخ ولما اشتهرت اخبار ما ساد من الامن والراحة قصد كثيرون من البلاد البعيدة للسكن في بشري مثل اولاد جمعة الذين تركوا عين حليا وتوطنوا في بشري وخلافهم . وفي سنة ١٤٩٠ توفي المقدم عبد المنعم ايوب ، وتولى المقدمية على بشري بعده ولده جمال الدين يوسف . وكان راسخاً في الايمان القويم ، وامرأته عمرت كنيسة مار حوشب في بقاع كفرا . وبعد جمال الدين يوسف خلفه ابنه المقدم الياس بن يوسف المذكور . والى هذا المقدم ارسل البابا لاون العاشر رسالته ليكون غيوراً على قومه اهل جبل لبنان وان تكون له عناية في امر الدين الكاثوليكي ، واليقظة لسياسة ملته وهذه الرسالة اتته سنة ١٥١٥ ثم توفي سنة ١٥١٩ ، ولم يكن له الا ولد قاصر اسمه يوحنا . فاغتنم الفرصة عبد الوهّاب المعروف بابن عجرمة وحكم الجهة الشمالية وذلك لانه تزوج بست الملوك ابنة الشيخ عاوان بن قمر من بشري ، وكانت ذات ثروة عظيمة . اما بشري والجهة الجنوبية فلبثت بعهده تحت سلطة المقدم يوحنا وسمي عبد المنعم .

وفي سنة ١٥٣٧ كان اجتماع في بلوزة ، ولما قدم مقدم بشري يوحنا المذكور لم يرد المقدم قيطو ابن عجرمة ان يلاقيه او يقف عند دخوله ، فطعنه المقدم يوحنا برمح فقتله . فرغبت امرأة ابن عجرمة في اخذ ثأر زوجها ، ثم استدعت اليها حمادة رئيس الحمادية ، واتفقت مع نصارى عين حليا ، فاكمنوا للمقدم يوحنا خارج دياره ولما خرج سحراً وثبوا عليه وقتلوه . ودخل الملكية الدار وقتلوا اولاده . فلما اشتهر الخبر اسرع اهل بشري في طلب القاتلين ، فقتلوا حمادة وبعض الملكيين . فانقرضت بقتل المقدم يوحنا هذا واولاده ذرية المقدم سيفا . فانتقلت المقدمية الى ذرية قمر العناحلة نسبة الى عين حليا ، لان رجلاً من عين حليا اسمه عز الدين تزوج ببنت حسام الدين بن يوسف بن قمر مقدم بشري سنة ١٤٣٠ فولد منها حسام الدين . وهذا رزق اربعة اولاد وهم موسى ورزق الله

وداغر وعشينة. فلما انقرضت سلالة سيفا اخذ هؤلاء الولاية على جبة بشري ، واخذ الولاية عنهم رزق الله . قال الدويهي ان المقدم رزق الله ، مقدم بشري ، حضر مع البطريرك وثمانين مطراناً ونحو اربع مئة كاهن في تقديس الميرون يوم خميس الاسرار من السنة ذاتها ... ان المقدم رزق الله اشتهر ببسالته وعدله وحسن معاملته لمن هو تحت امره وللغريب ومنع كل تعدٍّ وظلم ، وجعل المساواة في الحقوق . وكان يجلس تحت شجرة سنديان ليسهل لكل مظلوم ان يشكو له ظلمه. ومحبته للعدالة حملته على قتل اخيه عشينة لانه لم يكن حسن السيرة بل كان يسطو على الناس وينهب ويقتل ، فحنق عليه المقدم رزق الله ولما وجد ان اخاه عشينة لا يرتدع دعاه الى البرج الذي في اعلى القرية وقتله بواسطة رجال من الضنية . فسمع البطريرك واتى بشري وحرم المقدم رزق الله على مسمع الجمهور ... قال مؤلف بحيرة قدس ، العلامة الاب لامنس اليسوعي، ان المقدم رزق الله كان كريم الاخلاق مبغضاً للظلم . وبما انه قبل ان يتولى المقدمية شاهد افعالا كثيرة منكرة من اهل العتو والكبريا الذين يتعدّون على الضعفاء والفقراء ويهدمون حقوقهم استخدم سلطته في كف يد ذوي البغي ورفع ظلمهم وكان يحب خير شعبه ولا يطيق ان يظلم القوي الضعيف فاتهم تهمة زور وحكم عليه بالموت مربوطاً بذنب حصان وهو بريء من هذه التهمة.

وذكر التاريخ انه في شهر ايار سنة ١٢٨٣ للميلاد سارت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشري . فسلبوا ونهبوا واحرقوا بعض الضيع والقرى مبتدئين من اهدن وحصرون والحدث دون ان يذكر بين هذه النكبة بشري. وهذا دليل كافٍ على منعتها وكثرة رجالها اصحاب البطش والصولة وعظم مقدميها وبأسهم. فنكبوا عنها لاسيما لم يكن قصدهم الّا غزوة عابرة على عادة تلك الايام. ويدل على ذلك بان بعد مدة وجيزة كانت اهدن وما ذكر من الضيع مأهولة عامرة (تاريخ الموارنة ٢٠٩ صفحة) وسنة ١٧٧١ دهم المشايخ الحمادية الامير بشير حيدر وهو في العاقورة فحارب معه شيخ بشري وظفروا بالحمادية وتركوا جبة المنيطرة الى الكورة . فتبعهم رجال جبة بشري الى الكورة وظفروا بهم . فتركوا الجبة (تاريخ الدبس صفحة ٣٦٩)

بعض حوادث تاريخية

احب ان اذكر المطالع ، قبل ان اذكر ما يـأتي ، ان لكل عصر اخلاقاً وعوائد واعتقادات مخالفة لما قبله ولما بعده . فلذلك على من يطالع ان يحكم طبقاً لعوائد ذلك العصر فيعذر ما يجده مخالفاً لرأيه ويرفع الملامة .

اخراج المتاولة من بشري وتعيين حاكم ماروني عليها

حدث ان عينت السلطة الرئيسية رجلاً متوالياً ، حاكماً على بشري . وكان سكانها الموارنة قليلين جداً مسكنهم حارة التحتا ومعبدهم كنيسة مـار سابا المحاطة بالتوت وغيره من الاشجار . وقـد تم الاتفاق بينهم وبين الحـاكم ان عرضهم يكون مصوناً ودينهم ممارساً بالحرية ، وخلا ذلك فهم مستعدون لايفاء ما يطلبه ، خاضعون لاوامره . فطيب خاطرهم ووعدهم ان لا يدع احداً يتعدى على عرضهم ولا يتعرض لدينهم فلهم حرية تامة في ذلك .

ولم يمض القليل حتى نظر احد اقارب الحاكم ابنة مارونية متصفة بجمال باهر فاحبها واخذ يستعمل مختلف الوسائل للحصول عليها فخاب امله وضاعت اتعابه . فاخذ يترصد الفرص حتى عرف يوماً ان الرجال في الكنيسة جميعهم فذهب الى بيت الابنة واراد خطفها بالقوة . فاعترضته النساء ، ونبهت الرجال بصراخها . فتركوا الكنيسة طالبين محل الصرخة . فوجدوا بعض المتاولة يحاولون اخـذ الابنة عنوة وهي تقول : « اقتلوني ! الموت ولا العار » . ففار دمهم وهجموا على المعتـدين وبعد مناوشة طويلة ظفروا باعدائهم . فذبحوا طالب الابنـة على توتة قرب الكنيسة ، فدعيت من ثم « توتة الدم » وكانت لا تزال معروفـة الى مدة قريبة وقد نظرتها بعيني وسمعت قولهم « توتة الدم » . وبعـد قتلهم قريب الحاكم ، طردوا الحاكم من البلدة مع انسبائه .

ثم اخذوا بالتحفظ التام وهم عارفون ان المتاولة كثيرٌ عددهم ، وقد ذهبوا لطرح الصوت . فتحسبوا للامر واستعدوا للدفاع فردوا النهر على طرف الضيعة ، مدة عشرة ايام . وفي اليوم العاشر ظهرت خيالة المتاولة ورجالهم في عدد وافر

صارخين : « اليوم قتل الموارنة ونهب اموالهم وسلب حريمهم اليوم اخذ الثأر . »
وفي الحال ارسل موارنة بشري كميناً خبأوه قرب نهر قاديشا ليضعوا العدوّ بين نارين. ثم وصل المتاولة الى مرجة قرب بشري ورفعوا اصواتهم وتراويدهم الحربية قائلين : « اليوم شرب دم العدو ، اليوم اخـذ الثأر » وهجموا هجمة عنيفة. لكن خاب املهم اذ رأوا خيلهم تغرق والرجال تأخذهم الاوحال فلا يستطيعون ان يتقدموا خطوة الى الامام فهالهم الامر واحبوا الرجوع الى الوراء. عند ذلك خرج عليهم الكمين وحاربهم وكسرهم فولوا هاربين. وعند وصولهم الى المزرعة تبعتهم الرجال وقتلت عدداً منهم وامسكوا خيالاً . فرفع ضاهر الفرز الدبوس ليسحق رأسه فصرخ رفيق هذا الخيال : « هذا ابن الحاكم الكبير وهو وحيده فان عفوت عنه كافاك . » فاسرع ضاهر وقبل يدي ابن الحاكم واطعمه ثم قال : « قل لمولانا والدك اننا لسنا ضد المتاولة اصحاب الشرف ، ولا بغض لهم عندنا . غير انهم تعدوا على عرضنا فطردناهم . قل لمولانا والدك ان موارنة بشري خاضعون يحبون السلامة . فليرسل من اراد ليحكمنا مع شرط صيانة العرض والدين »

بلغ هذا الكلام الحاكم الكبير وذكر ولده ما رآه من معاملة موارنة بشري وطلب منه المكافأة لهم ولاسيما لمن عفا عنه واكرمه . فارسل الحاكم الكبير لضاهر الفرز خلعة وولاه حاكماً على بشري سنة ١٦٣٨ او ١٦٤٠ .

(له صلة)

من بين سجوف النافذة

مشاهدات وتأملات

بقلم القس اسطفان فرحات اللبناني

يا ما اقلقها حركة في شوارع هذه الحاضرة ! ويا ما آلمها ضجة ! يكاد يختلط فيها الحابل بالنابل لما يكاد يذهب برشد الانسان ويضعضع افكاره .

كنت آخذاً باتمام عمل فكري ، باشرته رغم كل ازعاج — لاني تعودت ان لا أرجئ عملاً ، لا بدّ منه مفعولاً ، الى ساعة متأخرة — ولكن ، لم يكن من تلك الحركة وهذه الضجة الا ان افسدتاه عليَّ ، فتأخرت عن انجازه لوقتٍ ، وقت الى نافذتي ، وكانت الساعة السادسة مساء ، فاخذ مني الانذهال لما رأيت الناس ، على اختلاف الاعمار والاطوار ، يتقلبون في عرض ذلك الشارع ، ويزدحمون عند مفترقاته ، تباغتهم السيارات بصفيرها المقلق ، والعجلات بقرقعة دواليبها المزعجة ، كأنما مشاهد روائية هائلة ، ممثلوها بين اقبال وادبار . . . كذلك كان المارّون في الظهور والاختفاء . فلا اكاد اتبيّن الواحد منهم ، حتى يأخذ في الوجهة التي يقصدها من شعاب ذلك الشارع الطويل ، فيختفي عن نظري بين منحنياته .

وفيما انا كذلك ، واذ استلفت نظري مشهد من بين تلك المشاهد الكثيرة ، وهو ان رجلاً وامرأةً ، واظنها زوجين ، كانا يمسكان ابنة صغيرة من يديها ، لم تشهد بعد الربيع العاشر من الحياة . فلم ارتب اذ ذاك ، انها ابنتهما . اما ملابسهم ، فكان جمالها يستوقف النظر ، الا لباس الام ، فكان ينبو عنه نفوراً ، ولا حاجة الى وصفه . . .

وكأني بالزوج لم يكن ليؤثر عليها بارتداء غيره مما يكمل هيئتها ويجعلها محترمة بعين ذوي الكمال ، بل تركها وشأنها والازياء العصرية . وكأنهما ارادا ان يخططا الطريقة التي هما ذاهبان في شأنها مع ذلك الملاك الصغير ، فوقفا يتحدثان تحت نافذتي ، بصوت كانت تصرف نبراته عن مسمعي كثرة الجلب المقلق . ثم سارا وهما يسحبان تلك الصغيرة سحباً ، وهي تعول وتضرب الارض برجليها ،

كأنما تحاول الفرار منهما ، فيحنوان عليها الفينة بعد الفينـة ، تارة الأب وطوراً الام ، كأنهما يريدان اغراءها ببعض الالعاب لتسير برضى . فجال بخاطري ، والحالة هذه ، شتى الخواطر ، وكان اعجلها اليه ان هذين الابوين ذاهبان الى احد المعابد لحضور حفلة الصلاة ، وقد حاولا اخذ الصغيرة معهما ليحملاها على ائتلاف هذه العادة المقدسة . اجل ان هذه اول خاطرة جالت بفكري لتبرئة الابوين من اللوم ، في مثل هذه الاحوال ، وان تلك الصغيرة ما كانت تحاول الافلات منهما الا لانها تركت العابها ودماها الجميلة ، ومما لا شبهـة فيه ان الصغير لا يعبـأ بالتعليلات مهما يكن من امرها ، بل قد يضحّي بها جميعها فداء العابه الصبيانية . ولولا ما استدللت عليه من عدم احتشام المرأة بملابسها ، مما ادخل عليَّ الريب في تحقيق هذه الخاطرة ، لكانت النفس اطمأنت اليها ، لاسيما وقد تأكد عنـدي انها من الزم واجبات الآباء نحو البنين . لذلك عولت عنها الى خـاطرة اخرى وهي : انهما خرجا لزيارة احد المرضى في ذلك الحيّ ، او على الاقل لزيارة احد ذويهما او اصحابهما حيث يستأنسان به بعض ساعات ، يتحدثون جميعاً بما يعود عليهم بالنجح والخير ، لاسيما وان دليلاً حضرني في تلك الساعة ازال بعض مـا بي من الريب وهو ان ذلك الزوج ربما كان مستغرقاً في عمله طيلة النهار ، وان امرأته لم ترد ان تغادر البيت الا وتستصحبه معها كأنهما قد تعاهدا على انجاز مقتضيات الحياة ، فلا ينغّص الواحد عيش الآخر ، ولا يكدر عليه صفو راحته ، لذلك قد انتظرته حتى هذه الساعة المتأخرة من النهار ، فوالحالة هذه ، كان لا بدّ لهما من ان يعلّما ابنتهما هذا العمل المبرور ويمرناها عليه منذ الصغر .

فالى هذه الخاطرة كادت تطمئن النفس . الا ان طمعهـا بحب التنقل بين الافكار دفعني الى ان اتعداها ايضاً الى غيرها ، فقلت : اذاً ، ربما كان خروجها في مثل هذه الساعة ترويحاً لافكارهما من مشاغل الحياة ، فهما يقصدان الخلاء في ضواحي هذه الحاضرة طمعاً بالاعتزال ، ولو بعض ساعات ، عن هذه الضوضاء المملة التي تكاد تفسد على الانسان جميع اعماله ، فتدفعه الى الانزواء بين الرياض والبساتين ، حيث تنعم الابصار بمرأى جمال الطبيعـة الفتّانة واذن فلذلك قد خرج هذان الابوان يستصحبان ابنتهما معهما ليحملاها على حب الاعتزال منذ

الصغر ، سيما وان في المخالطة خطرًا عظيماً على الاخلاق السليمة . الّا ان ريبي في هذه الخاطرة ايضاً لم يكن باقل من ارتيابي في الخاطرتين الاولين ، فتحيّرت ، والحالة هذه ، الى اي الافكار اطمئن رفقاً بالابوين المذكورين ، وكانا قد اختفيا عني مع ابنتهما في احد مفترقات ذلك الشارع . وكان وقوفي قد طال الى الساعة السادسة والنصف ، فانكفأت راجعاً الى عملي الاول الذي كنت ابتدأت فيه احاول انجازه ، فاكببت عليه بكل همة ونشاط . وما هي الّا ان دقت الساعة الثامنة حتى انتفضت كمن استفيق من غمي ، فاسرعت الى النافذة ، أسرّي عني بمرأى هاتيك المشاهد . وفي الحال عادني ذكر ذينك الابوين وصغيرتهما . وفيما انا كذلك واذ لاحوا لي على بعد بضعة امتار ، راجعين من حيث ذهبوا ، في ذلك الشارع ، وكان قد اضيء بالانوار الكهربائية ، كانما نهار جميل ، الا ان الابنة ، في هذه المرة ، كانت تتقدم ابويها بضع خطوات . وما هو الّا ان وصلوا تحت النافذة ، واضطرهم الازدحام الى الوقوف ، حتى سمعت الصغيرة تقول لامها ، وهي تجذبها من طرف ردائها لتنتبه اليها : ماما ، ماذا اقول الراهبة غدًا اذا سألتني ، اين قضيت السهرة ؟

— قولي لها انك كنت في البيت ، مع اخوتك .

— وكيف اكذب عليها ، وهي تعلمني الصدق ، وتعاقبني اذا كذبت ، هل دار السينما بيتنا ؟؟

— لا بأس في ان تكذبي هذه المرة ايضاً والّا فلا تتخلصين من القصاص .

— واذا قالت لها احدى رفيقاتي ، ممن كنّ حاضرات ؟

— لا يقلن ، لان امهاتهنّ يحذرنهن من ذلك ايضاً .

— وربما قال لها احد الصبيان الذين كانوا حاضرين ؟

وكأنها اضجرت الام بهذه المجادلة ، فرفعت هذه يدها وانتهرتها قائلة :

— كفى مماحكة ، سيري بنا ! !

وفيما هم يهمّون بالمسير اذ لحق بهم شاب لم يزل بعد في مقتبل العمر ، عليه من مسحة الجمال ما جعله يتباهى معجباً بنفسه ، فاستوقفهم ، وبعد المصافحة دار الحديث بينهم بشأن السينما ، بينما كان هذا حديث جميع الناس العائدين اذ

ذاك، في ذاك الشارع، الّا اني لم انتبه الّا الى حديث الشاب المذكور مع من نحن في صددهم. وقد ظهر لي في بدء حديثه معهم انه من ذوي قرباهم، او هو احد اصحابهم، لما كان فيه من «رفع الكلفة» ولكن ما عتم ان اتضح لي انه لا يمت اليهم ولا بأي نسب كان، بل ربما كانت المرة الاولى التي يجتمع بهم فيها. فقال:

— كيف وجدتم «فيلم» هذا المساء؟

المرأة: جميلًا جدًا، وهل كان على ذوقك؟

— كيف لا، والسينا هي حياة النفوس، وغذاء العقول، تسكب عليها من روح تعاليمها السحرية الملأى من الحرية والحب، وتمثل لها بادوارها الجميلة احسن الصور التي هي غاية شباب هذا العصر.

الزوج: ولكنها تسرف كثيرًا باطلاق الحرية الذاتية!!

المرأة: ليس فيها اسراف البتة، فيجب ان لا تؤسر عواطف المرء ما دام خُلق حرًّا.

وهكذا طال الحديث بينهم، والابنة صاغية الى ذلك تمام الاصغاء، كانها هي مدهوشة من هذه التقاريظ التي لم تكن لتوافق ما سمعته عن السينا في مدرستها. ثم توادعوا، وهمّ كل بالانصراف في الوجهة التي يقصدها، وما زالوا يتبادلون النظرات والاشارات، حتى تواروا عني في معارج الحي.

فرجعت الى نفسي عندئذٍ، متهكماً عليها لافتراضها ما لم يكن لينطبق على ذينك الابوين فقلت: اذن هي السينا «منى» الآباء الذين تبهجهم بشاهدها، فيضحّون بفلذ اكبادهم على مذابحها.

وهي «غاية» الشباب الذين اسكرتهم حميًا الملاذّ، فجعلوها مصيدة لاقتناص الاخلاق، وتأكدت عندئذٍ ان تلك الصغيرة كانت تحاول الفرار من ابويها، كما تقدم، لخوفها الاحترامي من معلمتها، تلك التي طالما اجهدت نفسها وما زالت تضحي بكل عزيز لديها في سبيل ترقية اخلاق تلك الصغيرة وامثالها شارحة لهنّ التعاليم المقدسة، والوصايا الالهية لتقصيهنّ عن ارتشاف تلك الكأس المملوءة سمًا زعافًا، اعني بها السينا.

شذرات

اكتشافات جديدة في جبيل — بيلوس

بينا كان المنقّبون يحفرون في معبد يرتقي عهده الى القرن الثامن عشر ق.م. عثروا تحت بلاطه على جرّتين من الفخار وعدة آثار مبعثرة. ففتحوا الجرّتين فاذا هما مملوءتان بالآثار ايضاً، الّا انها كانت ملتصقة بعضها ببعض لما كان قد تراكم عليها من الصدأ. فاستخرجوها كلها ونظّفوها ورتّبوها. وهي كما يلي نذكرها بالتفصيل، بادئين بمحتويات الجرّة الاولى:

١ً اربعة تماثيل من البرونز المموّه بالذهب يبلغ طول اكبرها ٣٤ سنتيمتراً. ومن المفيد ان نذكر ان الكبير منها اكبر تمثال فنيقي من البرونز معروف حتى اليوم. والاربعة تمثّل اشخاصاً وقوفاً، وقد لبسوا على رؤوسهم القبعة الفنيقية المخروطة الشبيهة باللبادة.

٢ً تمثال لابي الهول من البرونز المموّه بالذهب، دقيق الصنع، جميله.

٣ً اربع فؤوس واحدة منها من الفضة والثلاث الأُخر من الذهب الخالص، زنة اثقلها نحو ٤٨٠ غرام. وعلى احداها خطوط محبّبة من النوع المعروف عند الصاغة «بكسر جفت». وعلى واحدة اخرى رسم كبش ورسم كلب.

٤ً قبضة لاحدى هذه الفؤوس من الذهب المزدان بالخطوط المحببة المذكورة.

٥ً نصل خنجر من الذهب الخالص عليه حرف «سين» فنيقي، وهو اقدم حرف فنيقي معروف.

٦ً ثلاث قبضات للخناجر، وكلها من الذهب الخالص.

٧ً صفيحتان من الذهب قد تكونان لغمد خنجر، عليهما نقوش ناتئة تمثّل فنيقياً راكباً حماراً وبيده عصا. وامامه تيس متّجه نحوه. والى جانبه اسد يسوقه فنيقي؛ ثم قرد يتوده فنيقي آخر؛ ثم كلب؛ ثم سمكة.

٨ً صفيحة من ذهب عليها نقوش بارزة تمثّل كبشين واقفين ينظران الى جهتين متعاكستين، وفوقهما كبش يرعى. ثم صورة فنيقي واقف، وعلى رأسه

القبة المخروطة. وهذه الرسوم دقيقة جداً حتى انها تُعدّ من اجل آثار الفن الفنيقي.

٩ً ثمانية دواليب صغيرة من الفضة، قطر احدها نحو عشرة سنتيمترات.

ثم دولاب من ذهب مزدان وسطه بالخطوط المحبّبة.

ثم هناك بعض قطع ذات اهمية ثنوية بالنسبة الى ما تقدم.

امّا الجرّة الاخرى، وهي اصغر من الاولى، فقد كانت محتوية على نحو مائة تمثال صغير من البرونز تمثل كلها جنوداً او اشخاصاً فنيقيين.

وامّا الآثار التي اكتشفت مع الجرّتين فاهمّها نحو ستين تمثالاً صغيراً من القاشاني تمثل حيوانات متنوّعة كافراس ماء، وهررة، وكلاب، وقردة...

وستعرض جميع هذه الآثار في المتحف الوطني، في بيروت، في تشرين القادم.

اعتداء على الحجر الاسود

وافتنا اخبار الحجاز في الشهر الماضي وفيها تفصيل اعتداء الحاج عبد الستار بن سوفى عبد الغفار الافغاني على الحجر الاسود وكسره قطعة صغيرة منه، وسرقته قطعة من استار الكعبة، وقطعة من المدرج الفضي. وهو حادث اقلق ائمة المسلمين في الحجاز فألّفوا هيئة كبيرة من القضاة والعلماء برئاسة رئيس القضاة واصدروا بحقه حكم الاعدام مع التعزير. وانّا ننشر في ما يلي، للفائدة التاريخية، نصّ الحكم المذكور الصادر في ٢٦ حزيران ١٩٣٢، نأخذه عن جريدة «ام القرى» (٨ تموز ١٩٣٢).

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في امر الدنيا والدين

بناء على صدور الارادة السنية بعدد ١٣٥ وتاريخ ١٥ / ٢ / ٣٥١ بالنظر فيما فعله الحاج عبد الستار بن سوفى عبد الغفار الافغاني من سرقته لقطعة من الحجر الاسود وقطعة من فضة المدرج الكائن بالمسجد الحرام واجراء الايجاب الشرعي واصدار الحكم في القضية المذكورة صار احضار هيئة من العلماء والقضاة الموقعين ادناه للنظر في هذا الخطب العظيم وصار احضار عبد الستار المذكور بمجلس رئيس القضاة فبعد الاستفسار من عبد الستار المذكور بواسطة ترجمانين معدلين سرًّا وعلناً حسب الاصول وهما محمد بن سرولة الافغاني البواب بباب الزيادة وعبد الواحد بن نجم الدين الافغاني احد طلبة العلم بالمسجد الحرام المكي اقر طائعاً مختاراً مكلفاً قائلاً اني في وقت الظهر في يوم من الايام قلعت هذه القطعة واشار الى القطعة المخرجة من الحجر الاسود الشريف بحجر كان بيدي كما اني ايضاً قصيت واخذت هذه القطعة من استار الكعبة واشار الى القطعة المقصوصة من استار الكعبة بمقص من حديد وكان ذلك في صباح ذلك اليوم واني ايضاً اخذت هاتين القطعتين الفضة من المدرج الفضي الواقع عند بئر زمزم حالة كونهما متصلتين به واني اعلم ان ذلك غير جائز شرعاً واخذتها للتبرك

ثم كرر اقراره هذا ثانياً طائعاً مختاراً بواسطة الترجمانين المذكورين أعلاه على طريق الشهادة فتقرر عليه ما يأتي :

بناء على اعتراف عبد الستار المذكور تحقق عندنا ارتكابه لثلاث جرائم عظام اولها سرقته لقطعة من الحجر الاسود الذي هو يمين الله في ارضه . ثانيها قصه واخذه لقطعة من ستائر الكعبة المشرفة قبلة المسلمين . ثالثها اخذه لقطعتي الفضة من المدرج الفضي حالة كونه مكلفاً عالماً بتحريم ذلك . فعليه يستحق اشد التعزير وللامام قتله تعزيراً عقوبة له وردعاً لامثاله وحماية لجانب حرمة البيت المعظم وعلى ذلك نوقع بالاتفاق تحريراً في اليوم الواحد والعشرين من شهر صفر عام الواحد والخمسين بعد الثلاثمائة والالف (٢٦ حزيران ١٩٣٢) .

التواقيع

رئيس المحكمة الشرعية الكبرى	رئيس القضاة	عضو رئاسة القضاء
احمد بن اسعد كماخي	عبدالله بن حسن آل الشيخ	محمد نور بن ابراهيم كتبي
عضو رئاسة القضاء	رئيس المستعجلة الاولى سابقاً	عضو محكمة الكبرى
محمد بن عبد الرحمن ابو حسين	حسين عبد الغني	محمد عرابي سجيني

قاضي المستعجلة الثانية

عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر

العلماء والمدرسين بالمسجد الحرام المكي

عبد الظاهر محمد ابو السمح آل الفقيه	محمد بن عبد الرزاق آل حمزة
محمد علي بن حسين المالكي	محمد بن عثمان الشاوي »

وزادت ام القرى :

«وعلى ذلك فقد صدر امر جلالة الملك بانفاذ حكم قتل المذكور عقوبة له وردعاً لمن تحدثه نفسه بمد يده لهذا المكان المقدس عند سائر المسلمين.»

وبعد ذلك وافتنا جريدة « صوت الحجاز » المكية (١ آب ١٩٣٢) وفيها نبذة عن الاعتداءات التاريخية على الحجر المذكور رأينا من المفيد ذكرها ايضاً . قالت :

« قال في منائح الكرم للسنجاري :

ذكر العلامة ابن علان عن صاحب الزهر الباسم ، ان في سنة ٣٦٣ دخل الحرم الشريف وقت القيلولة رجل عليه طمران مشتمل على رأسه يسير رويداً ، وقد خف الطواف ولم يكن فيه الا رجل او رجلان ، فاذا معه معول من حديد فضرب الحجر الاسود ضربة شديدة ثم رفع يديه ثانياً يريد ضربه . فابتدره رجل من اهل اليمن فطعنه بخنجر معه حتى القاه واقبل الناس من نواحي

المسجد ، فاذا هو رجل رومي جاء من نواحي العروص ، وجعل له مال على ذهاب الركن ؛ فاخرج من المسجد واحرق بالنار.

وقال في موضع آخر : قال الشيخ محمد ابن علان المكي أخبرني شيخ الفراشين بمكة محمد ابو بكر ابن عبد الرحمن عن والده انه في عشر التسعين و٩٠٠ جاء رجل اعجمي بدبوس في يده فضرب الحجر الاسود ، وكان حاضر الامير ناصر جاوس فوجأ ذلك الاعجمي بالخنجر فقتله فاراد العجم المجاورون بمكة ان يقتادوا منه وزعموا ان ذلك العجمي شريف ، فحال بينه وبينهم القاضي حسين المالكي ومنعهم .انتهى.

وفي تحصيل المرام:وذكر الذهبي في العبر: ان في سنة ٤١٣ تقدم بعض الباطنيين من المصريين فضرب الحجر الاسود بدبوس فقتلوه في الحال.وذكر ابن الاثير ان هذه الواقعة كانت في ٤١٤

وذكر السيوطي في حسن المحاضرة : قال ابن كثير جرت كائنة غريبة ومصيبة عظيمة وهي ان رجلاً من المصريين من اصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على امر سوء ، فلما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الاول طاف هذا الرجل بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات . وقال: الى متى يعبد هذا الحجر الاسود ولا محمد ولا علي يمنعني عما افعله ؟ فاني اهدم اليوم هذا البيت.فاتقاه اكثر الحاضرين وتأخروا عنه ، وذلك انه كان رجلاً طويلاً جسيماً احمر اشقر ، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن اراده بسوء ، فتقدم اليه رجل من اهل اليمن ، معه خنجر وفاجأه به وتكاثر عليه الناس فقتلوه وقطعوه قطعاً وتتبعوا اصحابه وقتل منهم جماعة ونهب اهل مكة ركب المصريين وجرت فتنة عظيمة جداً وسكن الحال.واما الحجر الشريف فانه سقط منه ثلاثة فلق مثل الاظفار وبدا ما تحتها اسمر يضرب الى صفرة محبباً مثل الخشخاش فاخذ بنو شيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت ، وذلك ظاهر بها الى الآن.

ويتضح مما ذكر ان هذا الاعتداء على الحجر الاسود هو الخامس من نوعه ،

وقد جازى الله كل معتدٍ منهم بما يستحقه وحمى بيته من كل يد اثيمة تحاول هذا الفعل الذميم.»

النواقيس في لبنان

للدوق دي راغوس (de Raguse) في رحلته الى سورية:

تولّاني في سفري الى لبنان شعورٌ أثار فيَّ انفعالًا شديدًا ما كنتُ اتوقعه وما شعرت بقوته من قبل. وذلك على رنين نواقيس الاديار والكنائس وقد ابلغته تموّجات الهواء دفعةً واحدة الى مسامعي. وانّ لهذا الصوت نوعاً من اللذّة اللاوربي الذي يسمعه في تلك الجبال.

ارتفعت تلك الاصوات نحو السماء فذكّرتني بعبادتي ووطني، فقدرتها قدرها لانها دعوةٌ احتفالية الى الصلاة تؤثر بكل موجودٍ عاقل ذي شعور، وتذكّره بواجبه لخالقه وتُشعره بحاجته اليومية الى خيوره..

انما ذلك صوتٌ عام في كل المسيحية عبارته واحدة ومعناه كثير. يرتفع عالياً في بدء حياتنا وفي نهايتها، عند الولادة وساعة الموت. وقد أحكم علاقات الولاء في سكّان ايبريا (Ibérie) المحرقة ووثّق عراه على شواطئ نهر النيفا (Neva) المتجمّدة. صوتٌ يفهمه الجميع، يعبّر عن افكار واحدة وتمنّيات واحدة، واذا سمعه المسافر المسيحي بعيدًا عن اوزبة أحدث فيه هزّةً اضطرارية عذبة ملأت قلبه لذّة. وانما المعتقدات القويمة، والذكريات الحلوة، والوطن العزيز، والرجاء الصالح، بل وكلّ ما يملأ رغائب الانسان ويرفعه فوق نفسه ويحلّه ولو موقتاً من قيد حاجاته العاديّة شروحٌ تمليها اصوات النواقيس على البشرية. وما أعذب ما كان شعوري وتأثري قبل لبنان في احدى كنائس استنبول!

شديدةٌ حاجة الانسان الى وصل من يشعرون بشعوره. لانّ قلبه يخاف بل يكره الوحدة. وهو، على ما خلقه الله، مطبوعٌ على مبادلة الاخذ والعطاء وطمّاعٌ بحصّةٍ من الخيور العامّة. وانما المعتزل محكومٌ عليه بعذابٍ خاصّ بالمجرمين. امّا المسافر فاذا وجد معتقده وعبادته ولو بين البرابرة فقد حصل على غاية عواطفه وخال نفسه كأنه بين قومه. (تعريب ا. ش.)

مطبوعات شرقية جديدة

Matz (Friedrich) : Die frühkretischen Siegel. *Eine Untersuchung über das Werden des minoischen Stiles.* 115 *fig. et* 26 *pl.* : 4°, *XV-277 pp. Berlin u. Leipzig, Walter de Gruyter et C°* 1928. *Prix* : 58 *Mks*, 50.

الاختام الاقريطيشية القديمة

من المفيد ان نصف هذا الكتاب القيّم ، وان كنا متأخرين في ذلك وقد مرّ على ظهوره اربع سنوات . فان الموضوع لا يزال غاية في الاهمية اذ لا يخفى ان تلك الاختام القديمة التي اكتشفت بعدد كبير في انحاء سورية ولاسيما الشمالية منها ، والتي توصل العلماء اخيراً الى تصنيفها وتقرير مركزها في التاريخ والفنّ ، تؤدي فائدة جليلة في ايضاح كثيرٍ من المشاكل الاثرية المشتركة بين شعوب آسية الغربية .

انتبه المؤلف لهذا الامر الخطير ، فقام ببحثٍ واسع ودرس متواصل في مختلف المتاحف الكبيرة ، وجمع معلومات متنوّعة مكنته من الخوض في موضوع الاختام المختلفة المنتسبة الى جزيرة اقريطش القديمة اي الى المدنية المينوية . وكان كثير من العلماء قبله قد خاضوا الموضوع وابدوا فيه نظريات مختلفة . فكان علماء الانكليز يجنحون الى القول بان اصل هذه الاختام الاقريطشية امثلة مصرية . فقام بعض الالمان يعاكسونهم ناسبين ظهور تلك الآثار وطريقة صنعها الى تأثير الفنّ الطرّاني الحديث القائم في مناطق نهر الدانوب . على ان اكثر الاثريين من الالمان كانوا يميلون الى القول بتأثير فنّ آسية الغربية ، وينسبون خاصة الى الفنّ الحثي او الاناضولي المزدهر في الالف الثالث والالف الثاني ق . م . كثيراً من العناصر التي عملت على ازدهار فنّ الاختام الاقريطشية . ولا يخفى ان هذا المشكل الخاص يجرّ حتماً الى مسألة اعمّ وهي مسألة نشوء وازدهار الفنّ الاقريطشي بكامله .

فكان من الضروري اذاً ان يُعاد درس الموضوع من اوله ، فتُدرس جميع

المظاهر والدقائق البسيطة على طريقة اضبط من الطريقة المتبعة سابقاً حتى يتمكن العلماء من تقرير موقفهم تجاه هذه النظريات المتباينة.

وهو ما قام به الاستاذ ماتس . فاستنتج اجمالا ان ليس للفنّ المصري من تأثير يُذكر في فنّ الاختام الاقريطشية . وبالعكس فان الفنّ الحثي يظهر تأثيره بمظاهر عظيمة لا يمكن انكارها في كل ما يختصّ بالصور المرسومة في اقريطش وشكل الاختام المادّي ايضاً . ولا يمكن ان ينكر كذلك تأثير الفنّ الطرّاني الحديث المزدهر في مناطق اوربة الجنوبية - الشرقية ، ويبدو هذا التأثير خاصة في ما كان يُستعمل لزخرفة الاختام المذكورة من دوائر لولبية وما شاكل . اما ما اختصت به اقريطش فايجاد بعض امثلة لا نراها في غيرهـا من الاماكن ، وخصوصاً تحويل ما استقته من المصادر الخارجية الى مظهر من الفنّ شخصي نفخت فيه الحياة فجعلت منه ، منذ العصور المينوية ، فنّاً خاصاً مستقلّاً تابع تأثيره في الفنّ اليوناني القديم.

هذا ملخص نظرية المؤلف العالم التي كان من تأثيرها ان مال اليها كثيرٌ من علماء المانية وفرنسة . على ان الكلمة الاخيرة لم تُلفظ في الموضوع بعد ، ولا يُفرغ منه قبل ان نرى مـا تأتينا به الحفريّات الجـديدة التي ينتظر العلماء مكتشفاتها بفروغ صبر . والكتاب سهل القراءة اجمـالا على كونه يفرض ان المطالع قرأ كثيراً من المنشورات في الموضوع . على ان اللوحة ١٥ من الرسوم غير واضحة.

س . ر .

DIE PROPYLAEN - KUNSTGESCHICHTE

B^d II, Die Kunst des alten Orient :

Die Kunst Aegyptens *von* Heinrich Schaefer

Die Kunst Vorderasiens *von* Walter Andrae

(5-10 *Tausend*) 1925. *Propylaen-Verlag. Berlin.*

تاريخ الفنّ : المجلد الثاني

ان فكرة وضع تاريخ عامّ للفنّ على الطريقة التي شاء تحقيقها طابعو هذا الكتاب في برلين لفكرة شاذّة وغريبة نوعاً ، اذ انها لا تتفق ومـا نُشر في الموضوع حتى اليوم . لا يخفى ان تاريخ الفنّ يستند قبل كل شيء الى الآثار ،

وهي حقيقة بديهية لا نرى المؤلف او المؤلفين الذين كتبوا اقسام الكتاب يهتمون بها الاهتمام الكافي . فانهم يستقلون تاماً كلّ بموضوعه دون ان يكون هناك فكرة شاملة او تقسيم جامع او وحدة ، غير وحدة العنوان ، تنسّق الجانبم . وهو اول ما ننتقد عليه ارباب « تاريخ الفن » (*Kunstgeschichte*) في طريقتهم الحاضرة .

وهناك انتقاد آخر يختصّ بالمجلد الذي نصفه اليوم . لا شكّ ان المؤلفين اللذين قاما بكتابته من كبار العلماء . ولاسيما الاستاذ شافر المعروفة مقدرته في العالم كله . على ان جهودهما لم تؤدِّ الفائدة المرغوب فيها كما يتضح لمطالع الكتاب . في المؤلف ١٦٨ صفحة خُصت بالنصّ . ولكن لم يُجعل منها لفنّ آسية الغربية الّا ٣٥ صفحة فقط ، بينا الفنّ المصري يملأ وحده ١٣٣ صفحة . ثم ان المطالع يرى في النصّ ٣٨ رسماً . وما بقي من الصور طُبع في لوحات خاصة بلغت ٤٦٤ وهو عدد عظيم بالنسبة لصفحات النصّ . وقد طبع ٣٦ منها بالالوان . وفي الكتاب فضلاً عن ذلك ثلاث خرائط . وكل هذه الصور جميلة تقرّ بفضل الطابع ، الّا ٣ منها : الاولى صورة « كاتب » اللوفر (ص ٢٣٧) وهي غير واضحة ، والثانية مسلّة ايناطوم (ص ٤٨٦ - ٤٨٧) ، والثالثة مسلّة نارم - سين (ص ٤٩٣) ولا يظهر رأسها بوضوح كافٍ . يخرج المطالع من كل ذلك وهو يشعر بانه زار متحفاً عظيماً جمع كل روائع الآثار الشرقية القديمة .

على انه اذا طالع النصّ ، وقابل بينه وبين هذه المستندات الاثرية العديدة ، وانتبه لكل ما فيه من ايجاز واقتضاب ، تصوّر انه يرى ، في ذلك المتحف العظيم ، دليلاً قليل الكلام يشرح له كل ما يشاهد على وتيرة واحدة وبلهجة الاستاذ المعلم . فيكون على المطالع ان يترك النصّ ، في كل دقيقة ، ويلجأ الى اللوحات وهي مجموعة كلّها في مكان واحد ، ثم عليه ان يتركها ايضاً ويرجع الى آخر المجلد فيرى في فهرس خاصّ شرح دقائق الآثار وذكر مصادرها . فلا يمكن ، والحالة هذه ، ان نتصوّر مؤلفاً كبيراً اصعب استعمالاً وادعى الى التذمّر من الكتاب الحاضر . حتى ان درس الفنّ الذي يجب ان يكون مصدر لذّة وبهجة للمطالع يُصبح مصدر تعب وتأفف . فيفضّل اذ ذاك مجموعة من الرسوم والصور .

وبالاختصار ان هذا الكتاب ليس « تاريخاً للفن » بل مجموعة محاضرات — لم يذكر فيها شيء من مصادر البحث ومآخذ الآراء - زينتها رسوم وصور جميلة معجبة. وهو رخيص الثمن بالنظر لما فيه من الرسوم. يُباع مجلداً بـ ٤٧ مركاً. وسنعود الى وصفه مطولاً في نشرة كلية القديس يوسف (M. U. S. J.) ان شاء الله.

س. ر.

E. Lévi-Provençal : L'Espagne Musulmane au X^e^ siècle. Institutions et vie sociale. 1 *vol. in-4 couronne avec 24 pl. en simili gravure hors texte et 1 carte en couleurs. Prix : 60 f*. *Larose, Paris,* 1932.

اسبانية الاسلامية في القرن العاشر

ما من احد ينكر اليوم ذاك الاثر العميق الذي تركه المسلمون في اسبانية، ولاسيما في القسم الجنوبي منها، وقد احتلوا الكثير من مناطقها مدة القرون الوسطى بكاملها. فالسيطرة الاسلامية من جهة، وعمل الاسبان المتواصل على التخلص منها من جهة اخرى، جعلا لاسبانية، ولاسيا لبلاد الاندلس فيها، صفة خاصة جذابة تبدو لكل من عرف تلك البلاد فتدفعه الى التعمق في درسها والتأمل بمظاهرها.

هذا وان تاريخ الاندلس خاصة وتاريخ اسبانية عامة يحتل، في ايامنا هذه، مركزاً عالياً بين الدروس التاريخية. ولم يكن العلماء قد درسوه سابقاً الا من الناحية السياسية فحسب، فانصرفوا اليوم الى درس ناحيتيه الاجتماعية والاقتصادية. وهو المظهر المزدوج الذي يهتم به الاستاذ ليفي - پروڤنسال فيدرس مناحيه المختلفة في القرن العاشر وهو عصر ازدهار تلك المدنية. والاستاذ يستند في ذلك الى خبرته الطويلة واطلاعه الواسع على المستندات العربية في المغرب الاسلامي، واكثرها لم تنشر بعد بالطبع بل منها ما كان المؤلف قد اكتشفه في تنقياته العديدة. وقد لخص في كتابه الحاضر نتيجة ابحاث يواصلها منذ سنين في تطور الاوساط الاجتماعية على عهد الدول التي تتابعت في اسبانية وفي بلاد البربر. وهو يخوض في مسألة عناصر الشعب الاندلسي، ومظهر الحكومة والادارة في الخلافة الاموية، ونظامها العسكري، وحياتها الاقتصادية.

ويخصّ فصلاً بمدينة قرطبة ، عاصمة الخلافة الغربية.

وقد زيّن الكتاب بكثير من الرسوم . وزيدت فائدته بجدول ابجدي عام . فاصبح حقيقاً بان يحتلّ مركزاً عالياً بين المؤلفات المتعلقة بتاريخ الاسلام وبتاريخ القرون الوسطى ايضاً.

Jean Pichon : Sur la route des Indes. Un siècle après Bonaparte. 1 *vol. in-8° broché, orné de nombreuses illustr. en noir. Société d'Editions Géographiques, Maritimes et Coloniales*, 184, *boulevard St Germain, Paris* (6e), 1932

على طريق الهند ، مائة سنة بعد بونابرت

عُين مؤلف الكتاب ، الكابتين پيشون ، سنة ١٩١٨ ، مع فرقته ، ليمثّل الجيش الفرنسوي في الفرق الانكليزية التي كانت تحارب في فلسطين جيوش الالمان والاتراك . فاشترك بالحملة التي قام بها الجنرال اللنبي . واحتفظ منها بتذكارات وملاحظات كثيرة يعرضها على مطالعه بفصول شائقة تدفع به من اليهودية الى الجليل ومن القدس الى دمشق.

وبعد انتهاء الاعمال الحربية ، عُيّن الكابتين پيشون في حلب مع جيوش الحلفاء . فاخذ يدوّن يوماً فيوماً ، بانشاء يصفه كثير من الظرف وشيء من المرارة والتذمّر ، كلّ ما كان يصادفه من الصعوبات مع الانكليز الذين كانوا يقولون ويفعلون كانهم سادة الموقف ، بينا كان هو وحيداً لا وسائل له ، ولا معلومات لديه ، ولا عضد يستند اليه .

وان ما يجعل هذه التذكارات لذيذة شائقة تلك اللهجة البسيطة الظريفة التي يتصف بها الكاتب والتي لا تنفي مزايا الكتاب العلمية الدقيقة . فهو من هذا القبيل مستند قيّم لحوادث حربية لم تُعرف على وجهها لكثرة ما شوّهت فيها الدعايات المختلفة . ويزيد في قيمته خرائط واضحة وصور جميلة طبعت خارجاً عن النصّ.

على ان ما يؤسف له هو العنوان الدالّ على تأليف روائي اكثر منه على كتاب تاريخي دقيق.

F. Pathier-Boneille : Le syllabisme des écritures antiques. Alphabets des écritures cunéiformes (Assyrie, Babylonie, Arménie, Perse.) *in 8°, 49 pp. et nombreux tableaux. Paris, Maisonneuve frères, Librairie orientale et américaine*, 1931.

مقاطع الخطوط القديمة : ابجديات الخطوط المسمارية

لاشك في ان جميع من يطالعون هذا الكتيب ، حتى من غير الاختصاصين ، يستغربون تلك الآراء التي يعرضها المؤلف نتيجة لابحاث طويلة صرف فيها عدة سنين . فولدت هذا الكراس الذي طبع منه ٢٠٠٠ نسخة لم يعرض شيئاً منها للبيع . هذا كل ما يمكننا ان نقوله عن الاثر ، ونحن لا نطمع بتحليلـه ولا بتزييف آرائه . س . د .

Kieckers (E.): Die Sprachstaemme der Erde. *Mit einer Anzahl Grammatischer Skizzen.* [*Kultur und Sprache*, 7 Bd] *in-8°, XII-257 pp. Heidelberg, C. Winter*, 1931.

بحث في لغات العالم

يقرّ الدكتور كيكرس ، الاستاذ في جامعة دوربا ، في اول كتابه بانه باشر عملاً يتجاوز قوى رجل واحد . فان مجموعة « الثقافات واللغـات » التي طلبت معاونته كان يمكنها ، في الكثير من النقـاط ، ان تكتفي بالمصادر الثنوية . وهو ما شعر به المؤلف فاستفاد في بعض ابحـاثه من كتابين وفرا عليه كثيراً من الوقت ومن الجهد واعاناه على جعل دروسه متقنة وعقلية جمهور القرّاء الذين يكتب لهم . والكتابان هما المؤلّف الفرنسوي الضخم الذي نشره سنة ١٩٢٤ الاستاذان ميله (Meillet) وكوهن (Cohen) بمعـاونة كثير من اللغويين بعنوان « *Les langues du Monde* » والمؤلّف الالماني الذي نشره الاب شميد (W. Schmidt) في السنة نفسها بعنوان « *Die Sprachfamilien und Sprachenkreise der Erde* »

وقد قام المؤلف بمهمته بدقة واجتهاد واسلوب حسن . ومن الطبيعي انـه كان يلجأ احياناً الى بعض زملائه في ما خصّ المسائـل التي لا تدخـل ضمن اختصاصه . فكان من ذلـك انه اجتنب اغلاطاً ومراجعـات . وهو يعرض

التغيرات اللغوية باختصار مستندًا في غالب الاحيان الى اللغات الهندية - الاوربية التي يعرفها اكثر من غيرها.

على ان للمطالع ان يسأل : وما منفعة كتاب من هذا النوع ؟ ونحن ، اذا استثنينا منه بعض الفصائل اللغوية المعروفة المصنفة ، لا نرى فيه الا مجموعة ضئيلة من الاسماء الغريبة . وليس هناك فكرة شاملة يمكنها ان تساعد على اقرارها في ذاكرة المطالع غير الاختصاصي.

ولكن مهما يكن من امر فان الكتاب ، على امل ان يعيد المؤلف نظره فيه فيجمع اقسامه المتباينة في عناوين شاملة ، يفيد الطلاب نوعاً ما ولاسيما من كان منهم قليل الوقت مستعجلًا . هذا وان ثمنه البخس ، ٤ مركات ونصف المرك ، يجعله قريب المتناول. س . ر .

Dressaire (Leopold) : Jérusalem à travers les siècles. *in-12° de 544 pp. Paris, Maison de la Bonne Presse*

اورشليم على ممرّ القرون

مؤلف الكتاب كاهن من رهبان الصعوديين قضى اكثر من ست وعشرين سنة في اورشليم فكتب عن خبرة وعلم بحثاً جامعاً قسمه الى ثلاثة اقسام : تاريخ اورشليم ، وآثارها القديمة ، ومعابدها . وزيّنه بكثير من الرسوم والخرائط . فاتى خير مؤلف في الموضوع ، بل الوحيد من نوعه بعد كتاب گيرَن (V. Guérin) الذي ظهر سنة ١٨٨٩ . ولا يخفى كم حصل من الحفريّات والتنقيبات من ذاك التاريخ حتى اليوم ، وكم توفق العلماء الى الاكتشافات المتنوّعة في اورشليم وجوارها . وكان من حظّ المؤلف ان وُجد في محيط علمي واقف على ادقّ الامور واحدث الآراء ، لا يترك نظرية دون تمحيص ولا مشكلًا دون درس . فاستفاد من كل ذلك وجعل لكتابه حظًا وافرًا من العلم والنقد لا نشكّ في انه يدعو العلماء الى الاقبال عليه والاستفادة منه . ج . ل .

Sergent (Edmond et Etienne) : L'armée d'Orient délivrée du paludisme. *in-8° de 90 pp. Prix : 25 fr Paris, Masson.* 1932.

جيش الشرق وتخليصه من الملاريا

كتاب لطيف الحجم حسن المظهر تزيّنه الحروف المعرّقة والنقوش والرسوم

الغربية . فيلذّ المطالع ويفيده اذ يلخص له كيف فشا وبأ الملاريا سنة ١٩١٦ في الجيش الفرنسوي المرابط بسالونيك . وكيف عمل الرؤساء على ملاشاته باستعمال وسائط بسيطة فتالة ترددوا اولًا في قبولها حتى اذا تحققوا نتائجها الحسنة اجبروا العسكر على استعمالها ، فخلّصوا الجيش واستحقوا شكر جميع افراده .

Evangile selon Saint Luc. *introduction, traduction française par le* **R. P. Lavergne**, O. P. 1 *vol. in*-16 *de* 279 *pp.*[*Collection des Etudes Bibliques.*] *Prix :* 18 *f*. *Librairie Lecoffre, J. Gabalda et fils. Paris.*

انجيل القديس لوقا

لا يملّ الانسان من مطالعة انجيل القديس لوقا . فان جمال المشاهد التي يرسمها تجذبه طويلًا . على ان هذه الجاذبية نفسها تجعل المطالع يضيق ذرعاً بما في النصّ من التعابير المبهمة بعض الاحيان ومن المعاني الدقيقة الصعبة ، فيودّ لو يقف على شرحها فتكمل له الفائدة واللذة . ولهذا قام كثير من علماء التفسير فألفوا المجلدات الضخمة على انجيل القديس لوقا باليونانية واللاتينية والالمانية والانكليزية وغيرها من اللغات . وكان حضرة الاب لاگرانج قد استند الى كل ذلك في كتابه النفيس الذي نشره باللغة الفرنسوية . ولكن هذا الكتاب لا يوجد لسوء الحظ الا في مكاتب العلماء وارباب الدرس . فرأى حضرة الاب لاڤرني ان يختصره بمجلد صغير يضعه لفائدة جمهرة القرّاء من الذين لا يستطيعون قراءة المؤلف الكبير . وقد استفاد ، في ملخصه ، مما نشره الاب لاگرانج من كتب ومقالات بعد طبع كتابه الاول . فاتى الملخص كتاباً مفيدًا يوضع عن جدارة واستحقاق الى جنب مؤلف الاب لاگرانج نفسه عن انجيل القديس مرقس .

M. J. Chaine : Introduction à la lecture des Prophètes. [*Collection des Etudes Bibliques.*] 1 *vol. in*-16 *de* 276 *pp. avec* 1 *croquis,* 2 *cartes et* 10 *planches hors texte. Prix :* 20 *f*. *Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Fils, Paris.*

مقدّمة لقراءة الانبياء

لا يخفى ان آثار الانبياء من عاموس الى ملاخي تمتدّ على نحو ثلاثة قرون

كاملة. ثم اذا شئنا ان نفهم روءى دانيال في تتابع الدول وجب علينا ان نعرف تاريخ العالم الشرقي حتى عهد انطيوخوس ابيفانيوس، اي مدة ستة قرون من عهد عاموس . وهي حقبة غنية بالاضطرابات والانقلابات نشأت فيها الامبراطوريات العظيمة واضمحلّت الواحدة بعد الاخرى . وكان في كل ذلك لمنطقة فلسطين دور يُذكر . بل كانت تلك الحقبة اوفر حقب التاريخ الفلسطيني تزعزعاً واضطراباً . وكان الانبياء كثيرًا ما يشيرون في نبوءاتهم الى هذه الحوادث التاريخية، بل كانوا يصفونها بعض الاحيان وصفاً تاماً ، بنوع اننا اذا جهلنا هذه الحوادث واصولها ونتائجها ، ظهرت لنا تلك الآيات غامضة مبهمة فلم نفهمها.

وعليه فان موءلف الكتاب اراد ان يضع دليلًا واضحاً يقرّر الآثار النبوية في بيئاتها التاريخية والدينية والثقافية . فتتضح النبوءات وتتخذ مظهرًا من الحياة عجيباً يقرّبها من الفهم . وقد اورد في كتابه كثيرًا من النصوص النبوية في معرض الكلام عن حوادث التاريخ . ثم زيّن كل ذلك بكثير من الرسوم الاثرية والصور الموضحة . فادّى خدمة جزيلة الفائدة لطلّاب المدارس الاكليريكية ، ولارباب الكهنوت ، ولكل من يهتمّ بالتوراة من العلمانيين ايضاً . فان تعاليم الانبياء لا يمتق عهده ولا يمضي زمنه لما فيه من الالهام العالي والوحي السامي .

Annuaire pontifical catholique pour 1932. 1 *vol. de* 960 *pp. à 2 colonnes, avec* 190 *illustr. Prix :45 fr. Maison de la Bonne Presse, Paris.*

التقويم الحبري الكاثوليكي لسنة ١٩٣٢

ظهر هذا التقويم الجامع للمرة الخامسة والثلاثين . ولا شك ان ظهوره يحدث احسن تأثير في قلوب جميع من تعوّدوا مطالعته والاستفادة منه ، لا من رجال الاكليروس الفرنسوي فحسب ، بل من الكثيرين من الاساقفة والكهنة والمرسلين الاجانب الذين رافقوا هذا التقويم منذ عدة سنوات . وعلى الرغم من الازمة الحاضرة لم ينقص التقويم شيئاً من صفحاته بل ظلّ محتوياً على ٩٦٠ صفحة يزيّنها بنحو مائتي رسم وصورة . هذا فضلًا عن اهتمامه الكبير بالدقة التي اتصف بها في جميع اللوائح والاسانيد التي ينشرها.

R. P. Coulet : Catholicisme et laïcité. *in-12 de 201 pp. Prix : 10 f. Paris, Action populaire et Editions Spes.*

الكثلكة والعلمانية

يجمع هذا العنوان المحاضرات التي القاها المؤلف في بوردو مدة صوم السنة ١٩٣٢ . وهي خمس ذكر فيها الخلاف مع العلمانية ، وما في مظاهرها من الاضطراب المؤدي للغموض والتمويه ، وما تقوم به من الحملات على المؤسسات الاكليريكية . ثم لخص بان عرض حلًّا لهذا المشكل العويص يمكن تطبيقه والتوفيق بينه وبين النزعة الوطنية الفرنسوية .

Edm. Joly : Theotokos après le concile d'Ephèse. La Mère de Dieu dans la pensée, l'art et la vie. *in-12 de 219 pp. Prix : 10 f. Paris, Editions Spes.*

ثيوتوكس بعد مجمع افسس . امّ الله في الفكرة والفنّ والحياة

يحتوي هذا الكتاب على بحث في المجمع الافسي يشمل الفصل الاول ، ثم على درس في ما يدعوه المؤلف سرّ مريم ام الله وتأثيرها في الطقسيّات والفنّ والآداب . وكل ذلك مستند الى كثير من الوثائق باسلوب وافر الدقة على كونه سهلًا لطيفاً يرضي دون شكّ القراء الكثيرين .

M. Chadourne : L'URSS sans passion. *in-12 de 223 pp. Prix : 15 f. Paris, Plon.*

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية : نظرة مترفعة عن التحامل والتحيّز

لا تزال الكتب تتوالى عن روسية السوفيتية ، ولا يزال القراء يتطلبون غير مكتفين بما يتراكم على رفوف المكاتب من التآليف في الموضوع . وما ذاك الا لان روسية الجديدة عديدة المظاهر متشعبة المناحي والغايات حتى انها اصبحت من اغرب بلدان العالم ، واصبح من يسير اليها كمن كان يذهب سابقاً الى بلاد المغول . وواضح ان المؤلفين لم يتوصلوا بعد الى البحث في جميع مظاهرها والجولان في كل انحائها .

امّا مؤلف الكتاب الحاضر فقد سافر الى روسية اجابةً لرغبة احدى المجلّات . على انه لم يشأ الكلام عن بلاد السوفيت باختصار ، ولم يرد ان يعرض مشهداً عاماً لتلك الانحاء . بل اكتفى بذكر بعض حوادث حقيقية معلّقاً عليها تأثيراته

وملاحظاته الشخصية مترفعاً عن التحامل والتحيّز . فكان من ذلك مجلد لذيذ مفيد . ج.ل.

R. Berthelot : Science et philosophie chez Gœthe. *in-12 de 189 pp. Prix : 15 f. Paris, Librairie Félix Alcan.*

العلم والفلسفة في آثار گوته

يعرف الناس گوته شاعراً ، وهو امر صحيح . على ان الشعر وحده لم يكن ليمثل ذاك العقل المثقف الجامع لكثير من مظاهر التفكير في عصره . وعليه كان من المفيد الشائق ان يُبحث عن المؤثرات التي عملت في دماغ الشاعر المذكور . وكان من نصيب المؤلف ان اختص بظهرين منها ففتش عمّا أثره في گوته علماء الحيويّات والفلاسفة المشاهير في عصره . وهو بحث دقيق قام به بكل ما يتطلّب من عناية واهتمام، فجرّه الامر الى درس عصر الشاعر ونزعاته العلمية المتباينة من نظرية لامرك في التطوّر الى آراء هيگل في فلسفة التاريخ . وليس من الواضح ان يكون گوته قد تأثر مباشرةً باحدهما، ولكن الظاهر انه كان بين الثلاثة مجارٍ متوازية من التأثير العقلي . وهكذا توصل الكاتب الى المقابلة بين فكرة گوته وآراء الفلاسفة والعلماء في عصره ، على اسلوب واضح شائق المظهر .

وقد اردف الكتاب بلحق ذكر فيه نتيجة محادثة عن گوته وحياته الروحية . كان فيه اقلّ دقة وتوفقاً منه في الكتاب نفسه . فانه عرض الحياة الروحية على مذهب برگسون فاستنتج ان گوته كان حكيماً وبطلاً وقديساً . . . ج.ل.

J. de Pange : La Cathédrale de Metz. *[Bibliothèque Catholique illustrée.] Prix : 5 f. Paris, Bloud et Gay.*

كاتدرائية متس

دليل جميل دقيق يفيد جميع من يقوم بزيارة الكاتدرائية المذكورة ، او من يودّ درسها ومعرفة اقسامها . كتبه احد ابناء اللورين من الذين يحبون وطنهم ويعجبون بآثاره . وزيّنه برسوم غاية في الجمال والفنّ .

Jacques Zeiller. : Léon Ollé-Laprune. 1 *vol. in-16 de* 320 *pp.* (*Collection des Moralistes Chrétiens*). *Prix* : 20 *f*. *Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Fils. Paris.*

لاون اولي – لا پرون

كان من الواجب على مجموعة «الاخلاقيين المسيحيين» ان تفرد مركزاً للاون اولي - لاپرون، فان فلسفته المسيحية، وان كانت تتعلق خاصة باقرار الفكر، كانت تنزع ايضاً الى العمل. وان آثاره التامّة عن فكر عميق وعقيدة متينة، وميل شديد الى الدفاع عن الايمان، قد عملت دون شكّ على زيادة الكنز الاخلاقي في عصرنا هذا. فانه بعد ان اظهر ما في طريقة الاخلاق المبنية على الحكمة وحدها، كما شاءها ارسطو، من قيمة لا تُنكر ومن نواقص وثلم واهية، وبعد ان بيّن ما في الطريقة المبنية على الرغبة في الكمال، كما ارادها ملبرانش، من جهود جديرة بالاعجاب ومن مصادر عديدة للضعف، اخذ يبني طريقته هو في كتابه المعروف «بثمن الحياة» فرسم الخطوط العامّة لطريقة يمكننا دعوتها بحقّ طريقة الاخلاق الانسانية المسيحية. وهو ما شرحه مؤلف هذا الكتاب.

L'Arabe correct en trois mois et sans maitre - 59 *Leçons et exercices - une leçon et un exercice par jour*. in 16 de 520 *pp.* *Par* **Joseph Alouan.** *Missionnaire Lazariste*

١) تعليم العربية الفصحى بثلاثة اشهر وبدون معلم. وهو يشمل ٩٠ امثولة وتمريناً، لكل يوم امثولة وتمرين.

٢) مختصر العربية الصحيحة – تأليف الاب يوسف علوان اللازري ص١١٦، ق ١٦– مطبعة المرسلين اللبنانيين. جونية (لبنان) ١٩٣٢.

للمؤلف كتب عديدة عربية وافرنسية اهمها ظهر في الدينيات (التعليم المسيحي، حياة القديسين ڤيانه، جان دارك، منصور دي پول ...) وفي اللغة (مرقاة المترجم: ٤ اجزاء) وحسبنا ذكرها لنكون على بصيرة من خبرة المؤلف وتضلّعه من اللغتين العربية والافرنسية. ان مختصر العربية الصحيحة الذي لفتنا اليه النظر ثانياً وُضع خاصةً لابناء البلاد العربية من تلامذة المدارس ورجال التجارة وغيرهم لكي يحسنوا القراءة والكتابة من غير غلط.

اما الكتاب الاول ، الموضوع للافرنسيين ، فقد رغب المؤلف في ان يجعله « المثال الاعلى » لدرس العربية. ان الاسلوب ، وان قرب المسافات الى الموارد ، فلا يستطيع ان يذلّل العقبات الطبيعية الحائلة دون بلوغ الغاية الا بالمهلة والصبر . لكننا نتمنى للكتاب الجديد ان يذهب بطالعيه من الافرنج بمراحل سريعة تنقلهم في مدة ثلاثة اشهر من جهل العربية الى معرفتها صحيحة، فيكون حقيقة المثال الاعلى الذي لا غنى عنه لطلاب العربية من الافرنسيين ف . ت .

قاموس الحقوق

لعبد الباقي بك الايوبي وولده الاستاذ جلال بك باقي

المجلد الاول : ٤٩٦ ص . متوسطة – مطبعة بابل اخوان ، دمشق

جرت العادة في البلاد الراقية ان ينصرف المتشرّعون الى وضع المطولات الضخمة يجمعون بها كل ما يكون توصل اليه ، في طوره الاخير ، علم الشرع في جميع اصوله وفروعه . فتكون هذه المطوّلات شبه دائرة معارف شرعية يلجأ اليها ارباب المهنة والمصلحة يستخلصون منها الجواب الوافي والواضح على اي مسئلة تقع وايّ مشكلة تحدث في الحياة الشرعية اليومية . وترى هذه المطولات موضوعة بنوع مرتّب ترتيباً وثيقاً مقسومة الى ابواب معينة حسب حروف الابجدية ، تسهل كثيرًا العثور على الحلّ المطلوب . فمثلاً اذا رغبت في درس مسئلة متعلقة بالوكالة تفتح المجلد حيث تجد ، تحت حرف الواو ، كامل الشروحات المتعلقة بالوكالة : فترى هناك كل الآراء والمبادي الثابتة في علم الائمة واجتهاد المحاكم ، فتكون على نيّرة من امرك . مثل هذه المطولات عند الافرنسيين ما يسمونه (*Répertoire pratique Dalloz*) .

كانت بلادنا لتاريخ اليوم محرومة من مؤلفات كهذه . اجل ان المطولات الافرنسية قد انتشرت بالاخص في لبنان انتشارًا واسعاً . ولكن جميع المشتغلين بالحقوق الذين لم يوفقوا الى معرفة اللغة الافرنسية ظلّوا محرومين من الاستفادة من كتب كهذه . ومن جهة اخرى مهما كانت المؤلفات الافرنسية مفيدة فلا

تزال قاصرة عن تلبيـــة جميع الرغائب في بلادنا ، اذ ان بين الشرع الافرنسي والشرع المعمول به عندنا اختلافاً عظيماً في نقاط عديدة اساسية .

كل ذلك حمل حضرة الاستاذين عبد الباقي الايوبي وولـده جلال بك من دمشق على وضع هذا المؤلف الكبير الشأن المسمى بقاموس الحقوق (كما نقول بالافرنسية : *Répertoire ou dictionnaire de Droit*) وهو موضوع على نمط المطولات الاجنبية كما اشرنا اعلاه مرتبة موادّه بحسب احرف الابجدية . وتحت اسم المادة جميع المعلومات المتعلقة بها : القوانين المرعية الاجراء ، المبادي العمومية ، قرارات المحاكم . وقد وُفق المؤلفان في اقتفاء اثر الافرنج توفيقاً لا بأس بـه ، رغم ان القـارئ يتحقق اكثر من مرة ان المؤلفين لم يزالا تحت تأثير الطرق القديمة والافكار البائدة .

وقاموس الحقوق هذا يقع في اربعين مجلّداً ظهر منها لتاريخ اليوم اربعـة مجلّدات وستظهر المجلدات الباقية تباعاً . ولا يخفى ما تكلف مؤلفات كهذه من وقت وعناء شديد . ولاسيما انه بصورة اجمالية لم يلجـأ المؤلفان الى موازرة متشرعين سواهما .

وقبل ختام هذه الكلمة نريد ان نلفت النظر الى بعض ملاحظات بدت لنا من مطالعة المؤلف مطالعة اولى . فكثيراً ما ترى فيـه ذكر قرارات مهمة للمحاكم بدون ذكر المجلة او المجموعة التي ادرجت فيها هذه القرارات ، وكثيراً ما يُرجعك المؤلفان الى الكتب الفقهية بدون ان يعيّنا لك المجلد والصفحة اللذين يجب اليهما الرجوع . هذا عدا بعض اغلاط لا يمكن ان تكون وقعت الا سهواً مثل ما ورد ، على شكل مطلق ، من ان اجتماع الجرائم هو سبب للشدة في العقوبة .

وعلى كل فاننا نقدم الى حضرة المؤلفين تهانينا القلبية على العمل الذي قاما به مقدرين حق قدرها جهودهما العظيـة وعلمهما الواسع .

اميل تيان

الاستاذ في معهد الحقوق الافرنسي بيروت

اسماء البنات

بقلم امين الغريب ، صاحب مجلة الحارس
مطابع قوزما ، بيروت ١٩٣٢ ص ٧٢ ، ق ١٢

هي مجموعة مقالات وجيزة ظهرت في «الحارس» ثم ضمت في كراس وقدمت هدية الى مشتركي المجلة ، فيها الكلام على ٢٨ اسماً من اسماء النساء الاعجمية الشائعة في بلادنا ، وعلى معانيها ، وعلاقاتها التاريخية ، وعلى اشهر نساء دعين بها.

في تشرين الاول ١٩٣٠ نشرت « المجلة الاميركية للغات والآداب السامية » مقالًا لادولف اوغسط بروكس في الاسماء العربية والمشاكل الناتجة من صيغها ومعانيها ، الحائلة دون سهولة ترتيبها في الفهارس العلمية . وفي خلال المقال (ص ١٨) لائحة المصادر التي اعتمد عليها الكاتب ، يظهر منها ان المستشرقين تناولوا الكلام في الموضوع منذ سنة ١٨٣٧ ... فلذلك سررنا بما اتاه صاحب الحارس في كتابه فانه ، وان يكن قد تناول موضوعه من مصادر قريبة المنال في المعاجم الاوربية ، ومن غير طريقة المستشرقين ، فقد افاد القراء اذ نبه الكثيرين والكثيرات ممن يلفظون اسماء « ادال واستير واليانور وايزابل الخ. » الى ما يجدر بهم ان يعرفوه عن مسمياتها العظيمات . وقد عرفنا من حسن ذوق الكاتب ما سبب لنا العجب من كلامه عن حواء ، ام البشر ، باللهجة الخفيفة الداعية الى الابتسامة في موضوع اجلّ من ان يحلّ محلّ الملح ! اما ذكره القديسات في تراجم الاسماء فهو عنوان الرزانة . وعليه نهنئ كاتب مجلة الحارس وقراءها . واننا لنرى عبرة تاريخية في اهتمامهم عموماً بهذا البحث : ان تفضيل اسم على اسم في تسمية البنات وكثرة الاسماء الآتية الينا من بلاد الافرنج قد يمكن البعض تأويلها بالميل الى « التفرنج ». ولكن في الحقيقة ذلك الميل ناتج لا عن تصنع بل عن غريزة . لان الشرق ، وان يكن مصطبغاً منذ القدم بصبغة عربية ، فالعنصر الاصيل فيه ليس عربيًا ، ونحن بدمنا وموقعنا الجغرافي نمتّ الى مدنيات البحر المتوسط اكثر منا الى مدنية البادية ، وان نسمّ بناتنا باسماء غير عربية ، فلا عجب ، فان الطبع يغلب التطبع . فضلا عن ان المسيحيات يطلق عليهن اسماء القديسات في المعمودية غالباً. ف . ت .

فنّ التعريب عن اللغة الفرنسوية

تأليف ادوار مرقص

١٣٢ص. متوسطة – مطبعة كوميِن ، اللاذقية – الثمن ٤٠ غرشاً سورياً ، و٣٥ للشارين بالجملة

لا يخفى على احد ما لفنّ التعريب من اهمية تزداد في عصرنا يوماً ويوماً ، وما في سبيل اتقانه من عقبات لا يكاد يذلّلها الّا القليل ممن مارسوا المعرّبات مدة طويلة فقرنوا المقدرة بالاختبار. ومن هؤلاء الاستاذ ادوار مرقص. فقد آلمه ما كان يراه من المسخ والتشويه في القطع المعرّبة من روايات وقصص ومقالات. فشاء ان يفيد ابناء لغته مما استفاده هو في تجرباته المتعددة. فاصدر هذا الكتاب مشتملاً «قبل كل شيء على اربع وثلاثين من القواعد والملاحظات العامّة في فنّ التعريب ، وهي روح الكتاب ولبابه . ثم على نحو ٢٠٠ من الالفاظ والتعابير الفرنسوية التي تمثل خصائص الانشاء في هذه اللغة ولكل منها مقابل عربي لا ينطبق على ترجمتها الحرفية . ثم على نحو ١٥٠ لفظة اعجمية الاصل مع مرادفاتها العربية التي اصطلح عليها ادباء عصرنا . ثم على نحو ستين لفظة هي اشهر اسماء العلم والجنس التي يُراد بها معانٍ مختلفة في اللغة الفرنسوية بتلميح تاريخي او علاقة وصف وتشبيه وفيه اسماء آلهة اليونان والرومان القدماء حسب اساطيرهم الخرافية . ثم على جدول كبير يزيد على ٢٠٠ جملة باللغة الفرنسوية من الكلام المجازي تشبيهاً كان او استعارة او مجازاً مرسلاً او كناية مع ترجمة كل منها حرفياً والى جنبه ما يرادفه في العربية الفصحى . وقد رتّب هذا الجدول على حروف المعجم لكي يسهل على الطالب الرجوع اليه. ثم على ثمانين من الامثال الفرنسوية والعبارات الجارية مجرى المثل عندهم مترجمةً ترجمة حرفية وترجمة فصيحة . وبعدها عشرون لفظة لاسماء بعض الرتب والمناصب واصحابها. ويليها نحو ١٥٠ لفظة مستعملة في اللغة الفرنسوية وهي عربية الأصل.»

فيظهر مما تقدّم معظم الخدم التي يؤديها المؤلف لطالبي فنّ التعريب ، على ما في قواعده احياناً من التضييق في ما خصّ تعريب بعض المجازات الفرنسوية، ومن الرغبة في الابتعاد دائماً عن التعريب الحرفي وان لم يكن فيه ما يضير

الاساليب العربية . وعلى كل فان الكتاب جزيل الفائدة سهل الاسلوب . وحبذا ما صنعت ادارة المعارف في حكومة اللاذقية اذ قررت تدريسه في مدارسها الرسمية. ف.ا.ب.

كتاب المسيحي العابد

بعناية الاب جبرائيل ابي شديد ق. ب.

مطبعة القديس بولس، حريصا، ١٩٣٠

يسرنا ان نقدم الى القراء هذا الكتاب الصغير . جمعه ونسقه وطبعه حضرة الاب جبرائيل ابي شديد ق ب، فصدره بصورة اذن صاحب الابرشية بطبعه، وبمقدمة عرض فيها غرضه وهو وضع «فرض اخوية قلب يسوع حسب الطقس الشرقي الجميل، وهو قانون يسوع الحلو» مع مجمل قوانين ونظامات الاخوية، وقانون الباركليسي وغير ذلك من الصلوات، وجلها مقتطف من كتاب الفرض الكنسي.

ولا ريب ان الصلوات الواردة في كتاب المسيحي العابد تساعد كثيراً على بث روح التقوى، وانمائها في النفوس، فنتمنى له الرواج بين المسيحيين من سائر الطوائف، فتنفد طبعته هذه سريعاً، ويردفه مؤلفه بطبعة اخرى يزيد عليها فرض قلب يسوع. ف. ت.

النصف الاول من كتاب الزهرة

لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني

نشره الدكتور لويس نيكل البوهيمي

٤١٣ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٢

هي مجموعة من الشعر الغزلي ألفها ابو بكر محمد بن داود الاصفهاني ثم الاندلسي، «فانتزعها من خواطره واختارها من غريب ما اتصل بمسامعه.» وقد سمى المجموعة كتاب الزهرة . واستودعها مئة باب ضمن كل باب مئة بيت، ذكر في الخمسين الاولى منها «جهات الهوى واحكامه وتصاريفه واحواله.

وفي الحسين الثانية افانين الشعر البانية . واقتصر في ذلك على قليل من كثير واقتنع من كل فنّ باليسير .»

وكان الدكتور لويس نيكل البوهيمي من المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو قد نشر السنة الفائتة كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم الاندلسي في الموضوع نفسه . فاراد ان يتابع منشوراته في هذا الفنّ واخذ بالبحث عن «الزهرة» حتى وقف على مخطوطة النصف الاول منها محفوظة في دار الكتب المصرية ، وهي الوحيدة من نوعها. فاعدّها للطبع بمساعدة الشاعر الاديب ابراهيم عبدالفتاح طوقان. وطبعها بغاية الاتقان في المطبعة الكاثوليكية وقد قدم عليها بحثاً موجزاً بالانكليزية واردفها بملاحظات واصلاحات كثيرة حتى لم يبقَ صفحة من الكتاب لم يصلَح فيها . ومع كل هذا فقد وقفنا على عدة تصحيفات واغلاط لم يتنبه لها . فنؤمل ان يشير البا الناشر في حواشي الترجمة الانكليزية التي يعدّها للنشر قريباً ، على ما يظهر. ف.١٠ب.

خزانة الواعظين والمتأملين

في الحياة المسيحية وحقائق الدين : المجلد الاول

تأليف الاب اغناطيوس التنوري

٤٧٢ ص. متوسطة صغيرة — مطبعة دير سيدة المعونات ، جبيل ، ١٩٣٠

عُرف حضرة الاب اغناطيوس التنوري ، الرئيس العام السابق على الرهبانية اللبنانية المارونية ، بتقوى خالصة وعلم راسخ . وكانت رهبانيته قد عهدت اليه ردحاً من الدهر بارشاد شبانها المبتدئين والاكليريكيين ، وكلّف القيام بكثير من الرسالات في القرى ، وكان اثناء ذلك يطالع تآليف الآباء وسير الابرار وما خلّفوه من الخواطر الروحية والاقوال الحكمية. ويدوّن كل ما يراه صالحاً لمهمته تلك حتى اجتمع له كثير من المواد في موضوعات شتى. فرأى ان يعين من يدفعهم الواجب الى الاخذ بالمهمة التي اخذ بها. فوضع هذه الموجزات التي هي اشبه برسوم وتقاسيم مقتضبة لموضوعات الوعظ والتأمل ، يستعين بها

المرشد فيؤلف ما شاء من العظات الموافقة للمكان والزمان. وتسهيلاً للمستفيدين، قسم المؤلف هذه الموجزات على ثلاثة موضوعات عامة خصّ كل منها بمجلد. فاحتوى الاول، وهو ما نصفه اليوم، على اعتبارات في الحقائق، والواجبات الدينية، والرذائل، والفضائل، والعواقب الابدية. وسيشمل الثاني اعتبارات وتأملات في الواجبات الاكليريكية والرهبانية. اما الثالث فيجمع تأملات في حياة السيد المسيح، والقديسين، وعبادات اذار، وحزيران، وتشرين. وقد جعل له اسماً شاملاً فدعاه «خزانة الواعظين والمتأملين» وهو بالحقيقة خزانة غنية نرجو ان يستفيد منها من فُتحت لاجاهم. ف. ا. ب.

آثار اللسان والقلم

او الخطب السياسية والادبية باللغتين العربية والفرنسوية

للاب بولس عبود

١٦٠ ص. متوسطة باللغة العربية ونحو ١٠٠ ص. باللغة الفرنسوية – مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، ١٩٣٢ – الثمن: ليرة سورية.

الاب بولس عبود مؤرخ مدقّق، وقانوني ضليع، ووطني مخلص، وسياسي مجرب، وخطيب بليغ. وهو، في الكتاب الحاضر، يظهر بهذه المظاهر جميعها. فمن تقارير سياسية، الى ابحاث تاريخية، الى اعتبارات قانونية، الى حملات وطنية، ينتقل المطالع وملء اهابه الاعجاب بهذه الحركة المباركة، والرجاء ان تظلّ في عملها لفائدة الدين والعلم والوطن. ومما يزيد في قيمة المجموعة مستندات وملحقات تبيّن علاقة المؤلف بالحكومة الفرنسوية وتفيد، دون شك، ارباب التاريخ اللبناني في هذه الحقبة الاخيرة. ف. ا. ب.

سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان

تأليف جرجي شاهين عطيه

الدرجة الثانية: ٢١٣ ص. صغيرة – مكتبة صادر، بيروت، ١٩٣١ – الثمن: ٦ فرنكات

اشرنا في عددٍ مضى (ص ٤٧٨ من السنة الحاضرة) الى ظهور الدرجة الاولى من هذا السلّم. وها ان الاستاذ المؤلف ينشر اليوم الدرجة الثانية مشتملةً على

٣٨ درساً في اخص قواعد الصرف والنحو ، يتخللها ١١٠ تمارين على القواعد الواردة . فنتمنى له من الرواج ما تستحقه جهود مؤلفه الفاضل . ف . ا . ب .

المثري النبيل

عربها عن موليير الياس ابو شبكه

٧٨ ص . صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٢ – الثمن : ٧ فرنكات

وهذا الكتيب ايضاً من منشورات « مكتبة صادر » الحديثة . وهو تعريب لرواية موليير الهزلية المعروفة باسم « *Le Bourgeois Gentilhomme* » . وقد عربها الاستاذ الياس ابو شبكه فافاد محبي التمثيل وطلاب المدارس من الذين يدرسون الرواية المذكورة باصلها الفرنسوي ، فائدة محسوسة تذكر له بالشكر . ف . ا . ب .

* ثمرة السنة السابعة والخمسين لمدرسة الحكمة المارونية (١٩٣١ – ١٩٣٢) * ٤٦ ص . متوسطة باللغة العربية و٥٨ ص . باللغة الفرنسوية . مطبعة المرسلين ، بيروت ١٩٣٢ – جمعت اسماء الاساتذة والطلبة مع نتيجة الامتحانات ، ووصف بعض الحوادث المدرسية .

* المصريون في لبنان وسورية قبل مائة سنة * ٣٠ ص . متوسطة . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ – هو المقال النفيس الذي طالعه القرّاء الكرام في « مشرق » هذه السنة بقلم ابراهيم بك ابي سمرا غانم ، نشره على حدة فاستقبلته الصحافة العربية بما يليق به من حسن التقدير .

* الزواج * ٦٦ ص . متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ — هو البحث الاخلاقي اللاهوتي الذي وضعه الاب شرل ابيلا اليسوعي تبعاً للرسالة البابوية « *Casti connubii* » ونشره متتابعاً في « المشرق » . وقد لاقى من اقبال القراء ما اهاب بالمطبعة الى طبعه على حدة وجعل ثمنه فرنكاً واحداً تسهيلاً للاستفادة منه .

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٣١ * ٤٦ ص . صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ — مجمل الداخل : ٤١١,٨٠٨ غ . س . ومجمل الخارج : ٣٦١,٠٢٦ غ . س .

اهم حوادث الشرق في شهرين

١٥ حزيران — ١٥ آب ١٩٣٢

لبنان وسوريا — سافر المفوض السامي المسيو پونسو الى باريس في ٣٠ حزيران .

* تبودلت الزيارات والمآدب بين رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الجمهورية السورية .

* يوالي رئيس الحكومة اللبنانية اذاعة المراسيم وغاية اكثرها تنظيم دوائر الموظفين وتنظيم اعمال البلديات ، وسنّ بعض التشريعات الخاصة .

* عاد نيافة السيد فريديانو جيانيني ، القاصد الرسولي ، من رومة الى مركزه في بيروت .

* دُشّن في بيروت مستوصف مجاني اسمه « مستوصف حفظ الصحة العامة » لامراض الصدر والجهاز التنفسي ، وهو تابع للمكتب الطب الفرنسوي .

* تألفت في دمشق شركة وطنية لتأسيس معمل لحفظ الفواكه والخضر وسمّتها ، « شركة الكونسرو (كذا !) السورية المساهمة »

مصر — تم ربط القاهرة بلندرة وباريس ورومية ومرسيلية بواسطة التلفون اللاسلكي .

* زار اسماعيل صدقي باشا ، رئيس الوزراء ، ايطالية فقابل في رومة قداسة البابا ، وجلالة الملك ، والسنيور موسوليني .

* توفي في فرنسة الامير كمال الدين حسين ، اكبر انجال السلطان حسين كامل

شرقي الاردن — سيم الارشيمندريت بولس سلمان اسقفاً للروم الكاثوليك .

* منعت الحكومة دخول سلطان باشا الاطرش عمّان واوعزت اليه ان ينتقل الى الكرك .

* ارسلت الحكومة البريطانية عدداً من الجنود الانكليز ومعهم المدافع والرشاشات الى الحدود بين شرقي الاردن والحجاز . ثم جاء المفوض السامي بفلسطين الى عمان والعقبة ، وتفقد بنفسه المخافر على الحدود .

الحجاز — بعد ان اقلقت حركة ابن رفادة افكار الجمهور ، اذاعت الوكالة الحجازية النجدية في دمشق بلاغاً رسمياً تقول فيه ان ابن رفاده قد قُتل مع ولديه وثلاثمائة وسبعين من رجاله في ٣٠ تموز بقرب جبل شار . الا ان الاخبار الخاصة نفت مقتل الثائر خاصة وكل ما جاء في البلاغ الرسمي عامة ، ومهما يكن من الامر فان الثورة لا تزال في ابانها .

العجم — وافق البرلمان الفارسي على معاهدة جديدة تمنح بها تركية جبل ارارط الصغير ، مقابل بعض الاراضي التي تخلت عنها تركية للعجم في الجنوب . ووافق ايضاً على معاهدة جديدة مع الانكليز تنازلت فيها انكلترة عمّا لها من الاسلاك والآلات البرقية في بلاد العجم ، مقابل امتيازات أُعطيت لها على شاطئ خليج العجم حتى سنة ١٩٦٥ .